بقلم
إبراهيم إبراهيم الكردى

علمني القرآن

من أين أتيت وإلى أين أسير

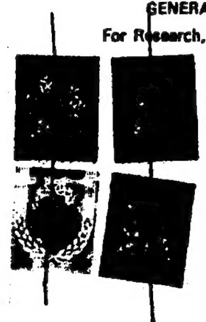


علمني القرآن من أين أتيت
وإلى أين أسير
إبراهيم إبراهيم الكردى
الطبعة الثانية ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م
مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة
٣٣٦ صفحة ١٧ × ٢٤ سم
رقم الإيداع : ٢٠٠٧/٢٢٢٠٩
الترقيم الدولي : I.S.B.N.
977-17-5183-2

بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧

الأزهـــر مجمــع البحــوث الإســـلامية الادارة العـــامة للبحــوث والتـــاليف والترجمـــة	AL-AZHAR ISLAMIC RESEARCH ACADEMY GENERAL DEPARTMENT For Research, Writting & Translation



الســـيد / إبراهيم إبراهيم الكنـــــــــــــــــدى

الســـلام عليــكم ورحمـــة اللـــه وبركاته ــ وبعــد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : معنى القرآن الكريـــــم ....

.... تاليف : ....

نفيد بأن الــكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مــانع من طبعـــه على نفقتــكم الخـــاصة .

مع التـــاكيد على ضرورة العنـــاية التامة بكتـــابة الآيات القـــرآنية والأحاديث النبـــوية الشريفـــة .

واللـــــه المـــوفق ،،،

والســـلام عليــكم ورحمـــة اللـــه وبركاته ،،،

مدير عــام
ادارة البحوث والتــاليف والترجمـــة

تحريرا فى ١٤ / ١ / ١٤١٧ هـ
الموافق ١ / ٦ / ١٩٩٦ م

١٩٩٦/٦/١

إهـــــداء

أهدي هذا الكتاب إلى شبابنا وفتياتنا ورجالنا ونسائنا .. الذين لم يتيسر لهم قراءة القرآن الكريم بتدبر وتأنى ؟ حتى يكونوا جديرين بالانتساب إليه والذى فيه النجاة لنا جميعاً في الدنيا والآخرة . لابين لهم حقيقة وجودنا في هذه الحياة الدنيا .. ولماذا خلقنا ومن أين أتينا وإلى أين نسير ..؟ حتى نكون على علم بمصيرنا المحتوم .. إما إلى جنة الخلد والنعيم وإما إلى عذاب الجحيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

مقدمة

القرآن الكريم .. رسالة السماء إلى الأرض ــ رسالة الله تعالى إلى الناس أجمعين ... هو صانع الحضارة العربية الإسلامية ، التى يعتبرها العلماء والباحثون والمستشرقون المنصفون فى الشرق والغرب جميعاً ــ هى أعظم الحضارات على الإطلاق التى شهدها العالم فى العصور الوسطى ، والتى امتدت من حدودها من الصين شرقاً إلى أسبانيا غرباً .

هذه الحضارة التى تمثل وحدة حضارية كبرى لم يسبق لها مثيل فى التاريخ والتى ساهمت فيها كل الشعوب التى دانت بدين الإسلام الحنيف . (الفرس والسريان والأتراك والأسبان وغيرهم).

الحضارة التى كانت نوراً وعرفاناً لأهل أوربا والتى كانت السبب المباشر فى قيام نهضتها الحديثة . والقرآن الكريم هو أهم مقومات هذه الحضارة العريقة ، هو الدستور الذى سار على هديه المسلمون الأوائل حتى حققوا هذه الحضارة الباهرة فى زمن وجيز .

فلو تدبرنا هذا القرآن العظيم وتدارسنا ما فيه من عبر تاريخية وعلوم وآداب وأخلاق ونصائح ... لأصبحنا مثل أجدادنا الأوائل فى قوة إيمانهم بالله العظيم وفى فطرتهم النقية الطاهرة ، ولأصبح لدينا من العلوم والآداب والثقافة والفنون ما هو مستوى إيمانهم وتفكيرهم ، ولحققنا حضارة إسلامية جديدة تضمن للناس السعادة

فى الحياة الدنيا والسعادة الدائمة الخالدة فى الحياة الأخرى ، ولو تدبرنا آيات القرآن المجيد لاستطعنا أن نرد على المرجفين والمتشككين قولهم (نحن لا نعلم من أين أتينا؟ ولماذا أتينا إلى هذه الحياة؟ وإلى أين نسير؟) .

وقبل أن نتدارس آيات القرآن ونتدبر آياته العظيمة لابد أن نعرف شيئاً عن من أنزل القرآن ، وعلى من أنزله ، وهو الرسول الكريم الذى بلَّغ الرسالة .

وسوف نتحدث بشىء من التفصيل عن القرآن الكريم بوصفه وحياً منزلاً من رب السموات والأرض ، خالق الإنسان وخالق كل شىء ، الذى أنزله هدى ونوراً وشريعة ومنهجاً ، ومبشراً ومنذراً للعالمين .

القرآن الكريم الذى علم الإنسان العربى البدوى الأمى وجعل منه رجلاً آخراً وإنساناً متحضراً متعلماً متحرراً من أغلال العبودية ومن الخرافات والأوهام والظلمات والجهالات ، جعل منه رجلاً جديداً وإنساناً شجاعاً مؤمناً رحيماً عادلاً . ينشر النور والعرفان والعدل والرحمة والمساواة والعمران فى كل بلد يحل به .

لقد أصبح البدوى الأمى راعى الغنم حافى القدمين ، أصبح يعلم التاريخ والجغرافيا والجيولوجيا وعلوم الأحياء والكيمياء والفلسفة والمنطق والفلك والحساب والسياسة والحرب والأخلاق ولو بصورة عامة كلية .

لقد عرف العربى البدوى الذى قدر له أن يصنع أعظم حضارة عرف كل شىء عن الكون ونشأته وتكوينه وعن وجوب وحدانية الله الخالق وأنه لا شريك له أياً كان.

عرف البدوى العربى الأمى كيف خلقت السماوات والأرض ، والكواكب والنجوم والشموس ، عرف كيف خلق الإنسان من طين وكيف خلق نسله من سلالة من ماء مهين ، عرف شيئاً عن الملائكة ... وشيئاً عن الجن والشياطين عن خلقهم وصفاتهم وعلاقتهم ببنى آدم .

عرف هذا البدوى الجاهل الذى لا يعرف كيف يقرأ ولا يكتب ، عرف الهدف من خلق الإنسان على الأرض ومن أين جاء وإلى أين يكون مصيره بعد الموت .. عرف كل ذلك من القرآن الكريم عرف أيضاً أنه مخلوق على هذه الأرض ليبتلى فيها وأنه سوف يجازى بعمله ، وعرف أنه فى يوم معلوم سيكون يوم القيامة ، يوم الحساب كما عرف كثيراً عن الجنة وأصحابها وصفاتهم وما ينتظرهم من نعيم مقيم ، وعرف كثيراً عن النار وأهلها وصفاتهم وما أعد لهم من صنوف العذاب .

عرف أيضا أنه مطالب بعبادة الله والسير على منهاجه وشريعته وأنه مطالب بنشر الإسلام والدعوة إليه فى ربوع الدنيا كلها ، وأنه لا يبغى من الدنيا إلا مرضاة الله تعالى ، بالعبادة والأعمال الصالحة .

لقد أصبح للإنسان المسلم (مثلا أعلى). فانطلق فى حماس ورغبة عارمة متقدة يحقق هذا المثل الإسلامى الرفيع ، فاشترك فى الجهاد فى سبيل الله فى شجاعة وبسالة فهو إن مات استشهد ودخل الجنة وإن عاش فعزيزاً سيدا كريماً .

ثم ها هو يندفع للجهاد وفتح الأمصار لنشر دين الله بين الناس ، ونراه يهزم أعتى الممالك وأقوى الإمبراطوريات فى التاريخ ، فتدخل فى دين الله مسلمة مؤمنة ، وتدين بالإسلام بل تعمل تحت رايته وتساهم فى صنع حضارته ، لما وجدت فيه من الحق والعدل والرحمة والمساواة بين الناس .

والقرآن الكريم يدعو إلى العلم والتعلم ، فترى الحكام المسلمون يشجعون العلم والعلماء فى كل مكان فى البلدان العربية وغير العربية ، فنبع منها علماء مسلمون فى كافة العلوم والفنون والآداب ، فينقلون بالترجمة ما خلفه الإغريق فى كل فروع العلم والمعرفة ، ويضيفون إليه من ابتكاراتهم الشىء الكثير ، ثم تتضح الشخصية الإسلامية فى الفن والعمارة والفلسفة والمنطق والاجتماع والتاريخ والطبيعة والكيمياء وغيرها وتتسع رقعة الدولة الإسلامية لتشمل جزءاً من الصين شرقاً وأسبانيا وجزءاً من فرنسا غرباً ، وجزءاً من روسيا شمالاً وجزءاً من أفريقيا جنوباً .

وتظل شعلة الحضارة متوهجة مضيئة ينتفع بها طالما هى على طريق القرآن الكريم تحكم بشريعته .

ولكن النعمة أبطرت الحكام المسلمين ، والترف أفسدهم فتركوا كتاب الله وهجروا أحكامه وشريعته وانصرفوا عن العلم والعلماء واتجهوا إلى اللهو والمتع الدنيوية الرخيصة ، وكان جل همهم الغنى والسلطان وحطام الدنيا الفانى ، فدب الخراب والدمار فى هيكل الدولة الإسلامية فتمزقت وتناحر أمراؤها وتخاصموا وتفرقوا ، حتى صارت كالعصى الرفيعة سهل كسرها بعد أن كانت حزمةً قويةً متينة ، وابتلعتها أفواه أعدائها واحدة واحدة حتى أصبحت الدولة الإسلامية العظمى تاريخاً يروى .

وبالرغم من كل ذلك فقد بقى الإسلام كدين وعقيدة بين الناس ، وتمسكوا به ودافعوا عنه حتى بعد زوال حكم المسلمين عنهم .

ولكن أعداء الإسلام ، حاربوا المسلمين بأن احتلوا ديارهم وأذلوهم بالجهل والفقر والمرض حتى أصبحوا نسياً منسيا لا يُحسب لهم أى حساب ، كل ذلك لأنهم تركوا القرآن الكريم جانباً فعاشوا دهراً طويلاً فى ظلام دامس وفقر مدقع ومرض مزمن .

واليوم ... نسمع صيحات خافتة تنادى بالعودة إلى كتاب الله عسى أن يرحمنا الله وتقوم لنا قائمة مرة ثانية ..

كتاب الله الذى يدعونا إلى الاهتمام بالعلم والعلماء لننعم بقوته وخيره ... والاهتمام بالإيمان والأخلاق لننعم بالحب والعدل والرحمة والحياة السعيدة فى الدارين .

إبراهيم إبراهيم الكردى

منيل الروضة ــ القاهرة

١٩٩٦ م ــ ١٤١٧ هــ

نبذة تاريخية

العرب قبل الإسلام كانت لهم حضارة :

سوف نبدأ الحديث عن الحضارة الإسلامية بالكلام عن العرب قبل أن يظهر دين الإسلام فى شبه الجزيرة العربية ويؤمنوا به .

من البديهى أن الحضارات العظيمة لا تنشأ فجأة من لا شيء ، ولكن لابد لها من جذور ممتدة فى أعماق التاريخ وإن نمت ببطء شديد .

فصانعو الحضارة الإسلامية العباقرة الأذكياء الملهمين ، لابد وأن تكون لهم حضارة متقدمة لا تقل شأناً عن الحضارة الآشورية والبابلية قبل ألف عام من الميلاد تقريباً .

(فمملكة سبأ) كانت ذات حضارة عظيمة أشاد بها الإغريق وتحدثوا عن ثرائها وفنونها وعمارتها وتجارتها .

(وسد مأرب) خير شاهد على ما وصل إليه اليمنيون فى فن هندسة السدود وفنون الزراعة وقد تحدثت التوراة عنها . وكذلك ذكرها القرآن الكريم حين ذكر مملكة سبأ وسدها الكبير الذى كان من أسباب رقيها وغناها ، فقد بنوا القصور من المرمر والتماثيل والقدور والجفان وغيرها مما يجعلها لا تقل فى قيمتها عن الحضارات المعاصرة لها .

كذلك كان فى شمال شبه الجزيرة العربية عند (الغساسنة والمناذرة) حضارة عظيمة تدل عليها النقوش والآثار العمرانية التى لا تزال آثارها باقية حتى الآن . ولكن قبل ظهور الإسلام بقليل فى عام ٥٤٠ ميلادية تقريباً حدثت انهيارات لتلك الحضارات فتفتتت وأفل نجمها ، وذلك لأسباب كثيرة ، منها كما يخبرنا القرآن

الكريم : عصيان الله تعالى والبعد عن هديه فانصرفوا عن الإيمان والعلم والأخلاق وانغمسوا فى الترف والفسق والمجون ، فعاقبهم الله تعالى بتدمير (سد مأرب) سبب نعمتهم وسعادتهم .

يقول القرآن الكريم عنهم : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ * وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (سبأ:١٥-١٩) . وقد حدث هذا السيل الذى حطم (سد مأرب) من وسطه ، وكان سبباً فى خراب المنطقة ، حدث فى وقت ما بين عامى ٥٤٣ — ٥٧٠ ميلادية أى قبل ظهور الإسلام بقليل .

ومن أمثلة التحضر عند العرب قبل الإسلام ، الحضارة التى أنشأها بعض اليمنيين على ضفتى الفرات بالقرب من المكان الذى أقيمت عليه مدينة (الكوفة) فيما بعد ، فى (مدينة الحيرة) الشهيرة ، والتى كان يعيش فيها العرب عيشة البذخ والترف ، وتقول الروايات العربية عنها : (وكانت قصور الحيرة مؤثثة بأثمن الأثاث ، وكانت حدائقها مكسوة بأعز الأزهار ، وكانت قواربها الأنيقة الساطعة الأنوار تشق الفرات ليلاً حاملة أغنى الأمراء وأمهر الموسيقيين) والتى أصبحت بعد زمن ولاية فارسية ، ثم جاء الإسلام وهزم الفرس وأصبحت ولاية إسلامية .

العرب قبل الإسلام كانوا رجال حرب :

كانت جزيرة العرب قبل الإسلام ميدان حرب دائم ، لما تأصل فى العرب من الطبائع الحربية ، فقد كانوا قبائل متفرقة دائمة الشحناء والتخاصم ، وكثيراً ما كانوا يقومون بالغارات الانتقامية ضد بعضهم البعض للسلب والقتل والأسر والنهب ، فكانوا

يقطعون الطرق على القوافل التجارية التابعة لأعدائهم فيقتلون وينهبون ويغنمون ، فلم يكن هناك أمن ولا سلام .

لذلك كانوا يدربون أبنائهم على الفروسية والمبارزة منذ صباهم ليشبوا فرساناً شجعاناً . وقد حاول كثير من الغزاة الفاتحين ، فتح بلاد العرب لكن لم يتمكن واحد منهم من أن يطأ بقدمه على أرض العرب ، وكان منهم القائد اليونانى الشهير (الإسكندر الأكبر) الذى كون إمبراطورية شاسعة فقد كان يتأهب لفتح بلاد العرب لمّا سمع عن غناها لكن حال دون ذلك موت الإسكندر وكان ذلك قبل الميلاد بأربعة قرون .

وكان المحاربون العرب ينضمون فى الحروب إلى المصريين تارة وإلى السوريين تارة أخرى ، ويهاجمون القوافل التجارية الرومانية مما أثار غضب الرومان فساق (أغسطس) إلى اليمن جيشاً لم يستطع أن يحقق شيئاً .

وفى عهد (طيباروس) استطاع الرومان أن يفتحوا جزيرة سيناء وكانت لهم فى مدينة (الحجر) بلدة رومانية زاهية ولا تزال آثارهم باقية فيها حتى الآن .

كما تعرضت اليمن للغزو من الحبشة عام ٥٢٥ ميلادية واستطاع الفاتحون الأحباش أن ينتصروا على بعض القبائل اليمنية ، ثم جاء الفرس فطردوا الأحباش عام ٥٩٧ م .

من ذلك نرى أن الجزء الأكبر من شبه الجزيرة العربية لم تطأه قدم المستعمرين الفاتحين .

ديانات العرب قبل الإسلام :

كانت ديانة شعوب الجزيرة العربية ، تقوم فى أساسها على عبادة الأصنام أما الديانة الرئيسية فكانت تقوم على أساس ثالوث من الكواكب :

الإله الأب ... وهو القمر .... ويسمونه (المقه) .

الإله الأم ... وهو الشمس .... ويسمونه (ذات الحميم) .

الإله الابن ... وهو نجم الزهراء .... ويسمونه (عشتر) .

وكانت هناك ديانات أخرى محلية ، للمطر وللمحاصيل وللعناصر الجوية حتى إن بعض الأسر كانت لها آلهة خاصة بها يقدمون لها القرابين ويبنون لها الهياكل . كما كان للكهنة نفوذ كبير وامتيازات خاصة . كذلك كانت تقيم فى المعابد طائفة خاصة من النساء للقيام ببعض الطقوس المعينة مثلما كان يحدث فى (معابد بابل) .

وكانت هذه المعابد على درجة عظيمة من الفخامة وهى جديرة بما خلفته الحضارات الأخرى . وأيضاً كان بين تلك العبادات ، بذور توحيد ، فقد رفع سيدنا إبراهيم عليه السلام قواعد الكعبة فى مكة ، وهى بيت الله فى جزيرة العرب وكانوا يكرمونها ويحجون إليها من قديم الزمان . غير أنهم حرّفوا دين إبراهيم عليه السلام مع طول الزمن ، فأصبحت الكعبة محجاً للمشركين . ملئوها بالأصنام والصور المرسومة ، فقد كان بها حين فتحها المسلمون ٣٦٠ صنماً للآلهة وبعض الصور للسيد المسيح عليه السلام والسيدة العذراء . وكان أتباع سيدنا إبراهيم عليه السلام وهم الذين يؤمنون بالتوحيد ، يسمون بالحنفاء ، كما كان يوجد عدد غير قليل من اليهود والنصارى .

محمد رسول الله ﷺ مؤسس الدولة الإسلامية :

إن العلماء والباحثين فى كل العصور وفى كل الأزمان ليعجبون أشد العجب لهذا النبى الأمى الحكيم الأمين ، الذى لبى نداءه شعب جامح ، قوى الشكيمة ، شديد المراس ، محارب عنيد شديد البأس ، لم يقهره قاهر من قبل هذا النبى الذى انهارت أمام اسمه أقوى الممالك حتى بعد وفاته ، والذى لا يزال ملايين من الناس وبعد مرور ألف وأربعمائة سنة على دعوته ، يؤمنون بدينه ويعيشون تحت لوائه و طوع رسالته وما جاء به من شرائع .

ولد (محمد) ﷺ فى عام الفيل فى الثانى عشر من ربيع الأول ، فى اليوم الذى يوافق العشرين من إبريل عام ٥٧٠ ميلادية .

وقد روى أن الدنيا قد اهتزت يوم مولده الشريف فقد انهارت أربعة عشر برجاً من إيوان كسرى ملك فارس (ملك الملوك) .. إيذاناً بزوال دولة الكفر والشرك .. وكذلك انطفأت شعلة النار المقدسة التى كان يعبدها المجوس .

وكان والده (عبد الله بن عبد المطلب) ابن أحد أقطاب الكعبة قد توفى ومحمد جنين فى بطن أمه .

أما أمه (آمنة بنت وهب) فقد أرضعته ودفعت به إلى مرضعة فى البادية ليشب الطفل قوى الجسم ، فصيح اللسان ، متخلقاً بأخلاق العرب ، متطبعاً بطباعهم الأصيلة (كما كانت عادة أهل الحضر) ثم توفيت السيدة آمنة أم الرسول عليه الصلاة والسلام وهو لم يتجاوز الثالثة من عمره .

ثم كفله جده (عبد المطلب) الذى بالغ فى حبه ورعايته والاهتمام به . ولما توفى جده كفله عمه (أبو طالب) وكان يعمل بالتجارة كثير الترحال. وقد أخذ معه محمداً فى إحدى رحلاته إلى الشام . وهناك رآه راهب نسطورى هو الراهب (بحيرا) ، فتنبأ لمحمد بالنبوة من علامات ودلائل رآها فيه ، وحذّره من اليهود فإنهم إن رأوه قتلوه لعلمهم بأمره كما أخبرتهم التوراة عنه ، وذلك حسداً منهم ولأنهم كانوا يتمنون أن يكون خاتم الأنبياء منهم هم .

كان محمد ﷺ معروفاً بالصدق والرفق والرحمة والأمانة حتى إنه اشتهر بين أهل مكة قبل البعثة بمحمد الأمين . كان يرعى الأغنام فى صغره شأن الأنبياء والمرسلين .

وحين بلغ الخامسة والعشرين من عمره أعجبت به السيدة خديجة رضى الله عنها ، وكانت أرملة غنية فى الأربعين من عمرها ذات مال وجمال وعقل وخلق كريم ، وفوضته فى أمر تجارتها ، ولما عاد عليه الصلاة والسلام من رحلته الثانية إلى الشام تزوجته .

نزول الوحي على محمد ﷺ :

بدأ سيدنا محمد ﷺ يتحدث عن بعثته ودعوته حينما بلغ الأربعين من عمره . وكان يتعبد فى غار (حراء) على بعد ثلاثة أميال من مكة المكرمة ويحدثنا (عروة ابن الزبير) أن عائشة زوج النبى ﷺ أخبرته أنه كان أول ما بدئ به رسول الله من الوحى ، الرؤيا الصادقة فى النوم ، فكان عليه الصلاة والسلام لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء . فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه (وهو التعبد الليالى) أولات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى فجئه الحق . فجاءه الملك فقال ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق: ١-٥)

فرجع بها رسول الله ترجف بوادره حتى دخل على (خديجة) ، قال زملونى ، زملونى . فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، ثم قال لخديجة : مالى وأخبرها ، قال : لقد خشيت على نفسى . قالت له خديجة : كلا . أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا . والله إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الدهر .

فانطلقت به خديجة حتى أتت (ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى) وهو ابن عم خديجة رضى الله عنها فكان امرؤاً تنصر فى الجاهلية . وكان يكتب الكتاب العربى ويكتب الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب . وكان شيخاً كبيراً قد عمى . فقالت له خديجة : أى عم اسمع من ابن أخيك . فقال ورقة بن نوفل : يا ابن أخى ماذا ترى ؟ . فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى . فقال ورقة : هذا الناموس الذى أنزل على موسى عليه السلام ، ياليتنى فيها جزعاً ياليتنى فيها أكون حياً حينما يخرجك قومك .

قال رسول الله : أو مخرجى هم ؟ قال ورقة : نعم ، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودى . وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزرا .

ويحدثنا أيضاً (جابر بن عبد الله الأنصارى) ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ قال : قال رسول ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحى : (فبينما أنا أمشى سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت رأسى ، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالساً على كرسى بين السماء والأرض ، قال : فجثيت فزعاً فرجعت فقلت : زملونى ... زملونى .. فدثرونى..)[1] فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ (المدثر:١-٥) وهى الأوثان قال ثم تتابع الوحى ، وكانت السيدة خديجة رضى الله عنها أول المصدقين ببعثة النبى ، فآزرته وعاونته بكل ما تملك من مال وحب وعطف وحنان .

ويقول القرآن الكريم فى حادثة الوحى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ * وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ (الشورى:٥١-٥٣) . وقد كان جبريل عليه السلام ، يأتى الرسول ﷺ على هيئة آدمى ، وتارة على صورته الملكية النورانية التى خلق عليها . ولما سئل النبى ﷺ كيف يأتيك الوحى ؟ قال : أحياناً يأتينى مثل صلصلة الجرس ، وهو أشد علىّ فينفصم عنى وقد وعيت عنه .

محمد ﷺ يدعو إلى الإسلام :

أخذ محمد يدعو إلى رسالته عند أقاربه وأصحابه فى أول الأمر سراً ، وذلك لمدة ثلاث سنوات ، ثم عندما جمع حوله عدداً لا بأس به من أقاربه ذوى النفوذ ، جهر بدعوته ، وهاجم المشركين وأصنامهم ، فعادته قريش وهددته بالقتل هو ومن

---

(١) الحديث رواه البخارى ٢٧/١ رقم ٤ (فتح البارى) . كتاب بدء الوحى . ومسلم ١٤٣/١ رقم ١٦١ ، كتاب الإيمان .

آمن معه . حاول سادة قريش أن يثنوه عن عزمه بالإغراء أولاً . فعرضوا عليه السلطة والمال ، ولكنه رفض كل ذلك وقال قولته المأثورة (والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى ما تركت هذا الأمر أو أهلك دونه)[1] . وأمره الله تعالى بالإستمرار فى نشر دعوته بين الناس دعوة التوحيد قال تعالى فى كتابه العزيز : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف:١٥٨) .

ويأمره الله تعالى بأن يبدأ الدعوة بين أهله وعشيرته فيقول سبحانه : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ * وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ * وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ * ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ * إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (الشعراء:٢١٣-٢٢٠) .

محمد ﷺ يأمر بالهجرة إلى الحبشة :

قال تعالى عن المهاجرين فى سبيل الله : ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ * لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ (الحج:٥٨-٥٩) .

وبدأت قريش فى اضطهاد رسول الله ومن تبعه من المؤمنين ، فأخذوا يعذبونهم ويتفننون فى طرق تعذيبهم والتنكيل بهم ليتركوا دين محمد وما يدعو إليه فلما رأى الرسول صلوات الله عليه وسلامه ما يتعرض له المؤمنون من العذاب والاضطهاد فى صورة لا تحتمل ، أمرهم بالهجرة إلى الحبشة ، حيث أكرمهم ملكها (النجاشى) الذى سألهم عن دينهم الجديد فأجابه جعفر ابن عم النبى عليه الصلاة والسلام : (كنا قوماً

---

(١) الحديث رواه البيهقى فى دلائل النبوة ١٨٧/٢ . وابن كثير فى البداية والنهاية ٤٢/٣ .

أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، فكذلك كنا حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا صدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصدقناه وآمنا به على ما جاء به من الله وحده لا نشرك به شيئاً وحرمنا ما حرّم علينا وأحللنا ما أحل لنا).

ومضت عشر سنوات أخذ محمد ﷺ يدعو فيها إلى دينه الجديد وتحمل ما تحمل من ضروب الإيذاء والتعذيب والاضطهاد . وكان المشركون يضايقونه عليه السلام بجدلهم الذى يذكره القرآن الكريم فيقول : ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولاً * وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً ﴾ (الإسراء: ٩٠-٩٤) .

ولما بلغ محمد ﷺ الخمسين سنة من عمره الشريف أصابته مصيبتان كبيرتان. أولاهما وفاة عمه (أبى طالب) وثانيتهما وفاة زوجته السيدة خديجة رضى الله عنها وهما اللذان كانا درعه وملاذه وحمايته ضد المشركين الغاضبين فلم يستطع عليه السلام أن يقاوم بطشهم وجبروتهم كان عليه السلام يقف فى موسم الحج يدعو للإسلام فكان أن استمع إليه أناس من اليمن فاستهواهم حديثه بما فيه من صدق وإخلاص وحلاوة ودعوة إلى الله الحق فحدثوا به أهل يثرب . وأخذ الناس يتوافدون عليه ليستمعوا إليه بمجاميع قلوبهم وهفت أفئدتهم إليه وإلى دينه فآمنوا به وبدينه

الذى يأمرهم بعبادة إله واحد . فآمنوا بالله الواحد القهار وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وقضائه وقدره ، وأن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأن يؤدوا الصلاة والزكاة ويصوموا رمضان ، ويحجوا إلى البيت الحرام من استطاع إليه سبيلا . وصدقوه وبايعوه وأخذوا يدعون لدينه الجديد فى كل مكان .

هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة :

ولما تأكدت قريش أن دعوة محمد بن عبد الله قد بلغت درجة لا يمكن السكوت عليها وأن أتباعه يزدادون وتتكاثر أعدادهم بشكل خطير غضبت غضبة ضارية ، حتى إنها فكرت فى قتله عليه الصلاة والسلام وهو نائم فى فراشه .

وكانت الخطة أن تأتى كل قبيلة بفتى من فتيانها الشجعان ، فيجتمعون عليه ويضربونه ضربة رجل واحد وبذلك يضيع دمه بين القبائل كلها ، ولكنهم مكروا ومكر الله ، والله خير الماكرين . وأنقذه الله تعالى من شرهم وما يبيتون له ، فأمره الله تعالى أن يهاجر ليلاً إلى المدينة بصحبة صاحبه (أبى بكر الصديق) وترك (علياً ابن أبى طالب) نائماً فى فراشه ، ولم يفطنوا إلى هذه الحيلة إلا بعد خروجه عليه الصلاة والسلام من مكة ، متجهاً إلى المدينة ويقول القرآن الكريم فى ذلك ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ (الأنفال:٣٠) . وقال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (يس:٩) .

فهاجر عليه الصلاة والسلام إلى المدينة ليلاً ، ولما وصل إليها هو وصاحبه استقبله أهلها الأنصار بالأغانى والأناشيد يلوحون له بسعف النخيل وأغصان الشجر والزهور والرياحين ، يقبلونه بأفئدتهم قبل شفاههم . وفى المدينة يبدأ تكوين الدولة الإسلامية وأخذ القرآن الكريم يتنزل عليه ﷺ بآيات التشريع الإلهى ، التشريع لدولة الإسلام المقبلة .

محمد عليه الصلاة والسلام قائداً حربياً ملهماً :

أخذ الرسول الأمين يقود الغزوات من المدينة بنفسه أو بقيادة من يختاره من أصحابه الأمجاد . وقد ظهرت عبقرية محمد ﷺ العسكرية فى تخطيطه للمعارك والغزوات . فكانت أبرز غزوة تتجلى فيها عبقرية الرسول العسكرية هى (غزوة بدر الكبرى) وهى الغزوة الفاصلة فى تاريخ الدعوة الإسلامية ، يقول القرآن الكريم أن الله تعالى أيد المؤمنين فيها بجنود من السماء ، وأن الله تعالى هو الذى نصره بتأييده ، من الذى علم محمداً الفنون العسكرية وهو لم يقاتل فى حياته من قبل ولم يلقنه أحد فنون القتال ، !! لقد علمه الله تعالى كيف تكون القواعد والأصول العسكرية حتى يتم النصر بإذن الله . وها هو القرآن الكريم يبين للرسول ولمن معه كيف يكون القتال .

أولاً : الإعداد النفسى للجنود وإقناعهم بعدالة قضيتهم فيحاربون برغبة وإخلاص وإتقان :

وهذه الآية تحض المؤمنين على القتال ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ (الحجرات:١٥) ، وهذه الآيات المباركة تعد المجاهدين المقاتلين بالجنة ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ * وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة:١٢٠-١٢١) .

وكذلك أكد القرآن الكريم على أن الموت قدر مكتوب لكل نفس ، وللموت موعد لا يتقدم ولا يتأخر فلا الجهاد والقتال بمقدم موعد الموت ولا التهرب والتكاسل والبقاء مع النساء والأطفال والعجزة بمؤخر موعد الموت للإنسان فلِمَ الجبن ؟ ولِمَ الخوف من الجهاد فى سبيل الله ؟

تقول الآية الكريمة ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾

(آل عمران:١٤٥)

وأن من كان حظه حسناً فيموت وهو يقاتل فى سبيل الله ، مات شهيداً ، ودخل الجنة من فوره . وتقول الآيات الكريمة ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ * ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ * فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(آل عمران:١٦٩-١٧٦)

الحديث الشريف :

عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ (لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم ، قالوا يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا فى الجهاد ، ولا ينكلوا عن الحرب . فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم) (١)

فانزل الله هذه الآيات .. ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (آل عمران:١٦٩) .

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد فى المسند ٢٦٦/١ عن ابن عباس رضى الله عنه . وابن أبى شيبة ٢٩٤/٥ .. وأبو داود ١٤/٣ رقم ٢٥٢٠ .. والحاكم فى المستدرك ٨٨/٢ و٢٩٧ .. وصححه ووافقه الذهبى .

ثانياً : النظام وأهميته فى القتال :

أولاً : التعليمات الإلهية فى القتال والحرب هى أن يكون المقاتلون فى صفوف متلاحمين ، كالبنيان المتماسك تقول الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ (الصف:٤) .

وثانيا : أن لا يولى المؤمن عدوه الأدبار أى لا يهرب من المعركة إلا إذا كان يريد أن يلحق بمجموعة مؤمنة يقاتل فى صفهم أو يكون منحرفاً لقتال من زاوية أخرى . تقول الآيات البينات : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ * وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ * فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (الأنفال:١٥-١٨) .

ثالثا: أن يعد المؤمنون العدة كاملة للقتال قدر الاستطاعة ، إعداد العتاد الحربى من أسلحة وخطط وتموين وخلافه ، بقدر استطاعتهم وما فى إمكانهم تدبيره . فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها ثم يتوكلون على الله القوى العزيز .

تقول الآيات فى ذلك : ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ * وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٦٠-٦٣)

كانت لهذه التعليمات الإلهية فى فنون القتال والحرب والجهاد فى سبيل الله أثر كبير فى نفوس المؤمنين ، فاشتعلت حماستهم واشتاقوا إلى القتال والاستشهاد فى سبيل الله لينالوا الجنة ورضوان الله تعالى .

وكثرت انتصارات المؤمنين تحت قيادة الرسول العظيم أو من يختارهم للقيادة من صحابته الأجلاء ، وكان فتح مكة من الأحداث التى وطدت قدم الإسلام فى شبه الجزيرة كلها ، فدخل الناس فى دين الله أفواجاً ثم دخل الرسول العظيم الكعبة شاكراً لله تعالى نصره وعونه ، فطهرها مما بها من الأصنام والصور وجعلها بيتاً للمؤمنين .

وقد عزم الرسول الأمين على غزو سوريا ليحمى حدود بلاده من هجمات الروم ، فأعد جيشاً قوامه ثلاثون ألف مقاتل فيهم عشرة آلاف فارس ولكن الروم آثروا وانسحبوا من الميدان .

وقد أرسل الرسول القائد عليه الصلاة والسلام كتباً بخط يده الشريفة إلى ملوك الأرض يدعوهم فيها إلى الإسلام من بينهم (هرقل) ملك الروم (كسرى) ملك فارس ولكنهم رفضوا دعوته عليه الصلاة والسلام .

وبعد مضى عشر سنوات على الهجرة ، مرض النبى ﷺ ولم يستطع أن يؤم المسلمين فى الصلاة فى المسجد ، فأناب عنه أبو بكر الصديق ليؤم المسلمين المصلين . فعد المسلمون هذا دليلاً على أن الخلافة لأبى بكر بعد وفاة النبى ﷺ .

وتوفى رسول الله ﷺ بعد مرض دام خمسة عشر يوماً فى السنة الحادية عشر من الهجرة عن ثلاثة وستين عاماً . بعد أن انتشر الإسلام فى شبه الجزيرة العربية كلها وأصبحت أمة واحدة مهيأة لفتح العالم بعد زمن قصير ونشر دين الله .

محمد ﷺ صفاته وأخلاقه :

أما صفات الرسول عليه الصلاة والسلام فقد حدثنا عنها صحابته رضى الله عنهم ، فيصف لنا المؤرخ العربى (أبو الفدا) سيدنا محمدا مستنداً إلى ما قاله أصحابه فيقول : (وصف على بن أبى طالب الرسول الأمين فقال : كان النبى ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير، ضخم الكراديس (العظام) ، ضخم الرأس ، كث اللحية ، مشرباً وجهه

حمرة ، وقيل كان أدعج العينين ، مسبط الشعر سهل الخدين كأن عنقه إبريق فضة ، شثن الكفين والقدمين).

وقال أنس عنه عليه الصلاة والسلام (لم يشنه الله بالشيب ، كان فى مقدم لحيته عشرون شعرة بيضاء ، وفى مفرق شعره شعرات بيض).

وزاد على ذلك يعقوب بن الحسن عن الحسن بن على رضى الله عنه ، قال الحسن : سألت خالى هند بن أبى هالة ، وكان وصافاً لحلية الرسول ﷺ قال هند : (كان رسول الله فخما مفخماً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر . أطول من المربوع وأقصر من المشذب ، عظيم الهالة ، شعره كان بين الاثنين يجاور شعره : لحمة أنفه ، أزهر اللون ، واسع الجبين ، أزج الحواجب (دقيق الاستواء) فى غير قرن ، بينهما عرق يدره الغضب ، له نور يعلوه ، يحسبه من لم يتأمله أشم ، كث اللحية ، أدعج سواد العين ، سهل الخدين ، واسع الفم أشهب ، مفلج (مفترق ما بين الأسنان) ضخم الكراديس ، ليس على صدره ولا على بطنه شعر ، أشعر الذراعين ، طويل الذندين ورحب الراحة ، سبق القصب ، فارع العظام)

أما أخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام :

فكان دائم الأحزان ، متواصل الفكر ، لا يتكلم فى غير حاجة ، طويل الصمت ، أوتى جوامع الكلم ، كان لا يغضب لنفسه قط ، وإنما كان غضبه للحق فقط . لا يستفزه شىء ، وكان إذا تكلم أشار بكفه وإذا تحدث يطل براحة كفه ، جل فرحه التبسم ، وكان يحترس من الناس ، يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما فى الناس ، يحكم الحسن ويقويه ويقبح القبيح . أقرب الناس إليه خيارهم ، كل أمره عدل لا خلاف فيه ، وكان عليه الصلاة والسلام سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس فظ ولا غليظ ولا عياب ولا مزاح ، يتغافل عما لا يستحسن ، لا يذم أحداً ولا يعيره ولا يطلب عورته . كان لا يتكلم إلا فيما يرجو صوابه يضحك مما يضحكون ويتعجب لما يتعجبون منه ، كان خلقه القرآن .

وكان يجلس حيث ينتهى به المكان . وكان إذا سأله أحد حاجة لا يرده إلا بها أو بميسور القول وكان مجلسه مجلس حياء وحلم وصبر وأمانة . لا ترتفع فيه الأصوات ، وكان فيه أصحابه متقابلين متواضعين ، يوقرون كبيرهم ويرحمون صغيرهم . كان ﷺ أرجح الناس عقلاً وأفضلهم رأياً ، يكثر الذكر ويقل اللغو و دائم البشر مطيل الصمت ، كان عنده القريب والبعيد والقوى والضعيف فى الحق سواء . كان يحب المساكين ولا يحقر فقيراً لفقره ولا يهاب ملكاً لملكه . وكان يؤلف قلوب أهل الشرف وكان يؤلف قلوب أصحابه ولا ينفرهم ويساير من جالسه ولا يحيد عنه حتى يكون ذلك الرجل هو المنصرف ، وما صافحه أحد فيترك يده حتى يكون ذلك الرجل هو الذى يترك يده ، كان يحلب العنز ويجلس على الأرض وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويلبس المخصوف والمرقوع.

وحسبنا فى هذا المقال ما وصفه الله تعالى إذ يقول ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم:٤) . وقوله ﷺ عن نفسه (أدبنى ربى فأحسن تأديبى) (١) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع قط من خبز الشعير ، وكان يأتى على آل محمد الشهر والشهران لا يوقد فى بيت من بيوته نار ، وكان قوتهم التمر والماء . كما كان رسول الله ﷺ يعصب بطنه بحجر من الجوع). كان عليه الصلاة والسلام مقاتلاً شجاعاً لا يلقى بنفسه إلى التهلكة ، عظيم الفطنة ، يقول الله تعالى عنه ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب:٢١) .

زوجاته عليه الصلاة والسلام :

كان عليه الصلاة والسلام متزوجاً من السيدة خديجة رضى الله عنها وأنجب منها سبعة أولاد منهم ثلاثة بنين (ماتوا جميعاً) وأربع بنات أحبهن إليه (فاطمة

---

(١) الحديث ذكره السيوطى فى الجامع الصغير ٢٢٤/١ (فيض القدير) وعزاه لابن السمعانى فى (أدب الإملاء) وضعفه . وكذا ذكره فى (كنز العمال) برقم ٣١٨٩٥ وبرقم ٣٢٠٢٤ وعزاه لابن عساكر فى تاريخ دمشق وهو بمجموع طرقه حديث حسن .

الزهراء). وكان له من زوجته (السيدة ماريا القبطية) ولد هو (إبراهيم) مات أيضاً وهو صغير وحزن عليه الرسول كثيراً . وبعد الخمسين من عمره عليه الصلاة والسلام ماتت زوجته (السيدة خديجة) وقد تزوج بعدها عدة زيجات لها أهداف دينية وإنسانية أمره الله سبحانه وتعالى بها لتقوية الروابط ولتكون مثالاً للمؤمنين من بعده فلا يكون عليهم حرج فى مثلها .

يقول الله تعالى ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (الأحزاب:٣٧) .

من الآية السابقة نرى بوضوح أن الله تعالى هو الذى (زوّجه) أى بأمر منه سبحانه ، فكل زوجات النبى ﷺ بأمر من الله تعالى لأسباب خاصة بالدعوة الإسلامية فزواجه فى الآية السابقة تشريع إلهى وقدوة للمسلمين .

يشرع الله تعالى للمؤمنين بأنه لا حرج على المؤمن أن يتزوج زوجة ابنه بالتبنى إذا طلقها ، إذ إنه ليس ابنه من صلبه ، وقد تزوج الرسول الكريم إحدى عشر زوجة بأمر من الله العلى القدير وهى خصوصية له وحده من دون المؤمنين .

زوجات الرسول هن :

السيدة خديجة أولى زوجاته عليه الصلاة والسلام رضى الله عنها وهى أول من آمن به من النساء ثم العشرة الأخريات رضى الله عنهن : السيدة عائشة والسيدة حفصة والسيدة أم حبيبة والسيدة أم سَلَمَه (واسمها هند) والسيدة سَوْدة والسيدة زينب بنت جحش والسيدة جُويْرية والسيدة صفية والسيدة ميمونة والسيدة زينب بنت خزيمة (أم المساكين) .

وقد أمر الله تعالى المؤمنين بأن لا يتزوجوا زوجاته من بعده فهن مقصورات عليه وحده عليه الصلاة والسلام حيث اعتبرهن الله تعالى (أمهات المؤمنين) . تميز رسول الله ﷺ عن غيره من الأنبياء بميزات عديدة منها كما يقول عليه الصلاة والسلام عن نفسه عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال : قال رسول الله ﷺ (أعطيت خمساً لم يعطهن أحداً قبلى ، كان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلت لى الأرض طيبة وطهوراً ومسجداً ، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ، ونصرت بالرعب بين يدى مسيرة شهر ، وأعطيت الشفاعة) صدق رسول الله ﷺ .

الإسراء والمعراج :

وقد أسرى الله بعبده محمد ﷺ ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، يقول تعالى ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء:١) .

وهذه المعجزة التى تمت فى زمن وجيز والتى دلل على صحتها رسول الله ﷺ بالأدلة المادية إنما هى من صنع الله القادر على كل شىء . وهى دليل غير مباشر على صحة المعراج الذى حدث بعده ، فإذا قال الذى أسرى به وكسر القوانين الزمن المعروفة لنا وأثبت صحة الإسراء بالدليل المادى ، إذا قال لنا أنه عُرج به إلى السماوات العلا ، فيجب أن نصدقه فالحادثان من عند الله ، الحادثان فيهما كسر لقانون الزمن الذى نعرفه .

يقول تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ * إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ (النجم:١٣-١٧) .

الأحاديث النبوية عن الإسراء والمعراج :

من مجموع الأحاديث النبوية عن الإسراء والمعراج نجد أنها اتفقت على مسرى رسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ، وأنه مرة واحدة .

قال الزهرى[1] : كان الإسراء قبل الهجرة ، والحق أنه عليه الصلاة والسلام أسرى به (يقظة) لا (مناما) من مكة إلى بيت المقدس ، راكباً على البراق وهو (دابة بيضاء ذات لمعان بين الحمار ودون البغل) أتاه جبريل بها فلما انتهى إلى باب بيت المقدس ربط الدابة عند الباب ودخله ، فصلى ركعتين فى قبلة المسجد ، ثم أتى (جبريل) بالمعراج وهو كالسلم ذو درج يرقى فيها فصعد فيه إلى السماء الدنيا ثم إلى بقية السماوات السبع . فتلقاه فى كل سماء مقربوها فسلم على الأنبياء الذين فى السماوات بحسب منازلهم ودرجاتهم ، حتى مر بموسى الكليم فى السماء السادسة وإبراهيم الخليل فى السماء السابعة ثم جاوز منزلتهما عليه وعليهما الصلاة والسلام وعلى سائر الأنبياء حتى انتهت إلى مستوى يُسمع فيه صرير الأقلام أى أقلام القدر بما هو كائن ورأى سدرة المنتهى وغشيها من أمر الله تعالى عظمة عظيمة من فراش من ذهب وألوان متعددة وغشيتها الملائكة . ورأى هناك (جبريل) على صورته وله ستمائة جناح ورأى رفرفاً أخضراً قد سد الأفق . ورأى البيت المعمور والخليل إبراهيم مسنداً ظهره إليه لأنه الكعبة السماوية يدخلها كل يوم سبعون ألفا من الملائكة يتعبدون فيها ثم لا يعودون إليها حتى يوم القيامة . ورأى الجنة والنار ، وفرض عليه الله الصلوات الخمسين ، ثم خفضها على خمسة رحمة منه ولطفاً بعباده ، وفى هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها . ثم هبط إلى بيت المقدس وهبط معه الأنبياء فصلى بهم فيه لما حانت الصلاة ويحتمل أنها الصبح يومئذ .

عن ابن عباس : قال : قال رسول الله ﷺ : (لما كان ليلة أسرى بى فأصبحت فى مكة ، عرفت أن الناس مكذبى) فقعد معتزلاً حزيناً فمر به عدو الله أبو جهل ، فجاء حتى جلس إليه ، فقال له كالمستهزئ : هل كان من شىء ؟ فقال له رسول الله ﷺ : نعم . قال : وما هو ؟ قال : إنى أسرى بى الليلة . قال : إلى أين ؟ قال : إلى بيت

---

(١) حديث الإسراء والمعراج هذا رواه البخارى١/٤٥٨ رقم ٣٤٩.. (فتح البارى) أول كتاب الصلاة. ومسلم١/١٤٨رقم١٦٣فى كتاب (الإيمان) والإمام أحمد فى المسند ٥/١٢٢و١٤٣

المقدس. قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم. فلم يرد أن يكذبه مخافة أن يجحد الحديث إن دعا قومه إليه. قال: أرأيت إن دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتنى؟ قال: نعم. قال: يا معشر بنى كعب بن لؤى قال: فانفضت إليه المجالس، وجاءوا حتى جلسوا إليهما، قال: حدث قومك بما حدثتنى، فقال رسول الله: إنى أسرى بى الليلة، فقالوا: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس. قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم، قال: فمن بين مصدق وبين واضع يده على رأسه متعجباً لكذب. قالوا: وتستطيع أن تصف لنا المسجد؟ وفيهم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد فقال رسول الله ﷺ: فما زلت أنعت حتى التبس على بعض النعت. قال: فجىء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون دار عقيل. فنعته وأنا أنظر إليه. قال: كان هذا نعت لم أحفظه قال: فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب فيه)[1]. أخرجه أحمد والبيهقى والنسائى.

أخيراً فإن الكلام عن محمد ﷺ لا ينتهى ولكن إذا كانت عظمة الرجل تقاس بأعماله. فإن محمداً يكون أعظم الرجال على الإطلاق وفى كل العصور.

* * *

(١) الحديث رواه الإمام أحمد ٣٠٩/ج١ وبرقم ٢٨٨ و٣٥٤٦. بتحقيق الشيخ شاكر وصححه ثم عزاه لابن كثير. وذكر أن النسائى والبيهقى روياه وصححاه أيضاً، وقد صححه أيضاً الهيثمى فى مجمع الزوائد ٦٤/١.

القرآن الكريم (المثل الأعلى)

نزول القرآن الكريم :

القرآن الكريم ، هو فى اللغة العربية قاموس لغتها وتاج أدبها هو الإسلام معجزة دعوته ودعامة شريعته وهو فى الإنسانية دعوة خالدة إلى سبيل الخير والسلام.

يصفه الله تعالى فيقول ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَـٰبٞ مُّبِينٞ * يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ (المائدة:١٥-١٦) .

والقرآن الكريم مكون من ١١٤ سورة منها ٨٩ سورة نزلت بمكة ، ٢٥ سورة نزلت بالمدينة . وقد بدأ نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ فى ليلة القدر فى شهر رمضان المعظم ، وقد استغرق نزوله بضعة وعشرون عاماً منذ بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام حتى وفاته ، وكانت آيات القرآن الكريم تتنزل على الرسول الكريم متفرقة منجمة وذلك لأن الرسول عليه الصلاة والسلام كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب وحتى يستطيع أن يحفظه ويضبطه ولا ينساه ، وحتى تنزل الشرائع متدرجة وفق متطلبات الأحداث فتسهل الإفادة منها ، كما أن الله عز وجل كان يثبت به فؤاد الرسول فى فترات ضيقه .

فيقول تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَـٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ (الفرقان:٣٢) .

وأول آية نزلت من القرآن الكريم هى ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴾ (العلق:١-٢) .

وأول سورة نزلت من القرآن هى (المدثر) . وآخر آية من القرآن الكريم هى آية ﴿ .... ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المائدة:٣) .

وقد اهتمت السور المكية بتكوين الأسس الاعتقادية الكبرى كتقرير الألوهية والتوحيد وتاريخ الرسل والأنبياء وجهادهم مع أقوامهم ، أما السور المدنية فهى التى تهتم بتكوين المجتمع الإسلامى فى الأمور السياسية والحربية والاقتصادية والعلاقات الاجتماعية والتشريع الإسلامى فى كل النواحى التى تصنع الدولة .

وقد نزل القرآن الكريم على قبائل عربية مستقلة متنافرة مختلفة اللهجات ، وقد كانت هناك بين القبائل العربية المتفرقة خيوط رفيعة تستشرف لشىء من التماسك الجامع لأمرهم قبل الإسلام كما تدل عليه كثير من الشواهد الاجتماعية والسياسية والدينية . فكان القرآن الكريم هو الرابط بينهم جميعاً فى وحدة متماسكة وهو الذى وحد لسانهم على حرف واحد بعد أن كانوا على أحرف كثيرة . وقد اجتمع علماء المسلمين على اعتبار السور التى نزلت قبل الهجرة بالسور المكية واعتبار السور التى نزلت بعد الهجرة بالسور المدنية ، حتى ولو كانت نزلت بمكة . أما الترتيب الذى عليه المصحف الآن فهو الترتيب الذى أقره رسول الله ﷺ . فقد كان سيدنا جبريل عليه السلام يراجعه مع الرسول كل رمضان وفى رمضان الأخير راجعه مع الرسول الكريم مرتين وأقر الترتيب الموجود حالياً وذلك قبل وفاة الرسول ﷺ .

أقوال المفسرين فى الحروف المقطعة التى فى أوائل بعض السور :

فمنهم من قال : هى مما استأثر الله بعلمه فردوا علمها إلى الله ولم يفسروها مثل (القرطبى) ومنهم من قال : هى أسماء السور.......... قال الزمخشرى : وعليه إطباق الأكثر وقال بعضهم : هى اسم من أسماء الله تعالى يفتتح بها السور فكل حرف منها دل على اسم من أسمائه وصفه من صفاته. وقال البعض : هى بيان إعجاز القرآن .

وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التى يتخاطبون بها . (عن المبرد والقرطبى والزمخشرى وابن تيميه وأبو حافظ المزى).

قال الزمخشرى : لم ترد كلها مجموعة فى أول القرآن ، وإنما كررت ليكون أبلغ فى التحدث والتبكيت ، جاء منها على حرف واحد مثل (ص) وحرفين مثل (حم) وثلاثة مثل (الم). وأربعة مثل (المص). وخمسة مثل (كهيعص) لأن أساليب كلامهم منها ما هو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة وعلى خمسة لا أكثر من ذلك .

جمع القرآن الكريم :

وبدأ جمع القرآن الكريم أولاً فى ذاكرة الحفظة الذين كانوا يتمتعون بذاكرة قوية سريعة . فقد كان العرب لا يقرأون ولا يكتبون فكان حتماً وضرورة أن يحفظوا فى ذاكرتهم أشعارهم ومفاخرهم فكان ذلك سبباً تدريبياً عملياً للحفظ فى الذاكرة . وقد تنبه المسئولون عن الدعوة الإسلامية إلى ما قد يؤدى ـ إليه الحفظ ــ أحياناً إلى بعض السهو أو التبديل فأدركوا الحاجة الماسة إلى تدوين القرآن الكريم الذى هو جوهر الدعوة الإسلامية ، ولذلك فقد اهتم الرسول ﷺ بتدوين الآيات من أول الأمر .

كان يوجد بمكة وهى البلد الذى يشتغل أهله بالتجارة والحساب رجال يكتبون ويدونون . وأيضاً كانت توجد نساء كاتبات مثل السيدة (حفصة) بنت عمر زوج رسول الله عليه الصلاة والسلام وقد عنى الرسول عليه الصلاة والسلام بنشر الكتابة والقراءة بين المسلمين ، فأعلن بأن كل أسير يعلم مسلماً القراءة والكتابة ينال حريته . كما كان للرسول الكريم (كتبة وحى) يكتبون بين يديه القرآن والرسائل بصفة دائمة . وكان يشجعهم على تعليم اللغات الأخرى . كانت كتابة القرآن الكريم أيام الرسول ﷺ على مسطحات من مواد مختلفة الأحجام (منها الخشبية ومنها العظمية ومنها الخزفية والفخارية) مما يصعب جمعها فى كيان واحد .

وبعد وفاة الرسول ﷺ فى السنة الحادية عشر للهجرة ، أمر أبو بكر الصديق بجمع القرآن . وعهد إلى رجل ممن حفظوا القرآن وكتبوه أيام الرسول وهو (زيد ابن ثابت) عهد إليه برئاسة لجنة لجمعه . وهى مكونة من بعض الصحابة الذين كانوا يحفظون القرآن كله أو بعضه وكانوا ممن يكتبون ليراجع بعضهم بعضاً فيما حفظوا . فكتب أول مصحف كامل فى الإسلام للقرآن الكريم يجمع كل السور فى صحائف على شكل كتاب . يقول الله تعالى فى وصف القرآن الكريم﴿ طسٓ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النمل:١-٢) .

فكان هذا المصحف وهو المرجع الأول الصحيح للقرآن الكريم لا يزيد عليه ولا ينقص منه أحد وقد وحّد القرآن الكريم لغات ولهجات القبائل العربية المختلفة فصهرها فى بوتقته وصبغها بصبغته فأصبحوا أمة واحدة لها لسان واحد ودين واحد وقلب واحد وقبلة واحدة وأهداف ومثل واحدة وإله واحد .

ثم بدأت حركة الفتح الإسلامى فى عهد أبى بكر وعهد عمر بن الخطاب من بعده . واتجهت الجيوش الإسلامية إلى كافة الجهات حول الجزيرة العربية ثم جاء عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فرأى أنه لابد من عمل مصحف على حرف واحد (وقد كانت القبائل العربية تقرأ القرآن على سبعة أحرف مختلفة ، كل قبيلة تقرأه على حرف وتبع ذلك اختلاف فى اللغة والقراءة) فكتابة القرآن على حرف واحد يساعد على توحيد قراءة القرآن الكريم لكل مسلم عربى كان أو غير عربى ، فى البلدان التى فتحها المسلمون حتى لا يكون هناك خلافات ولا فرقة بين المسلمين.

وقد شكلت لجنة لهذا الغرض وأخرجوا عدة نسخ من القرآن الكريم ، نسخة لكل مدينة من المدن الإسلامية الكبرى . واستبقيت نسخة فى المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية وأصبحت هذه النسخ التى كتبت فى عهد عثمان ، هى النسخ الرسمية المعترف بها والتى تلغى ما عداها من المصاحف وعنها أخذت المصاحف التى كتبت بعدها . وأما الخط الذى كتب به القرآن الكريم أيام الرسول ﷺ وأيام أبو بكر

الصديق، فقد كان الخط الكوفى أو الحيرى المتولد عن الخط المصرى القديم فى حلقات من التطور من الخط الفينيقى والخط الآرامى وغيرهما . ولم تكن فى حروف هذا الخط نقط تميز ما يتشابه فى أشكال حروفه ، كذلك ولا الأشكال الضابطة فكانت المصاحف غير منقوطة ولا مشكولة .

كانت الكتابة لدى العرب قبل الإسلام قليلة جداً وبدائية جداً . ومواد الكتابة نفسها نادرة وقد كتب القرآن الكريم أيام الرسول ﷺ بهذه الكتابة على مستواها البدائى هذا على مواد متباينة من الرقاق ومن الحجارة الرقيقة والجريد بعد كشط خوصه وكذلك على الخزف والجلد وعظام الحيوان وغيرها وهو الأصل المحفوظ أيام أبو بكر الصديق . وقد أُدخلت على الخط الكوفى بمرور الزمن تحسينات مختلفة . ففى عهد (عبد الملك بن مروان) الخليفة الأموى ، أدخلت النقط والتشكيل على حروف القرآن . ويقال إن (أبا الأسود الدؤلى) هو أول من نقط حروف المصحف ثم كتب القرآن الكريم بالخط العربى المتجدد غير الكوفى . وأدخلت عليه علامات للوقف وإرشادات الأقسام فى أجزاء وأرباع وأحزاب ومواضع معينة فيه كالسجدات وغير ذلك .

* * *

الإعجاز سنة الله تعالى

القرآن الكريم (المعجزة) :

لقد جرت سنة الله تعالى أن تكون معجزات أنبيائه ورسله لأقوامهم من جنس ما برعوا فيه وتفرقوا حتى تكون تحدياً لهم وتعجيزاً ليعلموا أنها ليست من صنع البشر وإنما هى من صنع إله قادر ، فيؤمن بهم من عنده أقل ذرة من الفهم والإدراك السليم .

معجزة موسى عليه السلام :

كانت من جنس ما برع فيه المصريون ونبغوا وتفرقوا وهو السحر فكانت معجزاته لهم أشبه بالسحر وما هى من السحر فى شىء ، حتى إنها أعجزت أئمة السحر عندهم الذين جمعهم فرعون ليغلبوا معجزات موسى عليه السلام وينتصروا عليه ، لكنهم أدركوا حين رأوا معجزات موسى أنها شىء آخر تماماً غير السحر الذى يسحرون به أعين الناس . لذلك كانوا أول من آمن بدعوة موسى وبإله موسى حينما رأوا معجزاته الخارقة التى تخطت حدود السحر وقوته ، فيقول الله سبحانه وتعالى فى سورة الأعراف ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ * وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ * قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ * وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ * وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ * قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ (الأعراف: ١١٠-١٢٢)

معجزة عيسى عليه السلام :

كانت أيضاً من جنس ما برع فيه اليهود وهو الطب والتداوى . لذلك جاءت معجزاته تحدياً صارخاً لعلمهم وطبهم . فكان عليه السلام يحيى الموتى بإذن الله ويشفى الأكمه والأبرص حتى وصل التحدى مداه حين كان يشكل من الطين كهيئة الطير وينفخ فيه فيصير طيراً بإذن الله كما كان ينبئهم بالغيب وما كانوا يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم من مال وطعام وغيره مما لا يعلم سره إلا أصحابه ، يقول سبحانه وتعالى فى سورة آل عمران ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾

(آل عمران:٤٩-٥٠)

معجزة محمد ﷺ :

أما معجزة نبى الإسلام وخاتم النبيين محمد عليه الصلاة والسلام ، فكانت القرآن الكريم وهو معجزة المعجزات ، لم تكن فقط من جنس ما برع فيه العرب ألا وهى الفصاحة وقوة البيان والشعر والأدب .

الحديث الشريف :

قال رسول الله ﷺ : (ما من نبى من الأنبياء إلا وقد أعطى من الآيات ما آمن على مثله من البشر . إنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إلى . وأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة) [١] (رواه الشيخان عن أبى هريرة واللفظ لمسلم) .

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد ٢٤١/٢ عن أبى هريرة رضى الله عنه والبخارى ٣/٩ رقم ٤٩٨١ (فتح البارى)أول كتاب فضائل القرآن ومسلم ١٣٤/١ رقم ٢٣٩ كتاب الإيمان .

لم تكن معجزة محمد ﷺ مادية تخاطب الحواس فقط كما كانت معجزات الرسل السابقين .. وإنما كانت ولا تزال معجزة العقل والعلم والحياة ، معجزة ليست موقوته لقوم بعينهم فى عصر بعينه ، ولكن معجزة لكل الناس فى كل العصور وفى كل مكان حتى يوم القيامة . فمحمد ﷺ أرسل للناس كافة بل للعالمين جميعاً لذلك كانت معجزته وهى القرآن تتحدى الناس جميعاً بل والجن أيضاً أن يأتوا بسورة من مثله . يقول رب العالمين متحدياً الناس بالقرآن الكريم ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَادْعُوا شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (البقرة:٢٣-٢٤) . ويقول سبحانه أيضاً ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـٰذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ (الإسراء:٨٨-٨٩) .

وقد أراد الله تعالى أن تنزل رسالة الإسلام على أهل مكة والمدينة وما جاورهما فى شبه الجزيرة العربية لأسباب كثيرة فالله أعلم حيث يضع رسالته .

أولاً : استجابة من الله تعالى لدعوة أبى الأنبياء خليل الله سيدنا إبراهيم عليه السلام فى أن يجعل أفئدة من الناس تهوى إلى ذريته فى المكان الذى أسكنه الله فيه وذريته والذى رفع فيه بنيان الكعبة (بيت الله) فى واد غير ذى زرع فى مكة ، يقول تعالى فى ذلك ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ فَاجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾
(إبراهيم:٣٧)

ثانياً : أن عرب مكه والمدينة كانوا على فطرة البادية ولم يتأثروا بديانات الشعوب المجاورة القوية والتى لم تستطع أن تستعمرهم وتفرض عليهم دياناتهم وفلسفاتهم قسراً . وذلك لأن موقع شبه الجزيرة العربية الجغرافى جعلها فى حماية الصحراوات الشاسعة من جهة . وفى حماية المحيط والبحر من جهات أخرى . ولقد باءت محاولات الفاتحين والغزاة بالفشل . فبقيت شبه الجزيرة العربية أرضاً بكراً حرة ، حتى جاءها الإسلام فكانت مركز الإشعاع للدعوة الإسلامية إلى جميع أنحاء

العالم ، وقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على رسوله الأمين عليه الصلاة والسلام باللسان العربي المبين ، حتى يفقه قومه ويعقلونه ، ويسهل عليهم حفظه وتلاوته واتباع أحكامه وشرائعه ، يقول المولى جل جلاله ﴿ حمٓ * وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ (الزخرف١:-٤) . وقوله تعالى ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴾ (الدخان:٥٨-٥٩).

وقد قوبل الرسول الكريم بمقاومة عنيفة من كفار مكة وهاجموه عليه الصلاة والسلام كما هاجموا القرآن الكريم نفسه وادعوا أنه ليس من عند الله ، وإنما هو كلام محمد وأنه سحر وأنه شعر وأنه أساطير الأولين . إلى آخر ذلك من اتهامات باطلة . يقول تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا * وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الفرقان:٤-٦).

وينفى الله تعالى أن الشياطين ساعدت وأعانت محمد رسول الله فى ذكر القرآن الكريم ، فيقول سبحانه ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ * وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ (الشعراء:٢١٠-٢١٢). ويقول تعالى أيضاً ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ (الزخرف:٣٠) . وقد تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن الكريم من التبديل والتغيير والتحريف إلى يوم القيامة ، فيقول سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر:٩) .

ويقول تعالى فى هذا المعنى أيضاً ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ (الكهف:٢٧) .

فلسفة القرآن الكريم والإنسان المسلم :

إن الدين الإسلامى الحنيف كما عرفه لنا وعبر عنه رسول الله ﷺ هو (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا). ويصف القرآن الكريم المؤمن الحق بأنه هو الذى يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

فيقول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ (النساء:١٣٦) . ويقول أيضاً ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ * لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة:٢٨٥-٢٨٦) .

إن الدين الإسلامى وفلسفته كانت هى العقيدة الجديدة التى دعا إليها محمد رسول الله ﷺ وهذه الفلسفة الإسلامية هى التى صنعت المسلم المؤمن صنعت هذا الإنسان الذى صنع الحضارة الإسلامية العريقة . فلنتحدث قليلاً عن هذه الفلسفة وأبعادها المختلفة كى نتعرف منها على نظرة الإنسان المسلم المؤمن إلى الخالق المعبود وإلى الكون الشاسع ، وأرضه وسمائه وكيف خلقت ، وإلى مخلوقات الله تعالى الواحد الأحد ، وكيف أنها تعبد الله وتسبح بحمده كل بطريقته الخاصة وإلى الإنسان ذلك المخلوق المفضل المكرم عند الله تعالى كيف خلق ولماذا خلق ، وكيف أن الله تعالى سخرله ما خلق من أرض وسماوات .. إلخ . وكيف بدأ العيش فى هذا الكوكب الأرضى وما علاقته بالملائكة وبالجن وبالشياطين وعن موته وبعثه وحسابه يوم القيامة ثم مجازاته بالجنة أو النار ، هذه الفلسفة هى التى صنعت إنسانا جديدا تماما عمن قبله فى فكره وعقيدته . وكيف أن هذه الفلسفة الإسلامية الإلهية هى التى دفعته إلى طلب العلم والتفكير فى ملكوت الله ، وكيف بدأ الخلق . ثم كيف احتك المسلمون بأهل البلدان التى فتحوها والتى أسلمت وكيف استفادوا من علومهم وحضارتهم وثقافتهم التى لا تتعارض فيها مع فلسفة الإسلام وفكره . ثم كيف استقلوا فى تفكيرهم العلمى والأدبى وأضافوا وابتكروا فى جميع أنواع العلوم والفنون فى الإطار الإسلامى ثم كيف ازدهرت الحضارة الإسلامية حتى عم ضوءها وعبيرها وهديها أركان الدنيا حتى أصبحوا هم أساتذة من جاء بعدهم من حضارات ، وخاصة الحضارة الأوربية الحديثة .

١- وحدانية الله الخالق المعبود :

إن أول ما يميز الإنسان المسلم المؤمن هو إيمانه المطلق اليقينى بأن الخالق المعبود هو إله واحد لا شريك له وأن ما عداه باطل زائف لايملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا يملك لنفسه البقاء والدوام وأن الله سبحانه وتعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما بالحق ، فيقول تعالى ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ (البقرة:١٦٣-١٦٥). وقوله تعالى يتحدث عن نفسه جل جلاله ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾
(البقرة:٢٥٥)

إن التوحيد المطلق للإله هو الأصل وهو الأساس فى الإسلام . فإنه الإله الواحد المعبود الذى دعا إليه الإسلام هو خالق كل شىء المهيمن على كل شىء هو الرزاق ، هو الجدير بالعبادة دون جميع الآلهة المزعومة التى كان يعبدها الناس فى أنحاء العالم والتى تدل على التخبط والضلال .

المعبود عند العرب فى الجاهلية :

كان البعض يذهب إلى تأليه قوى الطبيعة ، فى حين أن البعض الآخر رضى لنفسه أن ينزلق إلى الحضيض فى تسفيه نفسة وإلغاء عقله فيعبد تمثالاً من الحجر أو عصا من الخشب أو قطعة من العجين . وقد كان لبعضهم كهاناً وأشجارا يتلقون منهم الوحى كما كان يفعل الفينيقيون فى الشام . وقد عبدوا أيضاً الملائكة فى صورة

أصنام من الحجر والخشب والمعادن . وكانت عند عرب البادية فكرة الإيمان بوجود أيد خفية تتمثل للمسافر فتستدرجه إلى الهلاك . كما قد شاع عن العرب الإيمان بوجود إله عظيم وهو رب الأرباب لا تدركه الأبصار .

المعبود عند اليهود فى شبه الجزيرة العربية :

كانت مبادئ اليهود قد اصطبغت بصبغة الوثنية ، كان كهانهم يدّعون القدرة على التكهن بالغيب لاتصالهم بالله وكانوا يتخذون (الترانيم) التى كانت نوعاً من المعبودات المنزلية . تصنع على صورة البشر ويستشيرونها فى جميع المناسبات بوصفها مهبطاً للوحى داخل المنازل . وكانوا يعتبرونها آلهة لحراستهم وحمايتهم . وكان كل ذلك من تأثير اتصالهم بالعرب الوثنيين .

المعبودات عند الهندوس والرومان واليونان والمصريين والبابليين :

كانت توجد لديهم الآلهة المتعددة التى كانت أخلاقهم أحط من عابديها .

المعبود عند المسيحيين أتباع عيسى عليه السلام :

لم يكن منهم من يؤمن بمبدأ التوحيد ووجود إله أعظم مهيمن على الكون بقدرته ورحمته إلا عند (يهوه) وحتى هؤلاء بحكم اتصالهم بالأمم الوثنية تدهورت عقيدة الألوهية عندهم . فقد حاروا فى تصور وجود إله لا تدركه الأبصار فكان أن أوجدوا شخصية بشرية ينسبون إليها الألوهية وكانت الحاجة إلى وجود إله قريب من الأبصار هى التى ألجأت المسيحية إلى تصور مثل أعلى أطلقت عليه اسما وكسته لحماً ودماً وعبدته بوصفه إلهاً بشرياً . فبعد أن كانت المسيحية تتسم بالبساطة والتوحيد أيام السيد المسيح عليه السلام فإنها امتزجت بعبادة الأيقونات والقديسين امتزاجاً لا سبيل إلى الخلاص منه .

وتسرب إلى المسيحية ما كان عيسى عليه السلام ينكره من العادات والمساوئ وقد جعل المسيحيون عيسى عليه السلام ابنا لله تعالى ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا

يَصِفُونَ ﴾ (الأنعام: ١٠٠) بل قد جعلوه هو وأمه عليهما السلام إلهين من دون الله . فكان على نبى الإسلام عليه الصلاة والسلام أن يدخل هذا الصراع النبيل الذى يخوضه ضد النزعات الرجعية والتى تهدف إلى الإشراك بالله تعالى . فأعلن محمد ﷺ عن وحدانية الله المعبود الواحد الذى لا شريك له فى الملك . وحارب عبادة الأحجار والملائكة والنجوم والشمس والقمر والحيوان والإنسان . وأمره الله تعالى أن يعلن على الناس إنما إلههم إله واحد ، فيقول سبحانه وتعالى لمحمد ﷺ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾(الإخلاص: ١-٤). وقد وجه الله تعالى إلى أهل الكتاب الذين يدعون أن المسيح ابن الله هـذه الآيـات الكريمـة ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا * لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ (النساء: ١٧١-١٧٢) .

وأيضاً يخاطب الله تعالى أهل الكتاب مستنكراً قولهم بأن لله ولد ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا * لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا * تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا * وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا * لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾ (مريم: ٨٨-٩٤).

وفى هذه الآيات البينات تقرأ قول الله العظيم موبخاً اليهود لعبادتهم الجبت والطاغوت . وهى الترانيم التى سبق الإشارة إليها . ولتقديسهم (عزيراً) وقولهم إنه ابن الله . كما يقرع النصارى أيضاً لعبادتهم عيسى ابن مريم ورهبانهم وكهانهم .

يقول تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ (النساء: ٥١) .

ويقول تعالى ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (التوبة: ٣٠-٣٢) . وقال الله تعالى ينزه نفسه عن أن يكون له ولد ، وكيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ؟؟ ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (الأنعام: ١٠١-١٠٣) فالله المعبود الخالق القادر على كل شىء هو الجدير بالعبادة وحده وهو الذى يقول ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (النحل: ٤٠).

وكل من قال بغير وحدانية الله الواحد القهار ، فهو جاهل لا يعقل ، يقول الله تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (الزمر: ٦٧) .

ويقول سبحانه وتعالى منذراً من قال إن لله ولد ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ (الكهف: ٤-٥)

جميع المخلوقات تسجد لله :

قد تعلم الإنسان المسلم من القرآن الكريم أن جميع مخلوقات الله تعالى فى أى مكان وفى كل زمان تؤمن بالله الواحد القهار فهى خاضعة له ، تخشاه وتصدع بأمره صاغرة طائعة ، كل المخلوقات تؤمن بوجود الله الخالق العظيم منها الملائكة وكل الدواب فى السماوات والأرض ، حتى الجماد والنبات كالشمس والقمر

والكواكب والأرض بما عليها من شجر وزرع وماء وجبال وما تحتها من حشرات وحيوانات ما نعلمه وما لا نعلمه ، كل مخلوق يعبد الله ويسبح بحمده بطريقته التى علمها إياه الله رب العالمين ، إلا الإنسان ومثله الجن فمنهم المؤمنون ومنهم الكافرون ، يقول رب السماوات والأرض فى هذا المعنى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ * وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (النحل:٤٨-٥٠). وكذلك يبين الله تعالى فى هذه الآية الكريمة أن السماوات السبع ومن فيهن يسبحن بحمد الله وإن من شيء في الوجود كله إلا ويسبح بحمد الله ولكن لا يفهم الناس تسبيحهم يقول تعالى ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (الإسراء:٤٤). وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ (الحج:١٨) .

الحديث الشريف :

١- فى حديث أبى ذر : أن النبى ﷺ أخذ فى يده حصيات فسمع لهن تسبيح كطنين النحل .

٢- قال الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ : أنه دخل على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل ، فقال لهم : «اركبوها سالمة ودعوها سالمة ولا تتخذوها كراسى لأحاديثكم فى الطرق والأسواق فرب مركوب خير من راكبها وأكثر ذكرا لله منه ».[1]

---

(١) الحديث رواه أحمد ٤٣٩/٣ وبرقم ١٥٥٧٦ بتحقيق الشيخ شاكر وسنده صحيح وبرقم ١٥٥٦٦ بسند حسن وعزاه فى كنز العمال لأبى ليلى والطبرانى فى المعجم الكبير.

٣- قال رسول الله ﷺ :« ألا أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه ؟ إن نوحاً عليه السلام قال لابنه : يابنى آمرك أن تقول سبحان الله فإنها صلاة الخلق ، وتسبيح الخلق وبها يرزق الخلق ». [(١)]

الطير تسبح وتصلى :

حتى الطيور الصافات فى جو السماء تسبح بحمد الله خالقها ورازقها ، يقول تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (النور:٤١) .

ومن الأمثلة الواضحة فى القرآن الكريم التى تدل وتؤكد وتعلم وتخبر المسلم المؤمن بالله أن الطيور تؤمن بالله الواحد وتسبح بحمده وتميز بين الصواب والخطأ . وتدرك ما تراه وما تسمعه وتفهمه وتعنيه ذاكرتها جيداً مثل الإنسان تماماً . مثلاً الهدهد فى قصة نبى الله سليمان عليه السلام الذى أنعم الله عليه بأن علمه منطق الطير ولغته ، هذا الهدهد وهو طائر غاب عن سليمان عليه السلام عدة أيام ولما عاد أخبره بأنه كان ببلاد اليمن فى مملكة سبأ ورأى ملكتهم ورأى قومها يعبدون الشمس والقمر من دون الله ، وأخبره بأنهم قوم ذوى بأس شديد ومحاربون أقوياء ، يأتمرون بأمر مليكتهم التى أوتيت من كل شيء الجمال والذكاء والشخصية والنفوذ والسلطان والمال . وقد وعى الهدهد كل ذلك فى ذاكرته وحكاه لنبى الله سيدنا سليمان الذى اختبر صدقه بأن أعطاه كتاباً إلى ملكة سبأ ، يطلب فيه أن تأتيه هى وقومها مسلمين وقد تبين سيدنا سليمان صدق الهدهد وصحة ما أخبر به بعد ذلك ومن هذه القصة التى أوردها القرآن الكريم نتبين أن الهدهد مؤمن بالله الواحد الأحد وأنه أدرك أن قوم سبأ يعبدون آلهة أخرى غير الله الواحد الأحد يعبدون الشمس والقمر . يقول تعالى عن الهدهد ونبى الله سليمان مخبراً أن الهدهد طائر مثله كمثل الإنسان يرى

---

(١) الحديث رواه الطبرى فى التفسير ١٦/١٥ وابن كثير فى التفسير أيضاً ٥/٧٧ . وحسنه العراقى والزبيدى فى مجموع شواهده كما فى إتحاف السادة المتقين ٣٤٢/٨

ويدرك ويفهم ويعقل ويتذكر ويقول بلغته التى يفهمها سيدنا سليمان .. ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ * قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ * ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ * قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴾ (النمل: ٢٠-٢٩) .

الدواب تسبح وتصلى :

تسبح بحمد الله وتسجد له ومن أمثلة ذلك قصة النملة التى حذرت قومها من جند سليمان حتى لا يدوسونهم بالأقدام وهم لا يشعرون . فهى تطلب منهم أن يدخلوا مساكنهم إن أرادوا النجاة وقد سمعها سليمان عليه السلام وفهم ما قالته وتبسم ضاحكاً ، وشكر الله على ما أنعم به عليه ، يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (النمل: ١٧-١٩) .

الحديث الشريف :

نهى النبى عن قتل أربع من الدواب (النملة والنحلة والهدهد والصُّرَدْ) [١]

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد فى المسند١/٣٤٧ وبرقم ٣٢٤٢ وسنده صحيح .وفى رقم ٣٠٦٧ صححه الشيخ شاكر أيضاً .وعزاه إلى ابن ماجه وهو فى الطبرانى فى المعجم الكبير ٣٩٨/١٢ والبيهقى فى السنن الكبرى ٣١٧/٩ .

يقول تعالى ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (الأنعام:٣٨) .

وفى اعتقادى أن ما يسرى على الهدهد والنملة يسرى على كل مخلوقات الله تعالى التى تدب على الأرض أو تطير بجناحيها فى جو السماء ، فلا نغمط حق هذه الدواب والطيور قدرها ، فهى قادرة على الفهم والإحساس والشعور بما يحيط بها ويحدث حولها فلنحسن معاملتها ونستحى منها ، فهى مثلنا تماماً ولكنها خلقت فى أجساد مختلفة عنا ولكل منها لغته الخاصة به .

الحديث الشريف :

عن أبى ذر قال : بينما نحن عند رسول الله إذا انتطحت عنزان فقال رسول الله : أتدرون فيما انتطحتا ؟ « قالوا : لا ندرى . قال : ولكن الله يدرى وسيقضى بينهما » وفى الحديث :« إن الجمعاء لتقتص من القرناء يوم القيامة » (رواه الإمام أحمد فى المسند) ويخبرنا الخالق العليم بأن الدواب والطيور إنما هى أمم مثلنا تماماً .

والملائكة تسبح وتسجد :

يقول سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴾(الأعراف:٢٠٦).

الحديث الشريف :

قال رسول الله ﷺ : (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها . يتمون الصفوف الأول فالأول ، ويتراصون فى الصف) [١]

خلق السماوات والأرض :

ومن رحمة الله تعالى بالناس أن حدثهم فى القرآن الكريم عن كل شىء حتى يكونوا على علم بالحقيقة الخالدة الخالصة الصادقة فلا يتبعون أقوال المغرضين

---

(١) الحديث رواه مسلم ٣٢٢/١ رقم٤٣٠ ضمن حديث طويل وأحمد ١٠١/٥ عن جابر بن سمرة وابن أبى شيبة ٣٥٣/١ وابن ماجه رقم ٩٩٢ وعبد الرزاق فى مصنفه رقم ٣٤٣٢ كتاب الصلاة والطبرانى فى المعجم الكبير.

المضللين الذين طمسوا تعاليم الرسالات السماوية الكريمة وحرفوها ليستفيدوا من هذه التحريفات مكانة وسلطاناً وملكاً ونفوذاً ومالاً بين الناس .

أما بعد نزول القرآن الكريم فقد تحررت العقول من هذه الخرافات والترهات والأباطيل وأنير الطريق أمام عقول الناس وما أعظم وأروع تحرير العقول فإن كثيراً من الناس قبل الإسلام كانوا ينظرون إلى السماء فلا يستطعيون لها تصوراً ولا تفسيراً . وقد قرأنا كثيراً عن تصور القدماء للسماء ، فمنهم من قال إنها خيمة كبيرة ومرصعة بالنجوم والكواكب وأن ما يرونه بأعينهم هو الكون كله وليس بعده شيء ، ومن الناس من كان يعبد النجوم والكواكب معتقدين أنها آلهة تشرق عليهم ليلاً ونهارا لتدبر أمور الدنيا ومن عليها فصنعوا لها التماثيل التى ترمز إليها وعبدوها وقدموا لها القرابين وهؤلاء هم الصابئون .

أما الأرض : فقد كانت الشعوب القديمة تعتقد أنها عبارة عن بساط ممتد ، وأنها تنتهى عند شاطئ محيط مثلاً ، ومنهم من كان يقول ويعتقد أن الأرض عبارة عن كرة ضخمة يحملها ثور على أحد قرنيه ، فإذا ما شعر بالتعب نقلها إلى القرن الثانى وهذا هو الذى كان يسبب الزلازل فى اعتقادهم . وفى وسط هذا التخبط والحيرة والظلام والضلال أنزل رب العالمين ، النور والهدى ليهدى النفوس الحائرة والقلوب القلقة ، والعقول المتعطشة إلى الحقيقة العظمى إلى النور والعرفان ، ويعلمهم كل شيء يخطر على بالهم ويجيب على كل سؤال يتردد على ألسنتهم وفى عقولهم ، أنزل الله النور والهدى القرآن العظيم .

وقد حدثنا القرآن العظيم عن ماهية السماوات والأرض كيف خلقت ، وما أصل البلايين من النجوم والشموس التى لا نهاية لها فى الكون الشاسع الذى لاحدود له ، قال تعالى فى القرآن الكريم ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ * وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ * وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (الأنبياء: ٣٠-٣٣)

تقرر هذه الآيات الكريمة حقائق علمية منذ ١٤٠٠ عاماً مضت قبل أن يهتدى الإنسان المعاصر إلى نظريات تفسر كيف خلق الكون فالقرآن العظيم يقرر أن السماوات والأرض أى النجوم والكواكب والشموس والأرض كانت كلها كتله واحدة متصلة متماسكة ملتحمة ، فتفتتت إلى آلاف البلايين من القطع التى انتشرت فى فراغ الكون .

وتقول أحدث النظريات العلمية (التى أجمع على صحتها أشهر علماء الفلك فى العالم) فى تفسير نشأة الكون ، أن الكون قبل أن يأخذ صورته الحالية بما فيه من كواكب ونجوم هائلة الأعداد والأحجام ، كانت حشداً هائلاً متجمعاً فى أبسط صورة لقوى الذرات المتصلة الواقعة تحت ضغط هائل لا يكاد يتصوره العقل . وأن جميع أجرام السماوات الموجودة حالياً كانت مكدسة تكدساً شديداً على شكل كرة ضخمة لا يزيد نصف قطرها على ثلاثة ملايين من الأميال .

وقوله سبحانه وتعالى ﴿ فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ (الأنبياء:٣٠) إشارة لما يحدث لذلك السائل النووى الأولى من انفجار عظيم انتشرت بسببه مادة الكون فيما حولها من أجواء ، انتهت بتكوين مختلف أجرام السماء المنفصلة بما فيها المجموعة الشمسية التى بها كوكب الأرض . ويخبرنا القرآن العظيم أن الله سبحانه وتعالى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش .

فيقول تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (السجدة:٤) .

أما الأرض وحدها فقد أخبرنا القرآن الكريم أن الله تعالى خلقها فى يومين وقدر فيها أقواتها وأرزاقها فى أربعة أيام ثم استوى جل شأنه إلى السماء وهى دخان أى على هيئة دخان من التراب النجمي الذى يملأ الكون (وهو المادة التى خلق الله تعالى منها النجوم والكواكب) ثم جعلها سبع سماوات طباقاً فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها . ثم زين سبحانه وتعالى السماء الدنيا بمصابيح وهى الكواكب

والنجوم تنير ليلاً وتسر الناظرين إليها ، وكذلك جعلها حفظاً للسماوات العلا من الشياطين يقول الخالق القدير . ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَٰلَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَىٰٓ إِلَى السَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ * فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾
(فصلت:٩-١٢)

الزمن النسبى :

وهنا أيضاً يقرر القرآن الكريم حقيقة علمية قبل أن يكتشفها العلماء بألف وأربعمائة عام ، وهى أن الأيام خارج نطاق كوكب الأرض تختلف عن أيامنا على الأرض طولاً وقصراً وأن الزمن النسبى ، فإن (وحدات الزمن) التى يستخدمها الناس فى الأرض مرتبطة بالأرض ودورانها حول نفسها وحول الشمس . فالسنة الشمسية تحتسب بمقدار الزمن الذى تقطع فيه الأرض دورة كاملة حول الشمس أى فى (٣٦٥ يوماً) .

فى حين أن (وحدات الزمن) وهى السنة والشهر واليوم والساعة فى الأجرام الأخرى تختلف طولاً وقصراً . فمثلاً (الكوكب عطارد) وهو قريب من الشمس يقطع دورة كاملة حول الشمس فى (٨٨ يوماً) أى أن السنة فى عطارد ٨٨ يوماً فقط ، فى حين أن (الكوكب بلوتو) وهو أبعد الكواكب السيارة عن الشمس وأبطأها يتم دورته حول الشمس فى ٢٥٠ سنة من سنواتنا الأرضية (فوحدات الزمن) عند الله التى يتحدث عنها القرآن الكريم تختلف كثيراً عن وحدات الزمن عندنا فى الأرض يقول الله تعالى ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (الحج:٤٧) .

وقد أثبت العلم الحديث أن كل شىء فى السماء فى حركة دائمة دائبة ويسبح فى فلك خاص به . فالقمر يدور حول الأرض ، والأرض تدور حول الشمس وكذلك

كل الكواكب فى مجموعتنا الشمسية تدور حول الشمس بمجموعتها تدور دورة خاصة بها فى فلك محدود فى زمن معين . وأيضاً السدم الهائلة المكونة من آلاف البلايين من النجوم والتى تشبه مدناً وتجمعات هائلة من النجوم فى الفضاء بينها فراغات هائلة هى الأخرى تدور فى الفضاء اللانهائى دورة خاصة بها . وقد أخبرنا القرآن الكريم أيضاً منذ ١٤٠٠سنة أن الكون بما فيه من نجوم وكواكب دائم الاتساع.

يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (الذاريات:٤٧) .

وقد اكتشف علماء العصر الحديث هذه الحقيقة وعلى رأسهم (أينشتين) أن الكون يتسع ويكبر فى الحجم باستمرار . وقد استطاع علماء الفضاء هذه الأيام تصوير حدود الكون ووجدوا أن نجوما صغيرة تتوالد على أطراف الكون أى أنه يتسع باستمرار وعلى ذلك وباختلاف الوحدات الزمنية طولاً وقصراً من كوكب إلى آخر ومن مجموعة شمسية إلى أخرى ومن سديم إلى سديم إلى الأحجام التى لا يحدها خيال يطول اليوم ويقصر يقول رب الكون العظيم ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (السجدة:٥) ويقول سبحانه عن يوم أكبر ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (المعارج:٤) وقد أثبت العلم الحديث أيضاً أن طرق السماء كلها مائلة على شكل أقواس وهذا راجع إلى خطوط المجال المغناطيسى للكواكب ومن هنا قال تعالى ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ والعروج هو الصعود بمنحنى وليس على خط مستقيم .

الشمس والقمر :

وقد علمنا القرآن الكريم منذ ١٤٠٠ سنة أى قبل أن يتوصل علماء القرن العشرين إلى حقيقة الشمس والقمر بإمكاناتهم العلمية الحديثة ، أن الشمس هى سراج وهاج أى أنها منبع للإشعاع الحرارى الضوئى .

أما القمر فهو نور فقط وليس مصدراً للحرارة ، ويقرر القرآن هذه الحقيقة فيقول ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ (نوح:١٥-١٦) .

وعلمنا القرآن العظيم أنهما وسيلتان لمعرفة الحساب ، وحساب الأيام والسنين فهما تدوران فى فلكهما بحساب دقيق لا يختل ، يقول تعالى ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴾ (الرحمن:٥) .

ويقول أيضاً جل شأنه ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ (يونس:٥) .

أما الأهلة فهى مواقيت للناس والحج ، يقول سبحانه وتعالى ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (البقرة:١٨٩) .

وتقول الآيات الكريمة ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِى لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ * وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ * لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِى فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾ (يس:٣٨-٤٠) . أى أن الشمس تجرى فى فلكها إلى مستقر قدره الله لها فى النهاية وكذلك له فلك خاص به فلا الشمس مقدر لها أن تدرك القمر والليل أيضاً لا يسبق النهار وإنما هما خلفة أى أن كل منهما يخلف الآخر باستمرار وذلك إن دل فإنما يدل على قدرة العزيز العليم وعلمه ودقته وحكمته .

أما الشهور : فقد علمنا القرآن الكريم أن الشهور على الأرض فى علم الله يوم خلق السماوات والأرض عدتها اثنى عشر شهراً .

يقول العزيز العليم ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾

(التوبة:٣٦)

النجوم :

أما النجوم التى حار الناس فى أمرها قديماً وقد عبدها بعضهم ، ونسبوا إليها أنها تنبئهم بالغيب وبالأحداث التى تحدث لهم وللأرض ، وعلم التنجيم معروف عن الأمم السابقة وكان المنجمون لهم مكانة خاصة عند الملوك والحكام لاعتقادهم بأن النجوم تخبر بالمستقبل . فيخبرنا القرآن الكريم أن الله تعالى خلقها زينة وحفظاً للأرض ونوراً يمشى فيه الناس فى الأرض ليلاً لتهديهم سبلهم ، كما أن الله تعالى جعلها سياجاً وحماية للسماوات العلى من كل شيطان رجيم من الجن يريد استراق السمع لأخبار السماء يقول الحق ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأنعام:٩٧) ويقول تعالى أيضاً ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ * وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾

(الحجر:١٦-١٧)

سكان السماء :

وكما خلق الله تعالى الأرض وأسكنها الإنسان والحيوان والطير وجميع الأحياء الأخرى فإنه تعالى خلق أيضاً فى السماء أحياء أخرى ودواب كثيرة لا نعلم شكلها ولا طبيعتها . وأنه من الممكن إذا شاء الله تعالى أن يجتمع أهل السماء مع أهل الأرض وأن نراهم ونتعرف عليهم ونعلم ماهيتهم وطبيعتهم وأشكالهم ونعلم ما وصلوا إليه من تقدم وحضارة . يقول تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾ (الشورى:٢٩) .

ولعل ما نسمع عنه من أن بعض الناس قد شاهدوا أجساماً طائرة مستديرة الشكل أو مستطيلة أو أسطوانية أو كروية ، تمرق فى الفضاء بسرعة خارقة وهى ما يطلق عليها (الأطباق الطائرة) فلعلها حقيقة مجسدة وقد اعترف السلاح الجوى الأمريكى بأن أجهزة الرادار قد سجلت أجساماً طائرة فى السماء ، فطارت وراءها الطائرات النفاثة الأسرع من الصوت ولكنها لم تستطع اللحاق بها حيث اختفت فى

أجواء الفضاء العليا فى لمح البصر وقد أتيح لى أنا شخصياً أن أرى هذه الأطباق الطائرة مرتين بعينى رأسى المرة الأولى كانت فى صيف عام ١٩٦٥ وكانت على شكل كرة بيضاء مضيئة متوهجة كانت تسير على ارتفاع شاهق فى خط مستقيم ثم توقفت برهة ثم فجأة اندفعت إلى أعلى فى خط منحنى على شكل قوس أى عرجت ثم اختفت عن الأنظار ، وقد شاهدها معى جميع أفراد أسرتى .

وفى المرة الثانية كان الزمن ليلة من ليالى الصيف والسماء صافية تتلألأ فيها النجوم ، وكنت فى سينما صيفى مكشوفة فسمعت أنا والمشاهدون جميعاً صفيراً متصلاً يجىء من السماء فنظرنا جميعاً ورأينا جسماً أبيضاً متوهجاً على شكل كرة صغيرة على ارتفاع كبير يسير من الشمال إلى الجنوب تاركاً وراءه شراراً برتقالياً يتطاير وراءه على شكل ذيل ، كان يسير فى اتزان وثبات منطلق فى سرعة الطائرة . وقد ذكرت الصحف التى صدرت فى صباح اليوم التالى أن هذا الجسم الطائر شوهد فى نفس الساعة (الحادية عشر مساء) فى الإسماعيلية ثم فى القاهرة ثم فى الصعيد ، كل ذلك فى الوقت الذى كانت التجارب على الأقمار الصناعية سواء الروسية أو الأمريكية فى مراحلها الأولى عن إطلاق الكلبة لايكا فى قمر صناعى ومعروف أن القمر الصناعى كان يسير مترنحاً أما هذا الجسم فكان يسير فى ثبات واتزان ليس له أى اهتزاز أو ترنح كالطائرة تماماً . وقد ذكرت الصحف والمجلات فى كل بلاد العالم أن هذه الأجسام قد رؤيت بكثرة ولا يعلم لها أحداً تفسيراً .

ونحن لا نستبعد أن تكون هذه الأطباق الطائرة حقيقة واقعة وأنها من صنع أحياء أرقى منا حضارة وعلماً جاءوا ليستكشفوا كوكب الأرض . وقد روى لى أخى الأكبر وكان يعمل طبيباً بالأسكندرية أنه شاهد طبقاً طائراً على شكل أسطوانى (مثل السيجارة) فى وضح النهار فوق مدينة الأسكندرية ثم اندفع فوق البحر فى سرعة خارقة حيث اختفى تماماً وأخى هذا رجل لا يكذب وكان ذلك فى عام ١٩٣٨-١٣٣٩م . والآية الكريمة تنبئنا بوجود هذه المخلوقات فى السماء ، وأنه سيأتى اليوم الذى يجمع الله أهل الأرض بأهل السماء لا شك فيه حينما يشاء سبحانه وتعالى .

كوكب الأرض :

ويعلمنا القرآن الكريم الكثير جداً عن هذا الكوكب الذى نحيا عليه وفيه ، منذ آلاف السنين . وقد حار الناس فى الأزمنة السحيقة فى تخيل شكل الأرض فقد كانوا يظنون أنها مسطحة وأن لها نهاية تحدها المياه ، مياه المحيطات وبحور الظلمات . وظل هذا الاعتقاد سائداً عند الأوربيين حتى قبيل عصر النهضة حينما أثبت علماؤها أن الأرض كروية بينما القرآن يخبرنا بكروية الأرض منذ ١٤٠٠ سنة . كما كان الناس قبل نزول القرآن يظنون أن الأنهار إنما تنبع من الجنة فى السماء .

كذلك علمنا القرآن الكريم أن الناس أنما خلقوا من تراب هذه الأرض وأخبرنا القرآن أيضاً أن الله تعالى خلق سبع سماوات ومن الأرض مثل هذا العدد . وقد تكون هذه الأراضى مثبته فى الكون الفسيح الذى لا يعلم مداه إلا الله . وأن الحياة موجودة عليها وأن بها أحياء ، والمحاولات العلمية الآن على قدم وساق لمحاولة الاتصال بالكواكب الأخرى ودراسة خصائصها وهل تصلح للحياة أم لا . وسوف تجىء الأيام بالخبر اليقين .

ومن الأصوب أن نقول بأن هناك سبع أراضى سمائها فوق بعض . أولها كوكب الأرض الذى نعيش عليه ، والست الباقيات مخلوقة بذبذبات أعلى من ذبذبات كوكبنا ، بحيث لا نستطيع رؤيتها ولا الإحساس بها ، وإنما كلها تتدرج فى سرعة ذبذباتها بدءاً من الأرض التى نعيش عليها حتى الأرض السابعة وهى أعلى فى سرعة ذبذباتها من الست الأخريات . وأن الناس بعد موتهم تصعد أرواحهم حسب درجاتهم من الشفافية والتقوى إلى الأراضى التى تناسب ذبذبات أرواحهم قوة أو ضعفاً . وتمكث بها حتى يوم القيامة . ولكل أرض من هذه الأراضى السبع سماءها التى تخصها . وقد يكون هذا هو البرزخ والله أعلم .

يقول سبحانه وتعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ (الطلاق: ١٢) .

خلق الأرض :

لقد خلق الله تعالى الأرض فى يومين من أيام الله ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (الحج:٤٧) . ثم جعل فيها رواسى من الجبال الشم حتى لا تميد بمن عليها . يقول تعالى ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ (فصلت:٩-١٠).

شكل الأرض :

تقول الآيات الكريمة ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا * وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ * أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا * وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا * مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ (النازعات:٢٧-٣٣) .

وهنا يصف الله تعالى شكل الأرض عندما خلقها بأنها كانت على شكل الدحى أى البيضة لها قطبين أو طرفين . ونتيجة لدورانها حول نفسها يتسع الوسط باستمرار من شدة الطرد المركزى ويقترب الطرفان وتنقص أطرافها تبعاً لذلك حتى تصبح كروية كما هو الحال الآن ، وإذا امتد الزمن بالأرض يزداد اقتراب الطرفين فتلقى الأرض ما بداخلها وتصبح فى النهاية كالرغيف المرقق مستويه تماماً ، يقول تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (الرعد:٤١) .

لأن الضغط الهائل على باطن الأرض من أعلى وأسفل يجعلها تلقى ما بداخلها من أثقال ويقول تعالى ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (الزلزلة١:-٨) . وهنا يكون يوم تقوم الساعة والله أعلم ...

سطح الأرض :

ولاتساع سطح الأرض اتساعاً لا يحده البصر وامتداده مسطحاً إلى مسافات بعيدة تعد بآلاف الأميال ، فإنها تظهر كما لو كانت مسطحة وتظهر على جانبيها الجبال الشاهقة ليسهل على الإنسان سكناها وزراعتها والسير فيها . والأرض تراها على شكل سهول واسعة ممهدة كما لو أن يداً سطحتها ومهدتها بشكل يثير التساؤل والعجب ، يقول تعالى ﴿ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴾ (الذاريات:٤٨) . كذلك يصفها الله تعالى بالامتداد الطويل وأنها صالحة للزراعة والسكنى . يقول عـز وجـل ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ (ق:٧-٨) . وسبحان الذى يذكرنا بقدرته فيقول ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (الغاشية:١٧-٢٠) .

الأرض كروية :

ومنذ أكثر من ألف وأربعمائة عام أخبرنا القرآن الكريم أن الأرض كروية والآيات الدالة على ذلك كثيرة ، منها : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (الرعد:٤١) .

هذه الأرض التى تدور حول نفسها فى سرعة هائلة ومنذ ملايين السنين وهى التى كانت تشبه البيضة فى شكلها ، ولكن قوة الطرد المركزية للدوران السريع تدفع جسم الأرض البيضاوى من الوسط إلى الخارج قليلا من جميع الجهات ، فينتج عن ذلك أن طرفيها العلوى والسفلى يتناقصان بالتدرج فيتحول شكل الأرض البيضاوى بمرور الزمن إلى الشكل الكروى ولسوف يستمر هذه التناقص من الطرفين مادامت الأرض تدور حول نفسها حتى تصير كالقرص المستدير فتلقى ما فيها وتتخلى ، والآية الأخرى التى تدل على كروية الأرض تقول ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ (ق:٧) .

فإذا ما سار الإنسان على الأرض فإنه يشعر بامتدادهـا أمامـه امتـدادا لا نهائـياً لا يريد أن ينتهى مهما سار عليها شهوراً أو سنينا وهو لن يصل إلى نهاية الأرض أبدا،

اللهم إلا إذا رجع إلى مكان معين بدأ منه ألا يدل هذا على أن الأرض ليست مكاناً مستقيماً ، له بداية ونهاية وأنها لا بد وأن تكون كروية يقول الخالق العظيم ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾ (الزمر:٥) .

فقوله تعالى أنه يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل فيه وصف بأن الليل غطاء كروى يغطى النهار وأن النهار غطاء كروى يغطى الليل على سطح الأرض وهذا يوحى على الفور بأن الأرض التى يتوالى عليها الليل والنهار تشبه الكرة .

دوران الأرض :

ويخبرنا الله العظيم فى القرآن الكريم بأن الأرض تدور حول نفسها وليست جامدة ، فيقول سبحانه ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ (النمل:٨٨) .

مخلوقات الله تعالى على الأرض :

ويخبرنا القرآن الكريم بأن السماوات والأرض مليئة بالمخلوقات التى أوجدها الخالق العظيم والتى قدر لها أرزاقها والتى تسبح بحمده وتسجد له فيقول : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾ (الشورى:٢٩) . ويقول أيضاً ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾ (الرحمن:٢٩). وسكان الأرض كثيرون يعدون بألوف الملايين سواء من كان منهم على سطحها أو فى باطنها أو فى الماء أو الجو . فالإنسان من سكان الأرض وكذلك الوحوش والبهائم والزواحف والحشرات والطيور والأسماك ومنها من هو أصغر من أن يرى بالعين المجردة كالبكتريا والميكروبات وغيرها ومنها ما يمشى على رجلين ومنها ما يمشى على أربع ومنها ما يزحف على بطنه . ثم لا ننسى أن الجن أيضاً من سكان الأرض .

الماء :

ولقد خلق الله تعالى من الماء كل شيء حى . فقد خلق آدم من الماء والتراب وكذلك كل الأحياء وقد أثبت العلم الحديث أن جسم الإنسان يتكون علمياً من ٧٠٪ من الماء والباقى من العناصر المختلفة .

مصدره :

ولما كانت الأحياء لا تحيا إلا بالماء والغذاء فقد أنزل الله سبحانه الماء من السماء ، ماء عذباً طهوراً يسقى به النبات وجميع الأحياء التى على ظهر الأرض من إنسان إلى حيوان إلى طير إلى كل من يدب عليها أو ينبض له قلب ، ويبين لنا الله مصدر الماء الذى نشربه ونسقى به أنعامنا وزروعنا تقول الآية الكريمة ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ * وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ * رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾ (ق:٩-١١) .

الرياح :

ويعلمنا القرآن الكريم بأن هذا السحاب المحمل بالماء إنما يسوقه الله تعالى إلى المكان الذى يحتاج إلى الماء بواسطة الرياح فيقول تعالى : ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا * فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا * فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا * فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا * إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ * وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴾ (الذاريات:١-٦) ويقول الله تعالى فى آية أخرى ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ * وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾(الحجر:٢١-٢٣) كذلك يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ * فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ * وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ (المؤمنون:١٨-٢٢) .

وفى هذه الآية الكريمة يعلمنا الله تعالى كيف ينزل المطر من السماء .

وهو كلام لا يستطيع أن يعلمه إلا عالم سبق له ركوب الطائرة ورأى بعينه جبال السحب الركامية التى يبلغ ارتفاعها من ١٥ إلى ٢٠ كيلو متراً تتجه قممها إلى

أعلى ، ولما لم تكن الطائرات موجودة أيام الرسول عليه الصلاة والسلام فإن ذلك دليل على أن الكلام هو كلام الله العليم الخبير ، فهو سبحانه الذى يقول لنا إن السحاب يتراكم بعضه فوق بعض ويعلو مكوناً ما يشبه الجبال العالية ، فيخرج من بينها برداً (ثلجا) يشبه الحصى ينزل على الناس فينفعهم بمائه أو يضرهم حسب مشيئة الله تعالى ، ويحدث من احتكاك هذه السحب ، البرق الذى يكاد يذهب ببصر الرائى من شدة ضوئه يقول تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ (النور:٤٣) .

ويعلمنا القرآن الكريم بأن الذى يحرك السحاب فى كل اتجاه هى الرياح فتسوقه يميناً ويساراً وإلى كل اتجاه حسب مشيئة الله فيصرفه سبحانه إلى حيث يشاء ولمن يشاء تقول الآية الكريمة ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا * فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا * فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا * فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا * إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ * وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴾ (الذاريات:١-٦) .

ويقول سبحانه ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (الروم:٤٨) .

هذه الرياح التى تثير السحاب هى أيضاً تحرك الجوار فى البحر (المركب والسفن) بقوتها من مكان إلى مكان فلو أمرها الله لسكنت وتوقفت حركة النقل فى البحار والأنهار . ولكنها نعمة وفضلاً منه تعالى لعباده . فالرياح هى الطاقة المحركة للسفن والمراكب الشراعية منذ قديم الأزل قبل اكتشاف أنواع أخرى من الطاقة وهى أيضاً من فضل الله . تقول الآيات الكريمة ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ * إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴾ (الشورى:٣٢-٣٤) .

أنواع الماء :

هناك ماء البحر الملح الأجاج الذى لا يصلح للشراب ولا لسقيا النبات ، وهذا موجود فى البحار والمحيطات والبحيرات المالحة . وهناك الماء العذب الفرات الذى ينزل من السحاب رائقاً حلواً طهوراً . فيستقر فى الأنهار أو تحت الأرض فى الخزانات الهائلة التى تنبثق منها العيون والينابيع الحلوة العذبة السائغة للشاربين من الناس والدواب والأنعام والصالحة لسقيا النبات ، هذا الاختلاف فى الصفات والمزايا للماء يجعل كل منها (المالح والعذب) لا يبغى أحدهما على الآخر لو تجاورا فنرى البحر المالح الأجاج بجوار الماء العذب الفرات ولكن الماء لا يمتزج ببعضه ليصير كله مالحاً لا يصلح لشراب الإنسان والدواب والنبات على الأرض . فتقدير الله العليم الخبير جعل الماء العذب محفوظاً من الامتزاج بالماء المالح وذلك بأن خلق لكل منهما خصائص كيميائية لا تسمح للماء المالح بأن يبغى على الماء العذب رغم تجاورهما .يقول تعالى ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن:١٩-٢١). فالماء المالح المشبع بالأملاح هو الذى يجذب ويمتص الماء العذب وليس العكس وكذلك فإن الماء العذب ينزل إلى البحر من أماكن عالية إلى البحر المنخفض .

خزانات الماء تحت الأرض :

وقد جعل الله تعالى للماء الذى ينزل من السماء بكميات هائلة ، فتفيض فى الأنهار ، وتذهب بعدها إلى البحار والمحيطات ، جعل للكميات التى تتشربها الأرض والمال ، خزانات هائلة تحت سطح الأرض تشبه البحيرات الواسعة وهى تستخرج ماءها بواسطة الآبار والينابيع فالأرض لا تخلو من الماء العذب وإنما يخزنها الله تعالى لنا فى باطن الأرض لحين الحاجة إليها .

النباتات :

وقد خلق الله تعالى على سطح الأرض وفى أعماق البحار والمحيطات ألوف الملايين من النباتات المختلفة المتنوعة ، من كل شكل ونوع ولون ، وكلها لا تعيش

ولا تنمو إلا بواسطة الماء ، بسر الوجود ، الماء الذى يأتيها من السماء أو من تحت الأرض . فيقول سبحانه وتعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ (الزمر:٢١) .

والماء يجعل الأرض الخاشعة الميتة الجافة المشققة بالعطش ، كأنما تحيا مرّة ثانية فتخضر وتهتز من الماء الذى شربته ، أكسير الحياة الذى جاءها من عند الله الخالق الحكيم القدير . فتخرج منها النباتات المثمرة والأزهار المونقة فيقول تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (فصلت:٣٩) .

الملائكة :

الملائكة ... مخلوقات الله المكرمة التى يشرفها الله تعالى بأن جعلها تحف بالعرش تسبح بحمده وبعظمته لا تفتر لحظة عن التسبيح . يقول سبحانه وتعالى فى سورة الزمر: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (الزمر:٧٥).

طبيعتها :

هى مخلوقات نوارنية مخلوقة من النور شفافة ، إنها مخلوقة من مادة أخرى غير التى خلق منها الإنس والجن . ولا يمكن لأحد أن يراهم على طبيعتهم التى خلقوا عليها وذلك لأن المادة التى خلقوا منها لا تستطيع حواسنا نحن البشر أن تنظر إليهم وتراهم أو تحسهم أو تسمعهم لأن ذبذباتها أعلى وأسرع بكثير جداً من ذبذباتنا ولو أراد الله سبحانه وتعالى أن يرسل ملائكة رسلاً إلى الناس أو للوحى أو للبشرى أو للعقاب أو لأى سبب آخر كما جاء فى القرآن الكريم فإنهم بإذن الله يتحولون إلى هيئة البشر ويلبسون لباسهم حتى تستطيع حواس الناس أن تدركهم رؤية وسمعاً وإحساساً .

تقول الآية الكريمة ﴿ وَقَالُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾(الأنعام٨:-٩)

أشكالها :

وقد جعل الله تعالى من الملائكة رسلاً ذوى أجنحة متعددة لكن لم يذكر سبحانه وتعالى عن شكلها وشبهها شيئاً .

يقول تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (فاطر:١) .

لهم مقامات معلومة :

والملائكة ليسوا كلهم فى مقام واحد ومرتبة واحدة ، ولكن الله تعالى جعل لكل منهم مقاماً معلوماً بين الملائكة ومنزلة لا يتعداها وكل يعرف قدر نفسه يعمل ما يكلف به من أعمال ومهام . تقول الآيات البينات ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾ (الصافات:١٦٤-١٦٦) .

جبريل عليه السلام :

ومن الملائكة ذات المقام الرفيع والقدر الكبير جبريل عليه السلام . فهو الروح الأمين رسول الله تعالى إلى أنبيائه ورسله يوحى إليهم بما يأمره الله تعالى به من الشرائع والتكاليف الإلهية . وقد أرسله الله تعالى إلى مريم عليها السلام يبشرها بالمسيح عليه السلام وقد تمثل لها بشرا سوياً يقول تعالى ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾ (مريم١٦:-١٩) .

وكذلك أمره الله تعالى أن يهبط إلى محمد ﷺ ليوحى إليه بالرسالة ، وكان يظهر له عليه الصلاة والسلام على هيئة إنسان رجل ويقرأ عليه آيات الله البينات ليحفظها وليبلغها للناس ، وقد رآه ﷺ حينما جاءه فى الغار أول مرة ورآه أيضاً

حينما كان يهبط من السماء وله جناحان تغطيان الأفق ومرة أخرى رآه وهو جالس على كرسى بين الأرض والسماء كما رآه أيضاً حينما عرج به عليه الصلاة والسلام إلى السماوات العلا عند سدرة المنتهى .

يقول جل شأنه ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ * وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ * أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ * إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ (النجم٤-١٧) وكثيراً ما تمثل جبريل بشراً سويا يجلس مع رسول الله ﷺ يتدارس معه الدين وقد رآه بعض الصحابة جالساً مع الرسول الكريم .

مهامهم وأعمالهم :

يفعلون ما يؤمرون كل منهم له مهام يختصون بها لا يؤدوا غيرها فمنهم :

١- يحملون العرش : ومن أهم أعمال الملائكة المكرمين أن منهم من يحملون العرش ويحفون به يسبحون بحمد الله ويستغفرون للمؤمنين والتائبين ويتشفعون لهم بعد إذن ربهم ويخشون الله ولا يسبقونه بالقول وهم يأتمرون بأمره مشفقين من خشيته . يقول الله تعالى ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الزمر:٧٥). ويقول تعالى فى الملائكة ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ (غافر:٧) .

٢- جنود الله فى السماوات والأرض : يقول الله عز وجل ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (الفتح٧). والمقصود بجنود الله تعالى هم الملائكة يأتمرون بأمره عز وجل وينفذون مشيئته كل فى مجاله الذى وكل به فمنهم الملائكة التى تحمل العرش ومنهم الملائكة الرسل إلى الأنبياء والمرسلين ومنهم المشرفون

على الجنة ومنهم المشرفون على النار ومنهم من يبنون السماوات وما فيها من شموس وكواكب ونجوم وأقمار .

وأسماء الله الحسنى وهى تسعة وتسعون اسماً لكل اسم منهم ملائكة مكلفين به وينفذون مضمونه وما يدل عليه . فالخالق .. أسم من أسماء الله تعالى كلفت ملائكته ليقوموا بعملية الخلق بإذن ربهم ، من الحيوان والنباتات وجميع المخلوقات ماعدا آدم عليه السلام فقد صنعه الله بيديه وبنفسه لعظم خلقه .

وأسماء الله تعالى هى :

الله .. وهو الاسم الأعظم للذات الإلهية التى لا يعرف لها مثلاً ولا شبهاً (ليس كمثله شيء)وهو اسم خاص به سبحانه ، فلم يسمع أحد بأن هناك شيئا اسمه الله سواء كان إنسانا أو أى شيء آخر ولن يكون حتى تقوم الساعة .

والأسماء الأخرى التسعة والتسعون لله تعالى فهى تنبع من لفظ الجلالة (الله) وتنبع عنه وعن صفاته جل جلاله .. وهى :

الرحمنُ - الرحيمُ، الملكُ - القدوسُ - السلام - المؤمن - الميهمن - العزيز - الجبار - المتكبر - الخالق - البارئ - المصورُ - الغفار - القهار - الوهاب - الرزاق - الفتاح - العليم - القابض - الباسط - الخافضُ - الرافع - المعزُّ - المذلُّ - السميع - البصير - الحكم - العدل - اللطيف - الخبير - الحليم - العظيم - الغفور - الشكور - العلىّ - الكبير - الحفيظ - المقيت - الحسيب - الجليل - الكريم - الرقيب - المجيب - الواسع - الحكيم - الودود - المجيد - الباعث - الشهيد - الحق - الوكيل - القوىّ - المتين - الولّى - الحميد - المحصى - المبدئ - المعيد - المحيى - المميت - الحى - القيوم - الواجد - الماجد - الواحد - الصمد - القادر - المقتدر - المقدِّم - المؤخِّر - الأول - الآخر - الظاهر - الباطن - الوالى - المتعال - البرُّ - التواب - المنتقم - العفو - الرءوف - مالك الملك - ذو الجلال والإكرام - المقسط - الجامع - الغنى - المغنى - المعطى - المانـع - الضار - النافع - النور - الهادى - البديع - الباقى - الوارث - الرشـيد - الصبور .

ملائكة محاربين :

وقد يرسل الله تعالى الملائكة لينصروا المؤمنين فى قتالهم على أعدائهم الأكثرعدداً وعدة ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم:٤٧) فيهبطون إلى ميدان المعركة أفواجاً متتالية يلقون الرعب فى قلوب الكافرين ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال:١٧) .

وليثبتوا أقدام المؤمنين ، وكان الله يسمع استغاثات المؤمنين وهم فى موقف الضيق والهم خشية الهزيمة حتى ينصرهم الله على أعدائهم ، فيستجيب لهم السميع البصير المجيب ويرسل إليهم جنوداً لا يرونها من الملائكة فتساعدهم على قهر أعدائهم .

والآية الكريمة تقول ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال:٩-١٠) وأيضاً تقول الآيات الكريمة التى تدل على نزول الملائكة لنصرة المؤمنين ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (التوبة:٢٥-٢٦) .

الملائكة المبشرون :

وقد يرسل تعالى ملائكته رسلاً إلى من يشاء من عباده . كان سيدنا زكريا عليه السلام يدعو الله أن يرزقه بولد يخلفه فى أمر الدعوة الدينية لله بين الناس . فاستجاب الله تعالى لدعائه وأرسل له ، ملائكة تبشره وهو قائم يصلى بأن الله تعالى استجاب لدعائه وأنه تعالى سيهب له ابناً (يحيى) مصدقاً بعيسى عليه السلام وداعياً ومبشراً به.

تقول الآيات الكريمة : ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(آل عمران:٣٩).

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (آل عمران:٤٥-٤٦)

الملائكة يأتون بالرزق :

كانت مريم عليها السلام العذراء الصالحة المؤمنة دائمة التعبد والصلاة فى محرابها ، فقد أنبتها الله نباتاً حسناً وكفلها زكريا عليه السلام . وكان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً فيسألها من أين لك هذا يا مريم فتجيبه بأنه من عند الله تعالى الذى يرزق من يشاء بغير حساب .

يقول تعالى : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (آل عمران:٣٧) .

الملائكة تحفظ الإنسان وتسجل أعماله :

خلق الله تعالى الإنسان ليعبده وأسكنه الأرض وجعل له فيها مستقراً ومعاشاً ومستودعاً بعد موته ، ومنها يبعثه يوم القيامة ليحاسبة عن أعماله فى حياته الدنيوية ومن أجل الحساب يوم الحساب فقد كلف الله تعالى ملائكة بمراقبته وتسجيل أعماله وأقواله فى كتاب يلقاه يوم القيامة منشوراً .

يقول تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (ق:١٦-١٨). ويقول تعالى ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ * كِرَامًا كَٰتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الانفطار:١٠-١٢) كذلك يقول سبحانه ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ (الزخرف:٨٠) . وفى آية أخرى يقول تعالى

﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الجاثية:٢٩) . وعلى ذلك فما من شـىء يفعله الإنسـان فـى حيـاته الدنيوية إلا وكان عليه شهود يسجلون ويكتبون ويستنسخون كل أعماله وأقواله . يقـول تعـالى ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (يونس:٦١).

ملائكة الموت :

وقد جند الله تعالى ملائكة للموت يتوفون الناس حين انتهاء آجالهم . يقول الله تعالى ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾
(السجدة: ١١)

ويقول كعب الأحبار[1] والله ما من بيت فيه أحد من أهل الدنيا إلا وملك الموت يقوم على بابه كل يوم سبع مرات ينظر هل فيه أحد أمر أن يتوفاه (أخرجه ابن أبى حاتم). وعندما يموت الإنسان وتبلغ روحه الحلقوم ، تحيط به ملائكة الموت باسطة أيديها لتقبض روحه ولكن لا نراها ولا تستطيع حواسنا المادية المحدودة أن تبصرها أو تسمعها أو تحس بوجودها .

تقول الآية الكريمة ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ (الواقعة:٨٣-٨٥) .

ويخبرنا المولى سبحانه وتعالى أن ملائكة الموت تحيط بالذى يعانى سكرات الموت باسطة أيديها فإذا كان الذى يموت من الظالمين الذين يفترون على الله الكذب ويدعون أن الوحى نزل عليهم يقولون لهم أخرجوا أنفسكم من هذا العذاب المهين بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتـم عـن آياتـه تستكـبرون يقـول تعـالى

---

(١) كعب الأحبار : هو إسحق كعب بن نافع ، اليهودى الأصل والذى اعتنق الإسلام فى زمن أبى بكـر الصديق ومات فى عهد معاوية بن سفيان. هو ناظر مدرسة التفسير الخرافى الذى تمتلئ به كتب التراث القديمة، وإليه وإلى زميله وهب بن منبه وعبد الله بن سلام تعزى الإسرائيليات .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (الأنعام:٩٣) .

وفى آيات أخرى يخبرنا عز وجل بأن الملائكة تضرب المتوفى الكافر على وجهه وظهره امتهاناً له ونكاية به ونذيراً بما سوف يصيبه من عذاب الحريق الأليم .

يقول تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ * ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (الأنفال: ٥٠-٥١) .

أما المؤمنون الصالحون حينما يموتون ، فإن الملائكة تبشرهم بالجنة التى وعد بها المتقون .. تقول الآيات الكريمة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ (فصلت: ٣٠-٣٢) .

الحديث الشريف :

يقول النبى ﷺ : (إنما نسمة المؤمن طائر يعلق (أى يأكل) من شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم القيامة) [١]

ويقول عليه الصلاة والسلام : (إن أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر تسرح فى رياض الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش)[٢] (الحديث مخرج فى الصحيحين)

---

(١) رواه النسائى فى السنن ١٠٨/٤ وأحمد ٤٥/٣ وابن ماجه رقم ٤٢٧١ والطيالسى ٧٤٠ منحة المعبود)

(٢) رواه البخارى ورواه أحمد ٤٥٥/٦ وبرقم ١٥٧١٦ وسنده صحيح . والترمذى رقم ١٦٤١والنسائى ١٠٨/٤ رقم ٢٠٧٣ وابن ماجه ١٤٢٨/٢ وقم ٤٢٧١ .

من هذه الآيات البينات نستدل على أن الملائكة تتنزل على المؤمنين ، بأمر ربهم تؤمنهم من الخوف وتبعد عنهم كل ما يحزنهم ويكدرهم وأنهم أولياؤهم فى الحياة الدنيا ، يحفظونهم من الشرور والآثام ويعملون على أمنهم وحفظهم ورزقهم وراحتهم وتوفيقهم فى أعمالهم والعمل على أن تكون حياتهم فى مجموعها طيبة ، وأيضاً حينما يموتون يتنزلون عليهم يبشرونهم بالغفران وبالجنة التى وعدهم الله بها وأن لا خوف عليهم من عذاب يوم القيامة وهوله وشروره .

ملائكة الفتنة (هاورت وماروت) :

وهما ملكان كريمان أنزلهما الله تعالى للناس فتنة لاختبارهم . فهما يعلمان الناس السحر وفنونه ومنها ما يفرق بين المرء وزوجه ولكنهما يقولان للناس إنهما فتنة ويطلبان من الناس ألا يمارسوا السحر لأنه شر . ومن يمارسه من الناس فليس له فى الآخرة من نصيب إلا العذاب .

يقول تعالى ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:١٠٢) .

ملائكة الانتقام :

وحين يريد الله تعالى الانتقام من قوم كافرين فاسقين ظالمين يعصون الله ما أمرهم ، فإنه تعالى يرسل إليهم ملائكة تدمرهم وتهلكهم وتنسفهم نسفاً ليروا العذاب فى الدنيا قبل أن يعذبوا فى الجحيم يوم القيامة .

ومن هؤلاء الملائكة ملائكة الانتقام التى أرسلها الله تعالى لتدمير قوم لوط عليه السلام فنسفوا قريتهم وجعلوا عاليها سافلها وأمطروهم بحجارة من سجيل وعذبوهم

عذاباً رهيباً ، أشفق الله تعالى منه على عباده المؤمنين أن يروه لبشاعته وقسوته وعنفه فأمرهم بعدم الالتفاف خلفهم ليروا ما يحدث للكافرين ونجّا الله الرحيم آل لوط المؤمنين من هذا العذاب المهين . ويخبرنا العزيز القدير عن قصة قوم لـوط وما فعله ملائكة الانتقام بهم فيقول سبحانه : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ * قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ * إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ * فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ * قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ * قَالُواْ بَلْ جِئْنَـٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ * وَأَتَيْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ * فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ * وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ * وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ * قَالَ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ * وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ * قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ * قَالَ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ * لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ * إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ * إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الحجر:٥٧-٧٧) .

الجن :

ولقد أثر الإسلام فى تكوين عقلية الإنسان المسلم من حيث معتقداته السابقة فقد كان الناس قبل الإسلام يؤمنون ويعتقدون أن الجن يستمعون إلى أنباء الغيب ويتصلون ببعض الناس ويخبرونهم بالأنباء الغيبية الماضية والحاضرة والمستقبلة . ويعاونوهم فى أعمال السحر وإيذاء الناس ويفرقون بين المرء وزوجه . فلما جاء الإسلام أقر ذلك ولكن من الآن فصاعداً لم يعد فى استطاعة الجن أن يسترقوا السمع إلى السماء وأنبائها ، فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً يحرقه ويدمره فى الحال .

فيقول القرآن الكريم ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ (الجن:٨-٩) .

كما كان الناس قبل الإسلام يؤمنون بالجن ويتوجسون منهم ويضطربون ولا يهنأ لهم عيش بسببه فلما جاء الإسلام أقر بأن الحسد موجود بين الناس ، ولكن من الآن فصاعداً ، فقد أهدى الله إلى الناس سورتين هما المعوذتين من قرأهما بإيمان وإخلاص وحسن ظن بالله لم يصبه أذى السحر وهما سورة الفلق وسورة الناس وبذلك تحصن المؤمن من أذى السحرة والحساد والدجالين والمشعوذين فعاش في أمان وسلام لا خوف عليه ولا حزن وبذلك تحررت النفوس والعقول من أغلال وقيود طالما قيدتها وكبلتها وسيطرت عليها دهوراً طويلة .

طبيعة الجن :

والجن من مخلوقات الله تعالى التى تعايش الإنسان فى الأرض وهى مخلوقة من نار السموم وهى ترانا وترقبنا من حيث لا نراها ، يقول الله تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾
(الأعراف:٢٧)

ويخبرنا القرآن الكريم أن الجن مخلوقة من نار السموم فيقول : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ (الأعراف:١٢) .

والجن قوم لهم حكام يحكمونهم ولهم نظام فى الحياة كما أن لهم ذرية ويتزاوجون وينجبون ويتكاثرون ومنهم المؤمن ومنهم الكافر فقد بلغتهم رسالات السماء وآخرها الدعوة الإسلامية . فمنهم من آمن بها ومنهم من كفر وقد أوحى الله تعالى إلى سيدنا محمد ﷺ أنه استمع نفر من الجن إلى القرآن فآمنوا به وذهبوا إلى قومهم يبشرونهم بالقرآن وبالدين الإسلامى ، يقول تعالى ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا * يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا * وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا * وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا * وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ (الجن: ١-٥) .

فآمن بعضهم بالدين الإسلامى وبالقرآن الكريم وكفر البعض يقول تعالى ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا * وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ (الجن:١٤-١٥) .

علاقة الجن بالإنسان :

يخبرنا العزيز العليم أنه حقيقة مايقال من أنه كان هناك رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن ويتصلون بهم ولكن الجن يرهقونهم ويعذبونهم ويحملونهم فوق طاقاتهم ، يقول تعالى ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا * وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا * وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ (الجن:٦-٨) .

قدرات الجن :

الجن جنس مخلوق من النار لا نستطيع رؤيتها ولو أنهم يروننا من حيث لا نراهم . فقدرة إبصارنا لا تمكننا من متابعة اهتزاز ذبذبات أجسادهم النارية . وقدرتهم على الحركة لا حدود لها فهى كالأثيرتستطيع أن تكون فى أى مكان فى سرعة خارقة . كما أخبرنا العليم الخبير عنهم بأنهم كانوا يتخذون من السماء مقاعد لهم يستمعون إلى أنباء الملأ الأعلى .

يقول تعالى ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا * وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا * وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا * وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا * وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (الجن:٨-١٣) .

وقد سخر الله تعالى الجن لسيدنا سليمان عليه السلام فكان يستخدمهم فى البناء والتشييد وفى الغوص فى أعماق البحار إلى غير ذلك من الأعمال التى تحتاج

إلى طاقة وقدرة يعجز عنها الإنسان . تقول الآية الكريمة ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ * وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ * وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾ (ص:٣٦-٣٨)

ومن الأمثلة التى أوردها القرآن الكريم والتى تدل على قدرة الجن الخارقة ما جاء فى سورة النمل من أن سيدنا سليمان كان فى مجلس من أعوانه يتحدثون عن ملكة سبأ ، وكان ضمن الموجودين فى المجلس عفريت من الجن سمع سيدنا سليمان وهو يسأل الموجودين عمن يستطيع أن يأتيه بعرش الملكة قبل أن تحضر هى إليه فقال العفريت إنه يستطيع أن يأتى به قبل أن ينتهى المجلس تقول الآية الكريمة ﴿ قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴾ (النمل:٣٨-٣٩) .

والجن لا يعلمون الغيب :

وقد أخبرنا الله تعالى بذلك حينما تحدث سبحانه عن موت سيدنا سليمان فقد كان سيدنا سليمان يشرف على الجن وهم يقومون بأعمالهم ولكنه مات وهو متكئ على عصاه ، ولم تعلم الجن بموته وإنما استمروا فى العمل الشاق والعذاب المهين إلى أن أكلت حشرة الأرض عصا سليمان فسقط جسده حينئذ فقط علمت الجن بموته وقالوا لو كنا نعلم بموته لما لبثنا فى العذاب المهين . يقول تعالى ﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ * فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾

(سبأ:١٢-١٤)

عداوة الجن (إبليس) للإنسان :

بدأت العلاقة الأبدية بين الجن والإنسان أو بمعنى أصح بين إبليس والإنسان ، منذ أن خلق الله تعالى أبينا آدم عليه السلام ، فقد أمر الله تعالى الملائكة كلهم بالسجود لآدم فسجدوا كلهم أجمعين إلا إبليس ، (وهو ملك من الجن) فقد عصى أمر ربه تعالى ولم يسجد مع الساجدين تكبراً وحسداً وغيرة من آدم عليه السلام الذى فضله الله على جميع الملائكة . فلما سأله الله تعالى عن ما منعه من السجود لآدم ، قال إنه خير منه خلق من النار بينما خلق آدم من الطين ، وأنه لن يسجد لآدم ، فغضب الله تعالى من إبليس ولعنه وطرده من الجنة . ولنقرأ ما جاء فى القرآن الكريم الحوار الذى دار بين الله سبحانه وتعالى وبين إبليس اللعين ، ومنه تتضح العداوة الشديدة والبغض الهائل الذى يكنه إبليس لآدم عليه السلام ولذريته .

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ * قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ * قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾(الأعراف:١١-١٥). طلب إبليس اللعين من الله تعالى أن يؤخره حياً فى الدنيا إلى يوم القيامة فأجابه الله تعالى إلى طلبه قال إبليس لله تعالى ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ * قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الأعراف:١٦-١٨) .

أى بما أغواه الله تعالى حتى سقط فى المعصية فإنه سيقعد لعباد الله المؤمنين على طريق العبادة المستقيم حتى إذا اتجهوا إلى الصراط المستقيم فسيجدونه أمامهم يغويهم ويبعدهم عنه بأن يأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم وسوف يجعل أكثر الناس كافرين بنعمة الله وبهداه فطرده الله تعالى من

الجنة ملعوناً مذموماً وكتب عليه اللعنة والذم والدحر ، وهدده الله تعالى وأنذره وتوعده بأن يملأ جهنم من الشياطين ومن تبعهم من الناس أجمعين . يقول الله تعالى ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَأَتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ * قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الأعراف:١٦-١٨).

فبدأ إبليس اللعين تنفيذ خطته فى إغواء آدم عليه السلام وزوجه أمنا حواء عليها السلام حتى يعصيا أمر الله تعالى فيغضب منهما لعصيانهما ويطردهما من الجنة كما طرد هو ، فقد أمرهما ربهما أن يسكنا الجنة ويعيشا فيها سعداء وحذرهما أن لا يأكلا من ثمرة شجرة معينة من الجنة .

فركز الشيطان قوته فى الإغواء على هذا الأمر والتحذير من الأكل من الشجرة المحرمة ، فوسوس لهما ليأكلا منها ليبدى لهما ما وُورِىَ عنهما من سوءاتهما وقال لهما إنما أمركما الله ألا تأكلا من هذه الشجرة حتى لا تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين فى الجنة ، وأخذ يقسم لهما إنما هو ناصح أمين . لنقرأ معاً نص الآيات القرآنية الكريمة التىتحكى لنا ما حدث بين آدم وحواء وإبليس اللعين ، قال تعالى : ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ (الأعراف:١٩-٢١) .

يحذرنا الله تعالى نفسه من الشيطان وعدواته لنا فيقول تعالى ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

(الأعراف:٢٧)

شياطين الجن :

وشياطين الجن هم العاصون المردة من الجن ، هم حزب إبليس وجنوده الذين يعاونونه فى غواية الناس وتكفيرهم وإبعادهم عن طريق الهداية والنور هؤلاء الشياطين من الجن على اتصال وعلاقة وثيقة بشياطين الإنس وهم الكفرة الفجرة والعصاة الفاسقين فيوحى بعضهم لبعض ويستمتع بعضهم ببعض بالمشاركة فى الفسق والفجور والشر والضر وفى إفساد عقائد الناس وإغوائهم ومحاربة الأنبياء والصالحين من الناس ومعاداتهم وإيذائهم ...

يقول تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾

(الأنعام:١١٢)

أسلحة الشيطان ضد الإنسان :

لقد شرع الشيطان الرجيم فى وجه بنى آدم كثيراً من الأسلحة الفتاكة ، لا يقوى عليها إلا القلة المؤمنة منهم ، أما عامة الناس وضعاف الإيمان فإنهم فرائس سهلة بين مخالب وأنياب الشيطان اللعين ، من هذه الأسلحة المدمرة للنفوس والعقول سلاح الجنس سلاح الخمر سلاح المال والميسر سلاح الخير والنعمة والترف مستغلاً نقط الضعف فى النفس البشرية وهى الأنانية والطمع وحب السيطرة وإشباع الغرائز المكبوتة والظروف السيئة التى تمر بالناس .

يقول تعالى ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ (آل عمران:١٤) .

سلاح الجنس :

يحذرنا الله تعالى منه فيقول ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف:٢٧) . فى هذه الآية الكريمة يذكرنا الله تعالى بأن الشيطان هو الذى وسوس لآدم وزوجه وأخرجهما من الجنة . ينزع عنهما ثيابهما ليريهما ما وورى من سوءاتهما ، فهو أى الشيطان هو وقبيله يروننا من حيث لا نراهم وهذا تحذير من الله تعالى بأن لايظهر الرجال والنساء عرايا أمام بعضهما البعض لأن الشيطان يحب أن يرانا عرايا حتى يعطى الفرصة للغريزة الجنسية لدى الرجل والمرأة بأن تثار بالرؤية وتظل مثارة حتى تشبع ولن تهدأ حتى تشبع أو يختفى المؤثر المثير لها . ولما كان إشباع الغريزة الجنسية غير مكفول للكثير من الناس لعدم الزواج أو لظروف زوجية كثيرة فإن المجال يصبح متسعاً للرغبة فى الإشباع من الطريق المحرم الغير مشروع فينتشر بالتالى البغاء والدعارة والفسق والفجور والانحلال بين الناس ولما كانت الغريزة الجنسية لا تثار إلا بالرؤية فى الغالب فإن الشيطان حريص على إظهار العرى فهو أقصر طريق للإفساد عن طريق الجنس ، وما يتبع ذلك من مآسى اجتماعية وأسرية قد تصل إلى القتل وسفك الدماء وإلى التباغض بين الناس والكراهية كما تؤدى إلى اختلاط الأنساب وضياع الشرف والكرامة لذلك يحذرنا الله تعالى وهو أعلم بمن خلق من إثارة الغريزة الجنسية من أى سبيل وسبلها كثيرة وطلب من المؤمنين به اتباع تعاليم الإسلام الحنيف فى تلك الأمور حتى نعيش فى أمان وسلام وهذه التعاليم منها :-

أولاً : غض البصر : يقول الله تعالى فى سورة النور هادياً الناس إلى الحياة الكريمة ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا

لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

(النور: ٣٠-٣١)

ثانياً : الاستئذان : كذلك يأمر الله تعالى المؤمن والمؤمنة بأن لا يفاجئ أحدهما الناس فى بيوتهم بغير استئذان ، فقد يكون أصحاب البيت متحررين من ملابسهم أو نائمين أو جالسين فى أوضاع فيها راحة وحرية زائدة مما لا يحبون أن يراهم عليها أحداً ، وذلك مما يجرح الشعور ويخدش الحياء ، وهو ما يجعل للشيطان منفذا ينفذ منه إلى نفوس الناس عن طريق الجنس فيحدث الإغواء والإغراء والإضلال فيقول جل شأنه وكبرت حكمته ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (النور:٢٧-٢٨) .

وبهذه التعاليم السماوية الإلهية يعلمنا الرحمن كيف نتقى خطر سلاح الجنس الذى يشهره الشيطان فى وجه المؤمن ليقضى عليه . حتى الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم لا يجب عليهم أن يروا أجسام الكبار وهم عرايا أو متخففين من الملابس أثناء النوم . وأيضاً الخدم الذين يعملون فى المنازل أيضاً لا يجب ولا ينبغى أن يروا أجسام أهل البيت وهم عرايا أو متخففين من الملابس ، وذلك درءا لخطر الجنس الذى يوسوس به الشيطان اللعين فتحدث كثير من المآسى الأخلاقية التى نسمع عنها بين الخدم وبعض أفراد الأسرة وبين الأهل أنفسهم كما سمعنا وقرأنا مما يحدث فى بعض الأوساط المنحطة . ويقول رب العالمين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (النور:٥٨) .

سلاح البغاء :

والله تعالى لا يحب أن يوجد البغاء بين المؤمنين ويأمر المؤمن الذى لا يجد نكاحاً (أى لم يتزوج) أن يستعفف ولا يمارس الرذيلة بحجة أنه لا يجد الزواج كما يروج أولياء الشيطان الذين يبيحون البغاء حرصاً على صحتهم الجسمية والنفسية كما يدعون ويروجون ، يقول الله تعالى لمن لا يجد النكاح الحلال أى الزواج ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النور:٣٣) . مع العلم بأن البغاء وسيلة لنشر أخطر الأمراض على صحة الإنسان .

سلاح الخمر :

والخمر وشربها من أسلحة الشيطان الفتاكة السريعة المفعول فى إفساد النفوس والعقول وهى أم الكبائر . والخمر تغيب العقل فتصحوا الغرائز الكامنة فى الإنسان وتنطلق معبرة عن نفسها محققة رغباتها بطرق غير أخلاقية وغير مشروعة . ولا يخفى ما لذلك من أثر مهلك للفرد وللمجتمع على السواء ومثل الخمر جميع أنواع المخدرات .

سلاح الميسر :

وأيضاً لعب الميسر (القمار) من الأسلحة الخطيرة فى جعبة الشيطان . حيث إن فى أثناء اللعب تتوتر الأعصاب ويشتد الصراع فى سبيل الحصول على المال من طريق السهل السريع . وينهى اللعب عادة بأن يكسب البعض ويخسر البعض الآخر ومنهم من يفقد كل ثروته فيفقد الأمل فى الحياة وقد ينتحر وفى الغالب يوجد من يغش فى اللعب فينتقم منه زميله الخاسر بقتله أحياناً كثيرة . وبذلك تنشأ العداوة والبغضاء بين الناس فيتقاتلون ، وليهنأ الشيطان بما حققه من انتصار على الإنسان من ذرية آدم . وبممارسة القمار يتلهى الناس عن عبادة الله وذكره وهو ما يريده الشيطان .

يقول تعالى فى الخمر والميسر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ * وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (المائدة ٩٠-٩٢).

وكثيراً ما يوسوس الشيطان الرجيم للإنسان بالإيذاء والشر والقتل والسرقة والخيانة والرشوة وإيقاع الغير فى المصائب حتى ينال مالاً أو منصباً أو لتحقيق رغبة غير مشروعة وكثيراً ما ينكشف أمره فيقع فى شر أعماله ويضيع وتضيع معه أسرته وأولاده إلى غير ذلك من أمثلة الإغواء الشيطانية الأثيمة . وأولياء الشيطان من الإنس الذين يتعاونون معه فى رسم خطط الإغواء والإضلال ونشر السموم الفكرية بين الناس أولئك يحبون أن تشيع الفاحشة بين المؤمنين إرضاء لسيدهم الشيطان وإرضاء لإشباع شهواتهم ورغباتهم فى التدمير والتخريب لكل القيم الرفيعة والمثل الأخلاقية السامية التى بدونها لا تحيا الأمم ، يقول تعالى ناصحاً للمؤمنين ومحذراً إياهم من الشيطان الرجيم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور:٢١). ويحذر الله أيضاً أولياء الشيطان الذين يروجون لمبادئه ويعملون على أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا بأن لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة يقول تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(النور:١٩)

عرش إبليس :

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ بأن عرش إبليس ومركزه هو وقبيله على البحر كما أن آدم وذريته يعيشون على اليابسة فيبعث إبليس سراياه وجنوده إلى اليابسة ليفتنوا بنى آدم ويضلوهم ، عن جابر قال سمعت النبى ﷺ يقول : « إن عرش إبليس على البحر ، فيبعث سراياه فيفتنون الناس فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة » (١) (مسلم)

الشيطان القرين :

ولقد خلق الله تعالى الشيطان وهو من الجن العصاة ، خلقه وأعده ليكون غاوياً موسوساً لبنىآدم ليختبرهم الله تعالى ولينظر من يؤمن به وبرسله بالغيب ، وقد جعل الله تعالى لكل إنسان قريناً من الجن يلازمه كظله منذ ولادته حتى مماته ، والشيطان هو الجنى الفاسق الكافر .

الحديث الشريف :

عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «مامنكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن قالوا : وإياك يارسول الله ؟ قال : وإياى إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير» (٢) غير أن فى حديث سفيان «وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة» . فوظيفة الشيطان الأساسية هى إغواء الإنسان المؤمن ومحاولة إخراجه من حظيرة الإيمان والانحراف عن الطريق الذى رسمه القرآن للمؤمنين وهو الصراط المستقيم ، فيوسوس له بكل الشرور والآثام ومعصية الله ، ليبعده عن أداء الصلوات الخمس فى مواعيدها وعدم الصيام فى رمضان ويجعله يفطر عامداً وأن لا يخرج زكاة المال فى مواعيدها ، بل لا يؤديها على الإطلاق ويأمر بالشح والبخل فلا يتصدق ولا يساعد المحتاج ولا يهتم بمصير إخوته من بنى آدم ولا يصل رحمه المقربين . ولكن الله العظيم يخبرنا بأن المؤمن الحق يستطيع بقوة

---

(١) الحديث رواه مسلم فى صفات المنافقين رقم ٦٦ . وأحمد ٣٦٦/٣ وبرقم ١٤٨٧٧ بتحقيق الشيخ شاكر .

(٢) الحديث رواه مسلم فى صفات المنافقين رقم ٦٩. وأحمد فى المسند ٣٨٥/١ ، ٤٠١ والطبرانى فى المعجم الكبير ٢٦٩/١٠ وابن خزيمة رقم ٦٥/١ .

إيمانيه وباتباعه لما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يستطيع أن ينتصر على الشيطان ويخذله فليس للشيطان على المؤمن من سبيل ، يقول تعالى ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ * إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ (النحل:٩٨-١٠٠)

وعلى ذلك (فالشيطان) لا يكون قريناً للإنسان المؤمن المتوكل على الله وحده . وإنما الشيطان قرين للذى يأتمر بأمره ويتبع خطواته . قرين لمن يعصى الله لمن يبتعد عن الإيمان وأداء الصلوات والعبادات كلها ويتلوا القرآن باستمرار ، قرين لمن اتبع هواه وكان أمره فرطاً هذا هو الذى يلازمه الشيطان ويكون له قريناً يوسوس له ويزين له سوء عمله حتى يورده فى النهاية موارد التهلكة وجهنم وبئس المصير .

يقول رب العرش العظيم ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ * حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ * وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ (الزخرف:٣٦-٣٩).

وقد قرر الله تعالى منذ البداية أن عباده المؤمنين به المخلصين له المطيعين لأوامره ليس للشيطان سلطان عليهم . فقد قال جل جلاله ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الحجر:٤٢-٤٣) .

وقد علم الشيطان وفهم حدود قدرته وسلطانه على الناس فقال كما أخبرنا القرآن الكريم ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (الحجر٣٩:-٤١).

ويصور لنا القرآن الكريم هذا المعنى فى أبلغ بيان فيقول ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا * قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا * قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا * وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ

﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾

(الإسراء٦١:-٦٥)

فالشيطان يشارك العصاة والكفار والمشركين فى مشروعاتهم التى تغضب الله تعالى والتى تقوم على الفحش والفجور والفسق والغش والاحتكار والسرقة والقتل والتخريب والتدمير .... إلخ .

وهو يوسوس لأوليائه بصوته وإيحائه فيندفعون فى تيار الرذيلة والعصيان والشرك ويعاونون الشيطان فى غواية الناس لإبعادهم عن طريق الحق والاستقامة فتحق عليهم لعنة الله وعذابه وانتقامه وأخيراً يؤكد الله تعالى للشيطان الرجيم بأنه لن يقدر على غواية عباده المؤمنين الصالحين وأنه سبحانه هو وليهم الذى يدفع عنهم كيد الشيطان ويحفظهم وينجيهم من شروره وذلك لأنهم يتلون القرآن الكريم باستمرار ويقيمون الصلاة ويؤدون الزكاة والصدقات ويحسنون ويصلحون ويسبحون بحمد الله فى كل وقت فهم لا يفترون عن ذكره تعالى لحظة .. لذلك لن يتخلى الله تعالى عنهم لحظة فهو وليهم ووكيلهم فى الحياة الدنيا والآخرة . ويؤكد لنا ربنا العظيم بأن كيد الشيطان ضعيف واهن كبيت العنكبوت لا يصمد أمام إرادة الإنسان المؤمن المخلص المتمسك بدينه وبالطريق المستقيم وأنه لا محالة منتصر عليه بإذن الله .. يقول ربنا العظيم ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (النساء:٧٦).

ومن الآيات التى تحذرنا من الشيطان الرجيم والسير وراءه واتباع خطواته التى تؤدى إلى الهلاك والدمار . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور: ٢١).

الشيطان والمرض والمس :

ومن أبرز الأمثلة التى وردت فى القرآن الكريم على أن الشيطان هو المتسبب فيما يصيب الإنسان من أمراض قصة المرض الذى أصاب سيدنا أيوب عليه السلام هذا المرض الذى طال زمنه ويقال إنه مرض جلدى خطير جعل الناس تهرب منه عليه السلام فعاش وحيداً منبوذاً يعانى الآلام المبرحة فيصير مؤمناً بقضاء الله .. يقول تعالى ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ * ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ (ص:٤١-٤٢).

والمس مرض يصيب الإنسان فى رأسه ويحدث ضرراً بليغاً يجعله يتخبط فى سلوكه وتفكيره ويقال إن الشيطان يمس بجسده النارى جسد الإنسان الأثيرى الغير مرئى فيحدث تداخل بينهما يصيب الإنسان فيضطرب العقل ويختل نظامه . ويقول تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة:٢٧٥).

الشيطان والسحر :

والشياطين الملعونة تعلم بعض الناس فنون السحر الأسود وذلك كوسيلة من وسائل نشر الشر والبؤس والعذاب بين الناس كالفرقة بين الزوج وزوجته وإحداث المصائب الأليمة والأمراض والفقر وما شابه ذلك من الشرور والآثام هذا السحر الذى أنزل على الملكين (هاروت وماروت) ببابل . فقد كانا يعلمان الناس السحر ولكن قبل أن يعلموهم كانا يقولان لهم إنما نحن فتنة لكم فمن عمل بهذا السحر أغضب الله تعالى واستحق عقابه وعذابه .

يقول الله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾
(البقرة:١٠١-١٠٢)

اتصال الجن بالإنسان :

والشياطين من الجن يتصلون بالشياطين من الإنس يوحى بعضهم إلى بعض ويستمتع بعضهم ببعض فى المشاركة فى الفسق والفحش والفجور وعلى موائد الميسر وفى تدبير المؤامرات والدسائس ومحاربة الخير فى كل مكان وغواية الناس إلى الانحراف والشذوذ . ومحاربة الصالحين المؤمنين والأنبياء والرسل ومعاداتهم وإلحاق الأذى بهم .

يقول الله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾
(الأنعام:١١٢)

وكذلك كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن أى يلجأون إليهم ويحتمون فيهم ويطلبون معونتهم لأنباء الغيب والمستقبل ، حيث كان فى استطاعة الجن الاستماع لأنباء الملأ الأعلى (وذلك قبل الإسلام) فقد كانوا يتخذون مراكز للسمع عند أبواب السماء . أما بعد نزول القرآن الكريم الرحمة للعالمين فقد منع الجن من الاقتراب من السماء واستراق السمع . ومن يستمع منهم الآن يجد شهاباً يحرقه فى الحال ، تقول الآيات الكريمة ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ (الجن:٦).

ولشدة وطأة الهول والعذاب الذى يلاقيه العصاة والكفار والمشركين فى جهنم عقاباً لهم على اتباعهم غواية الشياطين من الإنس والجن يصرخون من شدة العذاب ويقولون كما تخبرنا الآيات الكريمة ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ (فصلت:٢٩).

المسلم المؤمن أصبح فى أمان من الشيطان :

قبل الإسلا م كان أكثر الناس صرعى تحت أقدام الشيطان عبيداً لغوايته ، فقدوا كرامة الإنسان فى أنفسهم وحقروا نعمة العقل التى وهبهم الله تعالى إياهم ليتبينوا الحق من الباطل والخير من الشر . ولكنهم انقادوا للخرافات والأوهام وسيطرت عليهم شياطين الجن والإنس فاتبعوا ما يأمروهم به واستذلوهم فأصبحوا فى أسفل السافلين . كان الإنسان قبل الإسلام خاضعاً تماماً لسطوة السحر ورهبته. كما كان يعبد الشيطان تابعاً له يقدم له القرابين خوفاً وطمعاً مما يرهقه مادياً ونفسياً وجسدياً، كان عقله يتخبط فى شباك الشيطان فى ظلام الضلالة ، حتى جاء نور الإسلام باهراً .

فهربت خفافيش الظلام من السحرة والكهنة ومحضرى الجان والأرواح وغيرهم من المحتالين والنصابين ، هربت من نور الحق الذى تخشاه قوى الباطل وجنود الشيطان ، جاء الإسلام بالنور الذى أضاء العقول الخامدة الخائفة القلقة . لكى يؤمن الإسلام المسلمين المؤمنين من الشياطين والسحرة وقوى الشر أخبرهم بالآتى :

أولاً : إن الشياطين لم يعودوا يستطيعون استراق السمع إلى أنباء السماء والملأ الأعلى كما كانوا يفعلون من قبل ، فالآن كل من يحاول استراق السمع عند أبواب السماء إلى أنباء الملأ الأعلى يقذف بالشهب الحارقة المهلكة يخبرنا القرآن الكريم ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ (الجن:٨-٩) .

ثانياً : كانت الشياطين تعلم الناس السحر وما يفرقون به بين المرء وزوجه فأصبح المؤمن يعتقد تماماً بأنه لن يصيبه أذى من سحر أو غيره إلا بإذن الله

فأصبحوا لا يخشون السحر ولا يرهبونه بل يعتبرونه كأى شيء آخر فيه ضرر للإنسان مثله مثل أى حادث أو مرض قد يصادفه المرء فى حياته ، فإذا أصابهم شر السحر فلن يكون إلا بإذن الله أى بقضائه وقدره وهو ما ليس منه مفر .

يقول تعالى ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:١٠٢) .
كذلك ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ * قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التوبة:٥٠-٥١) . ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ * لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (الحديد:٢٢-٢٣) .

فلم يعد المؤمن يخاف السحر ولا السحرة فلن يصيبه إلا ما كتبه الله له .

ثالثاً : وكان الحسد أيضاً من الأمور التى تشغل بال الناس فى الجاهلية قبل الإسلام ، فكانوا يخافون عين الحسود ويستخفون من الناس إذا أصابهم خير ، خوفاً من حسد الحاسدين حتى لا تزول النعمة التى معهم . فجاءت الآيات الكريمة تطمئن المؤمنين وتحفظهم من شر الحساد والحاقدين . فمن يقرأ المعوذتين مستعيذاً بالله تعالى من شر الحاسد إذا حسد ومن جميع الشرور المختلفة من مرض وغيره ، فالله تعالى يعيذه منها وينجو بفضل الله تعالى . والمعوذتان هما (سورة الفلق وسورة الناس) بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ (الفلق:١-٥) .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ * مَلِكِ ٱلنَّاسِ * إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ * مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ * ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ * مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾
(الناس: ١-٦)

وهاتان السورتان تقيان المؤمن من شر كل ما خلق الله مما نعلم وما لانعلم ومن شر الذى يسحر الناس وينفث فى العقد ومن شر الحاسد ومن شر كل غاسق خفى يصيب الإنسان من حيث لا يشعر . فهى تحفظ المؤمن الذى يتلوها بحسن الظن الكامل بالله من كل مايخطر ولا يخطر على البال من أنواع الشرور والأمراض والأضرار .

والحسد نوعان الأول هو خروج إشعاعات كهربائية من عين الحاسد إلى الشيء المحسود فتحرقه أو تصيب به الضرر البليغ ، والثانى هو تمنى زوال النعمة والعمل على تحقيق ذلك بالفعل والعمل والكيد والدس وغيره وبذلك فهاتان السورتان تحميان المؤمن من كل ما يخاف منه ويخشاه سواء أكان شراً مادياً أو شراً معنوياً صادراً من شياطين الجن أو من شياطين الإنس . وقد أمر الله تعالى بأن يتحدث المؤمن عن نعمة الله له فلا يخفيها حتى يظهر المؤمن أمام الناس فى مظهر لائق جميل نظيف ليرى الكفار والمشركين أن الإسلام دينٌ وعد المؤمنين بالحياة الطيبة فى الدنيا والآخرة ، فالإسلام دين دنيا وآخره معاً وليس دين آخرة فقط كما يدعى البعض يقول تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٧)

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده »[١] . وهكذا اطمأنت قلوب المؤمنين وهدأت نفوسهم وارتاح بالهم من هذا الشر الخبيث الذى يتمثل فى السحر والحسد .

---

(١) الحديث رواه الترمذى ١٢٣/٥ رقم ٢٨١٩ فى كتاب الأدب وحسنه . وأحمد ٢١٣/٢. والحاكم فى المستدرك ١٣٥/٤ وصححه . والبغوى فى شرح السنة ٤٩/١٢.

رابعاً : حتى الشيطان نفسه استطاع المؤمن أن يأمن على نفسه من سيطرته الشيطانية ووساوسه الهدامة المخربة فلم يعد يخاف كما كان الحال قبل الإسلام . فقد علمه ربه رب العالمين أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم إذا شعر بوجوده . يقول ربنا عز وجل ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ * مَلِكِ ٱلنَّاسِ * إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ * مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ * ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ * مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ (الناس:١-٦) . وأيضاً يقول سبحانه ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (فصلت:٣٦) وكذلك يطمئننا الله ربنا ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ * إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ (النحل:٩٨-١٠٠) .

ويقول الله تعالى أيضاً ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ (المؤمنون:٩٧-٩٨). وكذلك تلاوة القرآن الكريم تجعل بين قارئه وبين الكفار الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً لا يرى ، يحفظهم من كل شر يراد بهم أو أذى يوجه إليهم من الفاسقين الأشرار الحاسدين الحاقدين . يقول تعالى ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ (الإسراء:٤٥).

الإنسان :

بعد أن خلق الله تعالى الأرض فى يومين وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام ثم استوى إلى السماء وهى دخان فجعلها سبع سموات طباقاً وأوحى إلى كل سماء أمرها ، أراد سبحانه وتعالى أن يجعل فى الأرض خليفة ، يعبده ويسبح بحمده ويعمر الأرض ويطبق شريعته .

يقول تعالى فى ذلك ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ * ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ * فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ (فصلت:٩-١٢).

بعد أن أعدت الأرض إعداداً صالحاً فيها الطعام والشراب والكساء والأمان لهذا الخليفة المنتظر ، ولا أدل من هذه الآيات الكريمة من القرآن الكريم حين تتحدث عما أعده الله للإنسان على الأرض من النعم الكثيرة مثل الماء والـزرع والثمـرات وما سخر له من شمس وقمر ونجوم وكذلك سخر له البحر وما فيه من لحم طرى يأكله ، وحلى يتزين بها على سطحه يركب الفلك تجرى به إلى كل مكان وما جعل على الأرض من الجبال الرواسى التى تحفظ توازنها وما مهد له من سطحها وما أعده عليها من الطرق والسبل ليسير فيها وما جعل له من نجوم زاهرة تضىء له فى الليل ليرى الطريق آمنا وما تزدان بها السماء فى الليل كاللؤلؤ المنثور يسر الناظرين .

يقول جل جلاله ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَـٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ * أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾
(النحل: ١٠-١٨)

خلق آدم عليه السلام :

نجد فى القرآن الكريم آيات كريمة تتحدث عن خلق آدم عليه السلام أول إنسان خلقه الله تعالى بنفسه كما نجد آيات أخرى تحدثنا عن خلق نسل آدم وذريته .

تفسير رجال الدين لهذه الآيات عن خلق آدم :

قد حاول رجال الدين من المفسرين القدامى تفسير الآيات التى تتحدث عن خلق آدم فقالوا إن الله سبحانه وتعالى أمر (إبليس) فقبض قبضة من تراب الأرض وجعل منها طينة لازبة سهلة التشكيل ، وفى الجنة شكل الله تعالى منها آدم وسواه

وعدله فى الصورة التى أرادها سبحانه له ، فصار إنسانا سويا معتدلا على شكل تمثال ، فنفخ فيه سبحانه من روحه فدبت فى التمثال الروح والحياة وأصبح إنسانا كاملا عاملا مسئولا له إدارة مستقلة وزوده بالسمع والبصر والحواس كلها وعلم آدم الأسماء كلها وأسكنه الجنة وخلق له من شكله وجنسه زوجة هى (حواء) خلقها من ضلعه الأيسر .

أما الآيات التى استدلوا بها فى تفسيرهم هذا فهى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ (الحجر:٢٦) . ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴾ (الرحمن:١٤). ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴾ (ص:٧١-٧٢). ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ * ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ * فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ (الانفطار:٦-٨).

أى أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم على شكل تمثال من طين لازب وصلصال كالفخار ثم نفخ فيه من روحه فدبت فيه الحياة وأمر سبحانه الملائكة أن يسجدوا له تكريماً وتعظيماً وتفضيلاً عليهم فسجدوا له كلهم أجمعين إلا إبليس أبى واستكبر فلم يكن من الساجدين وأسكن الله آدم وزوجه الجنة وطلب منهما أن لا يأكلا من شجرة معينة قيل إنها شجرة الحنطة وقيل التفاح ولكنهما نسيا أمر ربهما وهبطوا جميعاً إلى الأرض حيث عاشوا وأنجبوا نسلا وذرية .

رأى العلماء المحدثين وتفسيرهم لنفس الآيات :

أما العلماء المحدثين فقد فسروا خلق آدم عليه السلام بعد الاكتشافات العلمية الحديثة التى أتاحها الله لهم ليريهم من آياته وقالوا : إن الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه السلام خطوة خطوة أو خلق خلقه فى سلسلة طويلة من التطورات البيولوجية الحيوية على سطح الأرض . فهم يفسرون خلق آدم من الطين اللازب (التراب والماء) وبأن خلقه بدأ بخلق الخلية الحية التى عاشها فى الطين و الماء ثم انقسمت وتكاثرت ثم تطورت إلى أشكال أكثر تعقيداً من عدة خلايا ثم تكاثرت بأساليب أخرى متنوعة

منها التلقيح والتناسل ثم تنوعت صور الأحياء تبعاً لاختلاف البيئة والظروف التى وجدت فيها ، وانقسمت المخلوقات إلى عائلات متنوعة مختلفة وكل عائلة تضم المخلوقات التى لها نظام حيوى واحد وتشابهت فى أجهزتها الحيوية المختلفة . ثم بعد أن خلق الله تعالى كل المخلوقات على الأرض من حشرات وطيور وحيوانات ، خلق الله الإنسان بعد هذه السلسلة الطويلة من التطورات المختلفة فجاء الإنسان على قمة هذه المخلوقات متكاملاً فى أحسن تقويم وأبدع صورة ، يحمل فى طيات خلقه كل ما أنعم الله به على جميع مخلوقاته من إمكانات ومواهب وقدرات ، ثم كرم الله آدم بأن نفخ فيه من روحه وجعل له عقلا وإرادة وذاكرة وبصيرة وضميرا ، وهداه النجدين وجعله قادرا على التمييز بين الخير والشر وله حرية الاختيار ، الاختيار بين الإيمان والكفر بين الهدى والضلال بين الخير والشر وهبه القدرة على التفكير والخلق والإبداع ثم حمله الأمانة ، أمانة الخلافة ومسئولية التكليف .

وأصبح آدم إنساناً كاملا جميلا عاملا حراً وأنعم الله عليه بزوجة من جنسه يسكن إليها تشاركه فى إنجاب الذرية . وأيًا كانت الطريقة التى خلق الله بها آدم عليه السلام سواء كانت خلقاً مباشراً على شكل الرجل فى الجنة ثم هبط منها إلى الأرض أو كانت بطريق التطور البطىء فى ملايين السنين من الخلية الواحدة ثم من سلالات متنوعة من المخلوقات إلى أن صار إنسانا بشرا سويًا فإرادة الله ومشيئته ليس لها راد أو معقب وإنما هى مشيئة نافذة فالله يقول للشىء كن فيكون وكذلك خلق حواء جاء مثلما جاء خلق آدم تماماً مع اختلافات ضرورية تناسب دور حواء كزوجة وأم . والآيات التى يستند إليها المحدثون هى : يقول تعالى ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ (نوح:١٧-١٨). ويقول تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ (المؤمنون:١٢). ويقول الحديث الشريف « كنت نبياً وآدم يجدل فى طينه » [١]

---

(١) اللفظ المشهور : « كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد» الذى رواه الترمذى٥/٥٨٥ رقم٣٦٠٩ وقال حسن صحيح غريب فى كتاب المناقب . وابن أبى شيبة ٢٩٢/١٤ فى المصنف . والحاكم فى المستدرك٦٠٩/٢ وصححه .

واللفظ المشهور «كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد» .

آدم وحواء فى الجنة :

قبل أن يخلق الله تعالى آدم جمع الملائكة كلهم وقال لهم إنه جاعل فى الأرض خليفة يحكم فيها بمشيئته ويعمر ويبنى فيها ويعبد الله سبحانه وتعالى بما شرع له تعالى ويقوم بتعميرها وتزيينها . وإصلاح الحياة فيها واستغلال ما خلقه الله لصالحه وسعادته وابتكار صور جديدة من الحياة عليها وكذلك لتكون له ذرية كثيرة تعبد الله تعالى وتمجده وتسبحه وتحمده وتكبره .

فقالت له الملائكة يا ربنا أتخلق فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، فقال لهم الله تعالى إنى أعلم ما لا تعلمون ، ثم علم الله تعالى آدم الأسماء كلها أسماء الأشياء والمواقيت وعرض المسميات على الملائكة وقال لهم أنبئونى بأسماء هؤلاء ، فقالوا لا نعلم لها أسماء ولا نعلم إلا ما علمتنا سبحانك . فقال الله تعالى لآدم أنبئ الملائكة بأسماء هذه الأشياء فأنبأهم آدم بأسمائها . فأمر الله الملائكة أن تسجد لآدم اعترافاً وتقريراً بأفضليته عليهم (وليس سجود عبادة) وعلى كثير من مخلوقاته .

فخروا له سجداً كلهم أجمعين إلا إبليس كان من الجن أبى واستكبر وعصا أمر ربه ، فغضب الله عليه ولعنه ، ثم قال تعالى لآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها حيث شئتما رغداً ولا تقربا من شجرة معينة ولا تأكلا منها فتظلما نفسيكما .

ولكن إبليس اللعين أخذ يوسوس لآدم بأن يأكل هو وزوجه من الشجرة المحرمة وأقسم لهما أن من يأكل منها يخلد فى الجنة وقد يصير ملكاً فنسى آدم وزوجه أمر ربهما وعصياه وأكلا من الشجرة المحرمة فبدت لهما سوءاتهما وباءا بغضب من الله وطردهما من الجنة ومعهما إبليس الملعون وقال لهم سبحانه وتعالى اهبطوا منها جميعاً إلى الأرض وسوف يأتيكم منى هدى بواسطة رسل منكم ، فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أما من يكفر بآياتى فلهم عذاب مهين .

ولنقرأ معا قول الله تعالى يخبرنا عما حدث فى هذا الموقف الخالد ، يقول تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ * قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ * وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ * فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ * قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة: ٣٠-٣٩) .

وقد خلق الله تعالى آدم بيديه أى بنفسه ولم يترك مهمة خلقه لملائكته فالإنسان خلق متميز متفرد يتصف خلقه بالعلم الفائق والتراكيب المعقدة الحيوية والنفسية والمشاعر والأحاسيس والعواطف والغرائز والقدرة على التفكير والابتكار والإرادة والاختيار بين البدائل .

خلق الإنسان المعجز الفذ الذى لا يستطيع خلقه إلا إله قادر وعالم لا حدود لقدرته ولا حدود لعلمه هذا الإنسان الذى روحه هى نفخة من روح الله الروح الإلهية التى تخلق وتبتكر وتفكر وتعقل . الروح التى لا يعرف كنهها والتى هى من أمر الله . هذا الإنسان لابد وأن تكون له منزلة عظيمة وتفضيل كبير .. يقول الله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ * فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ * قَالَ

يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ * قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ * قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ * وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ (ص: ٧١-٧٨).

طرد آدم وحواء من الجنة وهبطا إلى الأرض نادمين وقد تاب الله عليهما .

فجابهتهما الحياة على الأرض بقسوتها ، بمطرها وبردها ، بحرها وهجيرها بحيواناتها العملاقة المتوحشة ، فأين المسكن والمأوى أين الكساء ، أين الغذاء والقوت ، أين الأمان والطمانينة ..؟! كيف يدافعان عن نفسيهما ضد كل هذا ؟ كل هذه المشاكل التى كانا فى غنى عنها وهما فى الجنة فى رعاية ورحمة الله رب العالمين . ولكنهما الآن يواجهان نتيجة عصيانهما لأوامر الله تعالى وانصياعهما لغواية الشيطان (إبليس اللعين).

ولكن رحمة الله لم تتركهما فى ضياعهما وحيرتهما ولكن هداهما الله إلى المأوى وإلى القوت وعلم آدم الصيد ليصنع من جلود الحيوانات لباسا ومن لحومها وألبانها مطعما ، ومن عظامها أدوات نافعة ، وبعد أن استقرا نسبيا فى حياتهما الجديدة واطمأنا بدأ فى تكوين أول أسرة إنسانية على ظهر الأرض . ويخبرنا الله العظيم عن الإنسان كل شىء عن خلقه وذريته ونسله .

خلق نسل آدم على الأرض :

من هنا بدأت أولى الخطوات التى مر بها خلق الإنسان على الأرض من سلالة آدم عليه السلام فتبدأ الخطوة الأولى كما يعلمنا القرآن الكريم ، بأن يتزوج آدم حواء فتحمل منه حملاً خفيفاً ، ثم يثقل هذا الحمل حتى يصير طفلاً كاملاً . يقول القرآن الكريم : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (الأعراف:١٨٩) .

كيف تكون هذا الجنين الذى بدأ من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب هذا الماء الذى يخرج من الرجل محتويا على ملايين الحيوانات المنوية التى لا ترى بالعين المجردة ، ويصب فى رحم المرأة ليتقابل مع البويضة التى يفرزها المبيضين فتلقح باندماج حيوان منوى بها ثم تتجه إلى الرحم حيث تبدأ الخطوة الثانية فى عملية خلق الإنسان إذ تلتصق البويضة الملقحة بجدار الرحم وهى النطفة ، ثم تتعلق به فتصبح علقة وهى قطعة من الدم المتماسك ثم تتحول إلى مضغة أى قطعة من اللحم تستقر فى الرحم مدة الزمن ثم تخلق المضغة عظاماً ويكسى العظام لحماً . ثم تبدأ الخطوة الثالثة وهى بداية التكوين فيتكون القلب والشرايين وتتوالى بعد ذلك المتخلقات المعجزة التى تسير وفق خطة إلهية فى التكوين والخلق فى ترتيب زمنى محدد فبعض الخلايا تكون الرأس وما فيه من المخ وأجهزة السمع والبصر والشم والإحساس وغيرها من الأقسام المتعددة التى يحتويها المخ المعجزة العلمية التى لم يعرف بعد سرها فهذا القسم للإدراك وهذا للسمع وهذا للبصر وهذا للشم وهذا للانفعالات وذاك للتوازن الحركى وهذا للإحساس والشعور وهذا للذاكرة إلى آخر ما فى المخ من أقسام لم يكشف لنا عنها العلم إلا أقل القليل .

هذا بخلاف ما فى الجسم البشرى من أجهزة للهضم والتنفس والجنس وغيرها من أعصاب وخلايا سبحان الخالق العظيم الذى أودع أسرار الحياة فى هذا الجسد المادى . ثم بعد ذلك النفس التى أودعها الله هذا الجسد ليكون لها منزلاً تعيش به على الأرض . ولنقرأ كلام الله تعالى الخالق العظيم وهو يحدثنا عن تطورات الخلق للإنسان فى رحم الأم حتى يصير طفلاً ثم وهو رجل وكهل حتى يتوفاه الموت .. وتنتهى حياته وابتلاؤه على الأرض .

فيقول جل شأنه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن

﴿ يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ (الحج:٥-٧) . وتصف لنا آيات أخرى من سورة (المؤمنون) عن خلق الإنسان فتقول ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون:١٢-١٦) .

من كل ما سبق نرى أن الإنسان قد خلق من سلالة من طين فى مبدأ الأمر .ثم خلق نسله بعد ذلك من سلالة من ماء مهين ثم ينفخ الله تعالى فيه من روحة ويجعل له السمع والأبصار والأفئدة . يقول تعالى ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ * ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (السجدة:٦-٩) يخرج الإنسان من بطن أمه طفلاً كاملاً من حيث الأعضاء والشكل فى أجمل صورة وفى أحسن تقويم يقول الله تعالى ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (التغابن:٣).

ثم يشب الطفل شابا يافعا ثم رجلا رشيدا .. يبدأ فى ممارسة الحياة والتعامل معها ثم يتزوج الفتيان والفتيات وتتكون الأسرة وتنجب الأطفال بنين وبنات ، ويتكاثر الناس حتى يعمروا الأرض ويعبدوا الله خالقهم الحق العظيم .

يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء:١) .

الغرض من خلق الإنسان :

لقد بين لنا الله تعالى الغرض من خلق الإنسان على الأرض فى آيات بينات من القرآن الكريم فإن الله تعالى لم يخلق الإنسان عبثا ولا لعبا ولهواً وإنما خلقه لأنه تعالى أراد أن يجعل فى الأرض خليفة يعبده ويحكم فيها بما شرعه الله . لقد خلق الله تعالى آدم على الأرض ليكون له خليفة أورثة واستخلفه على المال وعلى الثروات التى على ظهر الأرض وفى باطنها استخلفه على المحيطات والأنهار يستغلها ويستخرج منها ما يشاء من ثروات وطاقات حتى النجوم والكواكب أتاح له أن يكتشفها ويستعمرها ، وسخر كل ما فى الكون من حيوان ونبات وجماد لهذا الإنسان الذى فضله الله وكرمه .

ليس الإنسان هو الحاكم فى الأرض بل خليفة للحاكم الأوحد وهو الله سبحانه وتعالى ، فالحاكم هو الله والحكم والأمر له سبحانه هو المشرع هو العادل هو كل شىء . لا شىء يتم فى الكون إلا بإذنه . فالله هو الحاكم الآمر المشرع المنظم للكون ولمعايش الناس وأرزاقهم والمدبر لأمور كل دابة على الأرض أو فى السماء وإنما جعل الإنسان خليفة له على الأرض ليعبده ويمجده ويتبع أوامره وينتهى عما نهى عنه ولم يطلب من الإنسان شيئا سوى أن يتبع ما ينزل إليه من السماء لذلك فقد أرسل الله تعالى للإنسان على مر العصور وعلى فترات متباعدة أرسل إليه الرسل والأنبياء يحملون إليه رسالات الله وفيها أحكامه وشرائعه ، أما إذا حكم الإنسان بما لم ينزل الله فأولئك هم الكافرون .

يقول تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (المائدة:٤٤).

لقد أراد الله أن يعبد فى الأرض فخلق الجن والإنس ليعبدوه .. يقول تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ (الذاريات:٥٦-٥٨) . ويقول تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٩)

أى أن الله تعالى خلق الإنسان على الأرض بعد أن انتهى من إعدادها تماماً بحيث يجدها الإنسان صالحة للحياة فيها كل ما يساعده على الحياة فيها ، ففيها المأوى وفيها الهواء والماء والغذاء والكساء حتى الحلية والزينة خلقها له وخلق له زوجة من جنسه لتكون له سكنا ورحمة ومودة ووهب له الذرية . ثم طلب منه الله أن يعيش على الأرض بعد أن يسر له كل شىء فيها ، وأن يعبده ويشكره على ما أنعم عليه وأن يطهر روحه ولا يقترب من المعاصى ويتقى الله فى كل تصرفاته حتى إذا أصبح تقيا نقيا صالحاً عاد إلى الجنة مرة أخرى بعد موته . أما إذا اتبع غواية الشيطان وعصا الله تعالى فإن النار هى المأوى وبئس المصير .

القضاء والقدر :

إذ تأملنا السماوات وما فيها من شموس وكواكب ونجوم ، فإننا نجد أن هذه البلايين من النجوم والكواكب تسير منذ الأزل وإلى الأبد وإلى أن يشاء الله تعالى تسير فى نظام محكم دقيق ، لا تصدم إحداها الأخرى ولا تنحرف عن مسارها وفلكها شمس ولا كوكب فيضطرب النظام الكونى كله .

ولكنها تسير فى نظام وتناسق وتوافق واتساق غاية فى الإحكام والإتقان ألا يدلنا ذلك على أن الله تعالى قد وضع لهذه البلايين من الكواكب والنجوم خطة مرسومة مسبقاً منذ الأزل لتسير فى نظام وإحكام تام إلى أن يشاء الله . كذلك فإنه من باب أولى أن يكون لهذه البلايين من البشر التى عاشت وتعيش وستعيش على الأرض، فى تكاثر دائم وازدياد مضطرد ، من باب أولى وهى المخلوقات المعقدة التركيب ،

ذات الأهواء المختلفة والإرادات والرغبات والمطالب المتباينة ، أن يكون لها خطة مرسومة مسبقاً فى دقة وإحكام ، حتى لا يضطرب نظام الحياة ، وحتى لا تفنى الحياة بين يوم وليلة لأى سبب قد يسببه إنسان مخبول . ولو ترك الحق السماوات والأرض لأهواء الناس لفسدتا ولو نظرنا إلى تاريخ البشرية على الأرض لوجدنا أن هناك دولاً كبرى تظهر وتحكم ، وحتى لا تسيطر هذه الدول بقوتها وغناها وجبروتها على العالم نرى أمامها قوة كبرى أخرى تقف أمامها . وربما قوى كثيرة أخرى كما نرى اليوم المعسكر الشرقى القوى الذى يريد أن يبسط نفوذه وسيطرته على شعوب العالم . فقد وضع الله أمامه قوة كبرى تقف فى وجهه فى المعسكر الغربى حتى تحطم المعسكر الشرقى .. وهكذا .

يقول تعالى ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥١)

إذن فهناك خطة موضوعة مبينة على أسس عادلة صحيحة تحكم علاقات الدول بعضها ببعض فالحق غالب فى النهاية لا مفر . والظلم والباطل فى النهاية ضائع منهزم . فالدولة المتمسكة بالحق والعدل والعلم هى الدولة القوية فإذا ما انحرفت إلى الظلم والباطل والترف والفساد والجهل والاستبداد . هى الدولة الضعيفة المتخاذلة والمتحللة والتاريخ شاهد على ذلك .

كذلك الأفراد منهم الصالحون ومنهم الظالمون الفاسدون وهما فى صراع دائم بين الخير والشر والغلبة دائما للخير والحق فى النهاية . فالفرد الصالح المتعلم هو الفرد القوى المنتصر والفرد الجاهل الظالم فهو الفرد الضعيف المنهزم لا محالة . فهذا الحشد الهائل من البشر المتناحر على سطح الكرة الأرضية فى تجمعات متماثلة شعوبا وقبائل ، من هو المسئول عن حياته ومعيشته إنها مسئولية رب العالمين هو الذى خلقهم فهو المسئول عن أرزاقهم وإيوائهم وكسائهم وغيرها من الاحتياجات الضرورية . يقول تعالى ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (هود:٦) .

فكل من على الأرض سواء منهم المؤمن أو الكافر ما دام الله تعالى قد خلقه وأوجده من العدم فهو المسئول عن رزقه وتدبير معاشه . حتى الأعمال التى يتعيشون منها أوجدها الله لهم كل قدر قوته وضعفة واستعداده وقدراته .

يقول تعالى ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (الزخرف:٣٢) .

أى أن حياة الناس على الأرض هى مسئولية الخالق فلا تعلم فى أى يوم ولا فى أى مكان تولد وتموت ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدا .

يقول تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (لقمان:٣٤) .

فالقضاء والقدر بالنسبة للإنسان يتمثل فى :

(١) الميلاد والممات والبيئة : التى يولد بها والوالدين كلها قدر مقدور . فلا تعلم نفس من أى بلد أو أى شعب ستكون وأى الوالدين من نصيبها بما لهما من مكانة ومركز فى الحياة الاجتماعية . وكذلك اليوم والساعة التى تولد فيها وكذلك المكان والمنزل الذى تولد فيه والذى تموت فيه .

(٢) الهيئة والشكل والجنس : وهى الشبه والملامح وحتى استقامة الجسم أو اعوجاجه أو مسخه ، كذلك النوع ذكرا كان أو أنثى ، كلها قدر مقدور .

الحديث الشريف : عن أبى حذيفة سريحة بن أسيد الغفارى قال : سمعت رسول الله ﷺ بأذنى هاتين يقول : (إن النطفة تقع فى الرحم أربعين ليله ثم يتصور عليها الملك فيقول : يا رب أذكر أو أنثى ؟ فيجعله الله ذكرا أو أنثى . ثم يقول : يا رب أسوى أو غير سوى ؟ ثم يقول : يا رب ما رزقه ؟ ما أجله ؟ ما خلقه ؟ ثم يجعله الله شقياً أو سعيداً) [١].

---

(١) الحديث رواه مسلم فى النذور رقم ٤ وأحمد بلفظ قريب ٣٧٤/١ والطبران فى الكبير ٢٤٠/١٠.

عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : (إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة) [1] ..

وذلك لعلمه سبحانه وتعالى بخفايا القلوب أمؤمنة هى أم كافرة فى الحقيقة .

(٣) الظروف والبيئة التى تولد فيها : وهى حالة الوالدين الاجتماعية والمالية من حيث الغنى والفقر . السعادة والشقاء . العلم والجهل . الصلاح والفساد ، الصحة والمرض . عن عثمان بن أبى شيبة عن على قال : كنا فى جنازة فى بقيع الفرقد فأتانا رسول الله ﷺ . فقعد وقعدنا حوله ومعه محضرة فنكس فجعل ينكت بمحضرته ، ثم قال (ما منكم من أحد ، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة أو النار و إلا وقد كتبت شقية أو سعيدة) قال : يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل ؟

فقال : (من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة . ومن كان من أهل الشقاوة فسيصيرون إلى عمل أهل الشقاوة . وقال : اعملوا فكل ميسر . أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة . ومن كان من الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة) [2] .

ثم قرأ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ (الليل:٥-١٠) صدق الله العظيم .

(٤) العوامل الوراثية : لا شك أن ما يرثه الفرد من صفات جسمانية وعقلية ونفسية كلها قدر مقدور .

(٥) المأكل والملبس : أى الرزق فهو قدر مقدور أيضاً .

---

(١) الحديث رواه مسلم فى القدر رقم ١١ والإمام أحمد فى المسند ١٠٧/٦و١٠٨ برقم ٢٤٦٤٣ وأبو على الموصلى فى مسنده ٥٧/٢ رقم ٤٦٦٨ .

(٢) الحديث رواه البخارى ١٢٠/٢و٢١٢/٦ طبعة الشعب . ومسلم فى القدر رقم ٦ وأبو داود ٢٢٢/٤ رقم ٤٦٩٤ . وعبد الرزاق فى المصنف رقم ٢٠٠٧٤ والطبرانى فى المعجم الصغير ٦٧/٢ .

(٦) نوع العمل أو المهنة التى يزاولها الفرد ليتعيش منها : فهو أيضاً قدر مقدور فالله تعالى قسم بين الناس معيشتهم فى الحياة الدنيا وجعل الناس بعضهم فوق بعض درجات لتبادل المنافع والخدمات كل حسب استعداده وميوله وما خلق له ، فالله تعالى وزع المواهب بين الناس ليسخر كل واحد الآخر لمنفعته ، كالطبيب والمهندس والخباز والفلاح والعامل والتاجر ، إلخ كل يعطى ويأخذ من الآخرين .

الحديث الشريف : عن جابر قال : جاء سراقة بن مالك بن جعشم

قال : يا رسول الله ، بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن فيم العمل اليوم ؟

أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما نستقبل ؟.

قال : (لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير) . قال : ففيم العمل ؟.

قال « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » [1] ويقول تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (الزخرف:٣٢).

(١) الأحداث الخارجية بعيداً عن تدبير الفرد : وهى قد مقدور ، فالعبد فى التفكير والرب فى التدبير (كما يقولون) فالله تعالى قد وضع مخططا عاما شاملا لجميع الناس بل لجميع المخلوقات سواء كان جمادا أو نباتا أو حيوانا أو بشرا ، أو جنا أو ملائكة ، لابد من حدوثه سواء رضى الناس أو كرهوا ولا يعلم حكمتها إلا الله وحده . ويخبرنا الله العظيم بأن كل ما حدث ويحدث وسيحدث فى أى مكان من الكون ، مكتوب فى اللوح المحفوظ من قبل أن يخلق الله السماوات والأرض وما فيهما وأنها ستحدث حتما طوعا أو كرها . يقول الله تعالى ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (الحديد:٢٢-٢٣)

---

(١) رواه مسلم ٨٨٢/٢ رقم ١٢١٣ فى الحج . والنسائى ٢٤٦/٥ رقم ٢٩٩٢ فى المناسك . وابن ماجه ٩٩٣/٢. وأحمد ٢٩٣/٣ وبرقم ١٤٠٤٨ بتحقيق الشيخ شاكر .

الحديث الشريف : عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ (كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز) (العجز هو عدم القدرة أو التأخير أو التسويف) ؟ (والكيس هو النشاط والحذق بالأمور) [1]

(معناه) أن العاجز قد قدر عجزه والكيس قد قدر كيسه .

عن عمرو بن العاص : قال رسول الله ﷺ : (إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء) [2]

ثم قال رسول الله ﷺ (اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك) وذلك لكى يطمئن الله المؤمنين من عباده . وحتى لا يخافون ولا يحزنون من أى شيء ولا على أى شيء وأيضاً حتى يستبد بهم الفرح والسرور فيفخرون ويختالون على الناس ، وحتى يتوكل المؤمنون على الله فى كل شيء من أمورهم لذلك أخبرهم الله تعالى بأن كل ما يحدث فى هذا الكون إنما قد قدره الله وكتبه من قبل . يقول تعالى ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التوبة: ٥١)

الحديث الشريف : يقول النبى ﷺ (يا غلام ألا أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك . واعلم أن الأمة لو اجتمعت على شيء ينفعوك به فلن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك . ولو اجتمعت الأمة على أن يضروك بشيء فلن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك . رفعت الأقلام وجفت الصحف) [3] صدق رسول الله ﷺ .

حتى ما يحدث للنبات وهو من خلق الله : فهو بإذن الله وبعلمه ..

---

(١) الحديث رواه مسلم فى القدر رقم ٨ وأحمد ١١٠/٢ عن عبد الله بن عمر والإمام مالك فى الموطأ .

(٢) الحديث رواه مسلم فى القدر رقم١٧ وأحمد ١٦٨/٢ والحاكم فى المستدرك ٢٨٨/٢ وابن أبى عاصم فى السنة ١٠٠/١

(٣) رواه الترمذى ٦٦٧/٤ رقم ٢٥١٦ وقال حسن صحيح وأحمد ٢٩٣/١ - ٣٠٧ والحاكم فى المستدرك ٥١٤/٣

يقول تعالى ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ (الحشر:٥) . لينه (نبات أخضر)

فالقضاء والقدر :

هو الأحداث والمصائب بأنواعها التى تحدث وتصيب المخلوقات تنفيذا لما سطر فى اللوح المحفوظ منذ الأزل حتى تسير الحياة فى الكون كله ، وفق الخطة الشاملة التى رسمها الله تعالى وكتبها ، يقول الرسول الكريم (رفعت الأقلام وجفت الصحف).

هذه الحياة المعقدة المتشابكة التى لا يمكن أن تسير بهذا النظام المتسق المنتظم المحكم البديع السلس ، إلا بتدبير من لدن إله قوى قادر ذى قوة متين حكيم عليم . والقرآن الكريم ملىء بالآيات الكريمة التى تدلنا على أن الأحداث مسطورة مكتوبة من قبل حودثها قبل خلق الخلق .

الحديث الشريف :

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ (احتج آدم وموسى . فقال موسى : أنت آدم الذى أخرجتك خطيئتك من الجنة ؟! فقال له آدم : أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه ثم تلومنى على أمر قد قدر علىَّ قبل أن أخلق ؟ ! ! فحج آدم موسى) [(١)] .

فالرؤيا التى رآها فرعون مصر ولم يستطع أحد لها تفسيرا حتى فسرها له نبى الله يوسف عليه السلام ، وهى الرؤيا الخاصة بما يصيب مصر من رخاء يعقبه قحط ومجاعة . وقد فسرها له يوسف عليه السلام بما علمه الله من تأويل الأحاديث ، وهى إنما تدل على الأحداث التى تحدث للبلاد والأفراد مقدرة ومكتوبة قبل حدوثها وأيضاً

---

(١) الحديث رواه مسلم فى القدر رقم ١٥.وأبو داود ٢٢٥/٤ رقم ٤٧٠١ فى السنة . وأحمد ٢٦٨/٢ . وابن ماجه رقم ٨٠ فى المقدمة .

الرؤيا التى رآه سيدنا يوسف وهو صغير فقد رأى أن الشمس وأحد عشر كوكبا رآهم له ساجدين قد تحققت الرؤيا تماما بعد حين . والأحلام التى رآها صاحبى السجن مع يوسف عليه السلام فسرها لهما يوسف عليه السلام وتحقق ما قاله تماما . وقد أخبرهما عما سيأكلانه فى اليوم التالى .

يقول تعالى ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾

(يوسف:٣٧)

وتحقق ما قاله لهما وفسر لأحدهما حلمه بأنه سيصلب وتأكل الطير منه . وقد تحقق . أما حلم السجين الثانى بأنه يسقى خمرا للملك قد تحقق أيضاً وأصبح ساقياً للملك . وكذلك الرؤيا التى رآها سيد الخلق محمد رسول الله ﷺ قبل فتح مكة . فقد رأى فى الحلم بأنه والمؤمنون يدخلون مكة محلقين آمنين وقد تحققت الرؤيا تماما . معنى ذلك كله أن الأحداث مسطورة من قبل وتحدث للدول والشعوب والأفراد كما أراد الله تعالى وفى موعد معين ، حسب الخطة الشاملة الموضوعة ، وكل فرد منا رأى أحلاما ورؤوا شخصية قد تحققت تماما بنصها فى موعد معين . وكذلك كل العقوبات التى أنذر بها رسل الله أقوامهم إذا لم يؤمنوا بالله قد تحققت كلها .

وقصة حياة سيدنا يوسف عليه السلام وقصة حياة سيدنا موسى عليه السلام تدلان على أن لكل إنسان قصة كاملة بتفاصيلها بما فيها من أحداث وأفعال وأقوال فالواقع كله من صنع الله وهو مبنى على أسس متينة من المسببات ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ (الكهف:٨٣-٨٥).

والمكتوب ليس شيئاً يلقى على الناس إلقاء من أعلى وإنما هو مكتوب ومقدر من داخل الإنسان نفسه منذ ولادته ، مكتوب فى شكله وفى تكوين جسده وتكوين عقله إن كان ذكيا أو غبيا ، ومواهبه وملكاته وقدراته ، ثم لا ننسى تأثير البيئة والمجتمع فى الفرد فهى التى تكون عواطفه وعقده النفسية التى تتحكم فى سلوكه فى

الحياة ، وأيضاً لا ننسى ما يرثه الفرد عن أبويه من صفات وأمزجة وأمراض وقوة أو ضعف وكذلك المؤثرات العقائدية والثقافية كلها عوامل لا دخل له فيها وإنما هى مفروضة عليه .

وإذا أراد أن يفعل الإنسان شيئا فإنه يكون خاضعا تماما لكل هذه المؤثرات فتخرج إرادته محصلة لمكوناته المادية والعقلية والروحية لذلك كان هذا التباين والاختلاف فى تكوين الناس شيئا مقصودا . فكل واحد أعد له دور يناسب قدراته ووظيفة معينة وغاية محددة خلق لها . ليؤدى دوره فى الخطة العامة الشاملة لمسيرة البشرية إلى الأمام .

والحديث الشريف يقول (كلكم ميسر لما خلق له) ولكن هل مشيئة الإنسان وإرادته وحدها كافية لحدوث المكتوب ؟ لا ... فهناك الأسباب الخارجية التى تحيط بالإنسان والتى تسمح أو لا تسمح بنفاذ إرادته . وهذه يحدثها الله ويرسلها حتى لا يتم إلا ما يريده الله فقط فالمكتوب هو اتفاق إرادة الإنسان مع الأسباب الخارجية وهى كثيرة وهى بيد الله مثل المرض المفاجىء والجو الذى ينقلب فجأة . والحوادث التى قد تعرقل تنفيذ الإرادة الإنسانية ، مثل حوادث السيارات أو أن يقابل الشخص إنسانا يثنيه عن تنفيذ ما أراد أو يخطر عليه خاطر يثبط عزيمته . ولذلك يقول الله تعالى ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (التكوير:٢٩) .

وفى النهاية فإن كل ما يحدث فى الواقع سواء فى الكون أو للإنسان أو لأى مخلوق ، هو خير محض وعدل ورحمة وهو يخدم تطور الفرد والبشرية كلها ، وإذا كان كل شيء يحدث للفرد هو مفروض عليه فما الذى يحاسب عليه إذًا ؟!! سيحاسب الإنسان على حقيقة نيته أثناء تأدية دوره فى الخطة العامة للبشرية . أى أن اختبار الإنسان يكون من خلال تأدية ما هو مكتوب عليه هل هو راض بقلبه عن ما يفعله ؟! وهل حاول قدر استطاعته أن يرضى الله تعالى ويفعل ما أمر به ولا يفعل ما نهى عنه ؟! أى ،، هل هو مؤمن أم كافر ؟

يقول رب العزة والجلال ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (الكهف:٢٩).

مما سبق تتبين أن الإنسان مكون من جانبين ، جانب (مادى حيوانى حركى) وجانب (روحانى عقلى) فالجانب المادى : أى الذى يخضع لقانون المادة مثل الأكل والشرب والجرى والرياضة والسفر والعمل والنوم والراحة ومقابلة الناس والحديث والضحك والبكاء وكل ما يمت إلى العالم المادى مثله مثل الحيوان تماما . وهذا الجانب المادى أى حركة الجسم فى كل اتجاه . فهذه ينظمها الله سبحانه وتعالى حسب الخطة العامة للبشرية . وقد كتبها الله تعالى فى اللوح المحفوظ من قبل خلق الخلق يقول تعالى ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (الحديد:٢٢) .

وهذا قطعا عملية تنظمية لحركة المخلوقات كلها فى الكون فلا يصطدم شىء بشىء ، وعندنا مثل واضح نراه بأعيننا وهو حركة النجوم والكواكب فى السماء ، فإن لكل كوكب أو نجم مسار خاص يسبح فيه ، بحيث لا يصطدم بغيره فيحدث اضطراب وانهيار ، وهذه النجوم والكواكب مخلوقات وجمادات مادية . فمن أجل أن يكون لها نظام لابد من وضع خط سير لها مسبقا تسير فيه . فهى لا تملك عقل ولا عواطف ولا انفعالات فكيف لا يكون للإنسان ذو العقل والانفعالات والعواطف والحب والكراهية وحب السيطرة والأنانية والقتل والنهب والسلب وغيرها من الملكات المدمرة الرهيبة كيف لا يكون له قانون ينظم حركته فى حياته . فلابد أن يوضع لكل حى خط سير لحياته وقصة كاملة لأفعاله وحركته فى الحياة لا يحيد عنها من ولادته حتى مماته حتى تنتظم الحياة فلا تترك لأهوائه حرية الحركة التى يريدها لنفسه فتضطرب الحياة بين الناس . أما الجانب الثانى للإنسان فهو (الجانب الروحانى العقلى) : فقد هدى الله سبحانه وتعالى الإنسان النجدين أى طريق الخير وطريق الشر أى أن له حرية الاختيار والتفكير كما يشاء ..

يقول تعالى ﴿ .. فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ .. ﴾ (الكهف:٢٩) وهذه الحرية الروحانية هى البصيرة أو الضمير أو النية وهذه مرجعها إلى الإيمان والكفر فالمؤمن تكون نيته وهو يعمل الشيء المكتوب نية خير لوجه الله تعالى ، والكافر تكون نيته وهو يعمل الشيء المكتوب نية شريرة ليست لوجه الله وإنما لهدف يسعى إليه فيه مصلحته الشخصية على حساب الآخرين ومن هنا كان الحساب على نية الإنسان وهو ينفذ المكتوب .

ويمكن تلخيص كل ما سبق فى هذا الموضوع بما يأتى :-

الجبر :- وهو كل ما يمت إلى عالم المادة من عمل وحركة فى الكون بأسره وذلك لتنظيم حركة الكون والأحياء وذلك للمؤمن والكافر على السواء وهذا قد كتبه الله فى اللوح المحفوظ من قبل خلق الخلق .

الاختيار :- هو النية والقصد والتعمد التى تصاحب تنفيذ العمل المكتوب بالاختيار الحر للإنسان وهذا هو مناط الحساب فى الآخرة .

(الابتلاء أو الاختبار)

كان لا بد من وضع خطة تامة مفصلة كاملة لكل ما يحدث فى السماوات والأرض لجميع المخلوقات ، حتى تسير فى نظام وإحكام ، وما يسرى على المخلوقات كلها يسرى أيضا على الإنسان وما يحدث له ، حتى يكون هناك وحدة نظامية بين أجزاء الكون بأسره . خلق الله تعالى الإنسان على الأرض ليعبده وليعمر الأرض ، ويسخرها بمواردها وكذلك السماء إن استطاع فبعد أن هبط آدم وحواء إلى الأرض لم يتركهما الرحمن الرحيم فى ضياع وشقاء ، ولكن رحمته سبقت عدله فتاب عليهما وأنار لهما الطريق فى الدنيا وقال لهما سيأتيكما رسل منى إليكما ومعهم الهدى فمن تبع هداى فلن يضل ولا يشقى فى الدنيا وسأدخله جنة المأوى فى الآخرة أما من ضل وكفر فله نار جهنم خالدا فيها لا يموت ولا يحيا . وحذرهما

سبحانه ، وذريتهما من الشيطان الرجيم وبين لهما عداوته لهما وللجنس البشرى من بعدهما ثم أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأنه خلق الناس على الأرض ليبلوهم أيهم أحسن عملا ويختبرهم فى أثناء حياتهم التى يعيشونها على الأرض ، ليعلم من يؤمن به وبرسله بالغيب ولينظر من يجاهد ويصبر على الإيمان وعلى اتباع الحق ومقاومة النفس ووسوسة الشيطان ، ليعلم من يجاهد بالعبادة وبالقتال فى نصرة الحق . لقد بين الله تعالى طريق الحق والنور ، وهو طريق القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ وطريق الإيمان وطريق الشر والضلال والكفر وهو طريق الشيطان والطاغوت .

وقد خلقنا الله تعالى بنعمة التميز بين الخير والشر وطلب منا اتباع طريق الخير، وذلك باتباع تعاليم الدين والرسالات السماوية فكلنا خليفة الله فى الأرض ، كل منا مكلف من لدن الله تعالى بأن يحكم بما أمر الله وبما أنزل من تشريعات وتكاليف وأوامر ونواهى ، كل فى موقعه وفى مركزه (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) حديث شريف ، كما أمرنا الله باجتناب الشر والشيطان أى أن نفعل كذا ولا نفعل كذا .

سبق أن قلنا إن كل الأحداث التى تحدث للكون وللأمم والشعوب والأفراد مكتوبة ومقدرة من قبل فى علم الله تعالى . وبينا الحكمة من ذلك . هى أن يسير الكون والأمم والجماعات والأفراد وجميع المخلوقات فى نظام متسق متفق فلا اضطراب ولا فوضى .

كيف يختبرنا الله تعالى :

الفرد المؤمن والفرد الكافر يسيران فى الحياة اليومية معا ، ويقابلان مشاكلها وأحداثها وكل منهما يتخذ موقفا ورأيا محددا منها ويسلك سلوكا معينا ، كل منهما يستمد إلهامه وحلوله من العقيدة التى يؤمن بها ويسير عليها فى الحياة فالفرد المؤمن ملتزم بتشريعات الله تعالى وأوامره ونواهيه ، فإذا ما واجه موقفا فى الحياة اليومية فإنه يستشير إيمانه ويستشير هدى الله . يستشير القرآن وسنة رسول الله عليه الصلاة

والسلام ، ويحل المشكلة أو يواجه الموقف والمشكلة بفعل وقول يرضى الله تعالى أما الفرد الكافر أو العاصى أو الضال فإنه يستمد أيضاً الحل للمشكلة أو الموقف من فلسفته التى يؤمن بها . إن كانت فلسفة مادية أو إلحادية مادية ، فإنه قطعا سيحسب حساباتها بهذا المقياس وفى النهاية فإن ما يفعله المؤمن والكافر ويحدث فعلا هو فعل إرادة الله تعالى لذلك واقع ، والنية التى صاحبت حدوث الفعل هى التى تظهر إيمان المؤمن وكفر الكافر .

إن أحداث الكون كله وما يجرى به من حركات وأفعال مكتوبة فى اللوح المحفوظ عند رب العالمين من قبل أن يخلقها . وكما قلنا من قبل لابد من وضع خطة مفصلة لما سيحدث فى الكون من قبل حدوثها حتى لا يحدث تصادم وتضارب فى الحركات والأحداث فيختل النظام .

كذلك بالنسبة للأفراد ، فكل إنسان معروف بالاسم ومسجل فى اللوح المحفوظ . أبويه من هما وأين يولد ومتى سيحدث وما سيفعله وما سيقوله بكل التفاصيل كما لو كانت قصة مصورة ومسجلة كالفيلم السينمائى تماما كل شىء يفعله أو يقوله وكل حركة وكل سكون . وكل ما يصيبه وما يرزقه وما يبتلى به من خير وشر .. ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾
(الأعراف:١٨٨)

وذلك لأن كل فعل أو قول من أى إنسان له أثره على غيره وهذا الأثر يؤثر بدوره على أناس كثيرين جدا إلى يوم القيامة ، فموت إنسان مثلا قد يؤثر على كل ما يترتب على موته من أحداث وأناس إلى يوم الدين ، فكل إنسان لا يعيش بمفرده وإنما يتفاعل مع مجتمعه وتتشابك أفعال الناس مع بعضها بشكل معقد ، فلابد أن توضع لكل إنسان قصة محكمة ويكون دوره محددا واضحا يخدم المسيرة الكبرى للإنسانية جمعاء ، وبذلك يكون هناك اتساق وتوافق تام مع أدوار الآخرين ولكل فرد قصة كاملة محكمة تبدأ من وقت ولادته وفى أى مكان ومن هما والديه وما هى

الظروف والمواقف التى سيمر بها ، ومن هم الناس الذين سيحتك بهم فى حياته ، كل ذلك مكتوب بتفاصيله ، وإذا كان الإنسان يسير فى قصة مكتوبة له مسبقا فكيف يحاسب على أفعاله ؟!! إن الله تعالى يريد أن يظهر من هو الذى اختار الإيمان به غيبا ومن هو الذى لم يؤمن به أصلا . فلابد من ابتلائه واختباره ويكون ذلك من خلال الدور الذى يؤديه الدور الذى كتب عليه أن يؤديه سواء رضى أم لم يرض والابتلاء هو لاكتشاف المؤمن والكافر لنفسه وأعتقد أن النية التى تصاحب أداء العمل أو القول المكتوب هى التى يحاسب عليها الإنسان كيف واجه المكتوب والمقدر فى المواقف التى تقابله يوميا ويجد نفسه مشتركا فيها بالرغم منه .

مواقف الابتلاء من صنع الله تعالى :

فالإنسان يختبر منذ استيقاظه من النوم فى الصباح حتى ينام فى الليل مرة أخرى كل المواقف التى قابلها واشترك فيها أثناء حركته ، كلها مكتوبة كلها من تأليف وإخراج وديكور ، كلها موضوعة من عند الله سبحانه وتعالى مواقف مفروض عليه أن يشترك فيها ويؤدى دورا فيها ، كل ما سيفعله وما سيقوله ، مكتوب ومقدر ، ولكن سيحاسب على نيته أثناء تأدية هذا الدور هل فعل ما فعل أو قال ما قال سواء خيرا أو شرا هل قلبه راض عن هذا الذى فعله أو قاله؟ وإن كان الدور الذى أداه خيرا، هل فعله وهو مقتنع به وهل أداه لوجه الله تعالى أم أداه ليقال عنه أنه خير أو كريم أو شجاع أو شهم وكذلك إن كان الدور الذى أداه شرا . هل قلبه راض عنه وهل هو مقتنع به أم أنه غير موافق بقلبه على فعل هذا الشر ولكنه وجد نفسه مقهورا أو مضطرا على فعله أو ناسيا أو مخطئا ؟!

إن كان الشر الذى فعله عن طريق النسيان أو الخطأ أو الاضطرار ، فلا إثم عليه أما إن كان راضيا كل الرضا عن فعل هذا الشر المكتوب عليه أداؤه فهو آثم ، مذنب وذلك لأن الفعل أو القول الذى وقع فهو مقدر من عند الله وهو قطعا خير وعدل للناس ولكنهم لا يعلمون ذلك فى وقته . وكل ما يفعله الله فهو خير مطلق ، فالله هو العادل الرحيم يقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام (لو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع) وقس على ذلك أى فعل تفعله فى يومك ، فهو مكتوب ومقدر

للصالح العام ، وأنت تؤدى دورك أحيانا تفعل خيرا وأحيانا تفعل شرا لابد من ذلك للصالح العام للإنسانية كلها ولكنك لن تحاسب إلا على نيتك وأنت تؤدى هذا الدور، حتى لو أديت دور الخير ولكن نيتك غير خيرة فأنت آثم ، وقد تؤدى دور الشر ولكن نيتك لا تؤيده أى عن غير تعمد وقصد فأنت غير آثم ، وهناك أمثلة كثيرة .

والحديث الشريف يقول:« إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى »[1].

ولذلك أجاز الله لنا ورخص بفعل أشياء منهي عنها في حالات الضرورة القصوى والاضطرار الشديد وذلك حتى يتم قضاء الله بالرغم من حرص المؤمن .

يقول تعالى ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة:١٧٣).

وكثيرا ما نقرأ عن القتل الخطأ ، فهو مقدر ومكتوب للقاتل والمقتول وإنما سيحاسب القاتل على نيته فإن كان قتله عامدا متعمدا فجزاؤه النار أما إن قتله خطأ فله كفارة ولن يحاسب ما دامت نيته لم تكن تقصد القتل وبهذا الشكل تسجل الملائكة الكاتبة (الفعل) مع (النية) التي صاحبت تنفيذه فإن كانت النية حسنة لفعل حسن أي أن هناك رضى وموافقة من الإنسان على فعل الخير فإن فعل الخير ينسب إلى فاعله مع نيته . وكذلك الشر إن فعله وهو راض بقلبه ونيته ينسب له هذا العمل ويكتب له سيئة .

وهناك مثال واضح صريح يلخص هذا المعنى بكل بساطة ذكره الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين (إذا باشر رجل زوجته) وهو يعتقد أنها (امرأة أخرى) فقد ارتكب جريمة الزنا ، والعكس إذا باشر امرأة أجنبية على أنها زوجته لم يأثم ولا يتهم بالزنا .

من ذلك يظهر أن (نية القلب) أثناء أداء المقدر والمكتوب هي الأساس الذي سيحاسب عليه الإنسان .

---

(١) الحديث رواه البخاري ٢/١ و١٧٥/٨ طبعة الشعب . ومسلم في الإمارة ١٥٥ والترمذي رقم ١٦٤٧ والنسائي ٥٨/١ و ١٥٨/٦ وابن ماجه رقم ٤٢٢٧ والإمام ٢٥/١ والدارقطني ٥١/١

وهكذا في كل موقف من مواقف الحياة اليومية ، فإن القضاء والقدر سيحدث أمامه في صورة معينة أرادها الله تعالى لحكمة بالغة لا ندري ما فيها من عدل ورحمة تخفى على كثير من الناس .

الحديث الشريف :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ (ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة أو حط عنه بها خطيئة) [١].

وقالت أيضا قال رسول الله ﷺ : (ما من مصيبة يصاب بها المسلم إلا كفر عنه حتى الشوكة يشاكها) [٢].

وقد يسيء هذا القضاء المكتوب لبعض الناس فهو في هذه الحالة عقوبة

لهم على ما اقترفوا من آثام وهو تطهير لنفوسهم ومحو لذنوبهم فهو خير ورحمة إذا . وقد يسعد هذا القضاء والقدر بعض الناس وهو في هذه الحالة مكافأة لهم على عمل صالح فعلوه من قبل كما سنرى بعد قليل .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر به من سيئاته) [٣].

فالإنسان في كل لحظة من لحظات حياته وفي كل عمل وفي كل قول وفي كل حركة وفي كل نظرة ، هو في حالة اختبار ، يمتحنه الله تعالى في دينه .

---

(١) هذا اللفظ رواه مسلم في البر والصلة رقم ٤٧ والبيهقي رقم ٣/ ٣٤٣. وبلفظ قريب رواه أحمد ٢/ ٣٠٣ وابن أبي شيبة في المصنف ٣/٣٢٠. والبخاري ١٤٨/٧.

(٢) الحديث رواه البخاري ١٠ /١٠٣ رقم ٥٦٤٠ (فتح الباري)وكذا رقم ٥٦٤١ و ٥٦٤٢ ومسلم في البر والصلة رقم ٤٩ والإمام أحمد ٤١١/٦ و ١٢٠ .

(٣) الحديث رواه البخاري ١٤٨/٧ و ١٠٣/١٠ رقم ٥٦٤٢ (فتح الباري ومسلم ١٩٩٣/٤ رقم ٢٥٧٣ والترمذي ٢٨٩/٣ رقم ٩٦٦ وحسنه وأحمد ١٨/٣ وبرقم ١١٠٨٤ بتحقيق الشيخ شاكر .

● في المقرر الذي أنزله الله من السماء . وهو القرآن الكريم ، وفي السنة الشريفة ، هل ذاكر المقرر جيدا وهل آمن به من قلبه؟ أم أنه يدعي الإسلام والإيمان .

● ولجنة الامتحان هي المكان والظروف التي يعيش فيها .

● والأسئلة هي المواقف التي يجد نفسه مشتركا فيها رغما عنه ، وإجاباته هي نيته أثناء تأدية دوره في كل موقف .

● والزمن هو عمره من سن الرشد إلى وفاته .

● والنتيجة غالبا ما تكون في الدنيا وفي الآخرة أيضا إن كانت نيته شريرة فالعقوبة في الدنيا والآخرة ، إن كانت نيته خيرة فالمكافأة في الدنيا والآخرة أيضا.

حتمية الابتلاء :

إن الاختبار لابد منه للإنسان في حياته ليعلم الله درجة إيمانه أو كفره بالله تعالى وليشهد الإنسان على نفسه يوم الحساب . إذ سيجد كل ما فعل مسطورا في كتابه . فلا يكفي أبدا أن يقول الناس آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله ويوم الحساب والقضاء والقدر ، حتى يكونوا مؤمنين إنما لابد من اختبارهم بالابتلاءات المختلفة ليعلم الله المؤمن من الحق الذي يتحمل في سبيل إيمانه التضحيات والآلام لأن جزاء ذلك جنات عرضها السماوات والأرض ، يقول تعالى في حتمية الابتلاء ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (العنكبوت:٢-٣) .

ويقول تعالى أيضا ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (آل عمران:١٤٢).

أي يبتليهم بما يتطلب الجهاد والصبر عليه ، فالابتلاء هنا بالدرجة الأولى لإظهار المؤمنين من المكذبين ، فمن يريد دخول الجنة فلابد أن ينجح في الاختبار والابتلاء والمؤمنين والأنبياء سواء في الابتلاء .

تقول الآية ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة:٢١٤) .

فالله تعالى يريد أن يعلم وينظر من ينصره بالغيب ويؤمن به وبرسله. يقول تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحديد:٢٥) .

ويقول تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (التغابن:١٤-١٥) . وعلم الله سابق ولكن ليشهد الناس على أنفسهم .

شروط الابتلاء :

وقد جعل الله تعالى للابتلاء شروطا حتى لا يظلم أحد ، فمن توافرت فيه الشروط وجب ابتلاؤه .

أولا : أن يكون الإنسان سميعا بصيرا :

يسمع ويرى أي أن يكون مزودا بوسائل الإحساس والشعور والإدراك حتى لا يغيب عنه شيء من الاختيار .

يقول تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (الإنسان:٢-٣) .

ثانيا : أن يكون الإنسان عاقلا واعيا حرا : أي ليس مجنونا ولا غائب العقل كأن يكون نائما أو مخدرا ، ولا مضطرا مقهورا تحت ضغوط فيها هلاكه ، وأن يكون

واعيا متذكرا وليس ناسيا ، حتى يكون عمله بنية وتعمد وإصرار وعلم ووعي وإدراك.
إذ يقول الحديث الشريف «رفع عن أمتي ثلاث الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه».

يقول تعالى ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الأحزاب:٥) .

لذلك حرم الله تعالى الخمر لأنها تذهب العقل فلا يكون أهلا للابتلاء والاختبار .

ثالثا : أن يكون عالما بما هو مطلوب منه ومكلف به :

أي أن يكون قد بلغته الرسالة الإلهية وهي القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ .
حتى يكون عالما بأمور دينه فلا يخطئ ، لذلك كان كل مسلم مكلف ومسئول عن دراسة القرآن والسنة بكل تعقل وتدبر .

لذلك فقد هدى الله الإنسان النجدين أي طريق الخير وطريق الشر وأعطاه القدرة على التمييز بينهما . وقد حرص الله تعالى أن يبلغ الناس بتشريعاته وأحكامه وأوامره ونواهيه فأرسل الرسل بالرسالات السماوية إلى الناس على فترات متباعدة حيى إذا نسي الناس تعاليم السماء ذكرهم بها رسول جديد وصحح لهم ما حرف منها بواسطة أعداء الله وأعداء الحق .

لذلك يقول تعالى ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء:١٥) .

وقد جاء القرآن الكريم خاتمة الرسالات السماوية السابقة ومكملا لها ومعترفا بما فيها من حق ، وأرسل محمدا رسولا خاتما للأنبياء والمرسلين ليبلغ القرآن الكريم ويوضح للناس من دينهم ما لم يذكره القرآن بالتفصيل كالصلاة والزكاة وشعائر الحج والصوم وقد أمرنا الله بإطاعة رسوله فقال ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ

أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (الحشر:٧) صدق الله العظيم .

مواد الابتلاء :

مواد الابتلاء التي تواجه الإنسان على الأرض في حياته منها ما هو غيبي روحاني ومنها ما هو مادي .

الغيبي :

هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ويوم الحساب والقضاء والقدر : أي هل يؤمن الإنسان بالله تعالى غيبا وينصره غيبا ، ويضحي بماله وروحه وصحته ووقته لإعلاء كلمته ونصرة دينه ، مع أنه لا يرى الله سبحانه وتعالى .

يقول رب العالمين ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (المائدة:٩٤)

المادي هو :

١- الابتلاء بالمال والأولاد :

أي أن الله تعالى يمتحنهم بإغداق الأموال عليهم ويرزقهم بالأولاد الكثيرة ، وينظر هل سيشكرون هذه النعم ويؤدون ما أمر الله به بشأنها مثل إيتاء الزكاة والتصدق والإنفاق في سبيل الله ، والبعد عن اللهو والفسق والإسراف ، وهل سيشكرون نعمة الأولاد أم سيفترون بهم على الناس ويتكبرون ويتعالون عليهم بكثرة وقوة عصبيتهم ، وهل سيقومون بتربيتهم تربية دينية قويمة أم يتخلون عن مسئوليتهم ويتركونهم للضياع ، يقول تعالى في كتابه العزيز ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ (محمد:٣١) . ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (التغابن:١٥)

٢- القتال والجهاد في سبيل الله :

والحروب التي تشتعل بين المؤمنين وأعدائهم من الكفار والمشركين هي مادة هامة من مواد الابتلاء ، فالله تعالى قادر على أن ينتصر على الكفار والمشركين بدون حرب ولا قتال ، بأن يسلط عليهم جنوده من مخلوقاته العديدة مثل الرياح والقحط والأمراض والأوبئة والحشرات ولكن الله تعالى يريد أن يختبر المؤمنين هل سيقاتلون ويضحون بأرواحهم وأموالهم في سبيل الله وفي حب الله . أم لا ؟

يقول تعالى ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ (محمد:٤).

٣- الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات :

يقول تعالى ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ (البقرة:١٥٥-١٥٧) .

٤-ابتلاء الإنسان فيما أتاه الله :

لقد استخلفنا الله في الأرض وجعلنا في درجات متفاوتة ، ورفع بعضنا فوق بعض درجات في الذكاء ، في المواهب ، في القدرات في المناصب ، في المال في المسئولية وجعل مادة ابتلائنا ما نحن عليه من غنى أو فقر من علو أو هوان من عز أو ذل من حرية أو أسر من قدرة أو حرمان ، من علم أو جهل ، من سلطان أو ضعة من صحة أو مرض فكل إنسان مسئول عن ما هو فيه .

الحديث الشريف :

(عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت :بلى قال :هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ وقالت :إني أصرع وإني أتكشف ،

فادع لي الله ، قال إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك ، قالت : فإني أتكشف فادع الله ألا أتكشف فدعا لها) .[1]

هل سيكون هدفنا في تصرفاتنا هو إرضاء الله أم إرضاء الشيطان ؟!

يقول تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾ (الأنعام:١٦٥) .

٥- كل ما على الأرض من زينة ونعمة :

كل ما على الأرض من متع وزينة ، من قصور وحدائق وزراعات وأنعام وخيول ومال ونساء وأولاد إلى آخر ما عليها من النعم والزخارف كل ذلك مادة للابتلاء اليومي للإنسان ، وكل إنسان يطمع ويتمنى أن يكون له نصيب مما على الأرض من المتع والزينة فكيف سيحصل عليها . هل بالكفاح الشريف والعمل الجاد أم بالغش والنصب والاحتيال ولعب الميسر والاتفاقات غير المشروعة والسرقة والاختلاس وتجارة المخدرات والرقيق الأسود والأبيض .

يقول تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا * وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ (الكهف:٧-٨) .

ويقول تعالى أيضاً عن الفتنة بالمال والمتاع : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ (طه:١٣١) .

٦- الخير والشر فتنة وابتلاء :

الخير والشر مادتان من مواد الابتلاء للناس ، فالخير كالمال والنعيم والأولاد والمناصب العليا والسلطة والصحة والقوة والفتوح كلها من مواد الابتلاء التي كثيرا ما يفشل أكثر الناس ، فالخير سلاح ذو حدين فكما أنه يسعد فإنه قد يشقى أيضاً .

---

(١) الحديث رواه البخاري ١٥٠٨/٨ . ومسلم في (البر والصلة) رقم ٥٤ .وأحمد٣٤٧/١.
والطبراني في المعجم الكبير ١٥٧/١١ . والبيهقي في دلائل النبوة ١٥٦/٦ .

والشر هو الشطر الثانى أو الوجه الثانى للابتلاء ، فهل يؤمن الناس بالقضاء والقدر المر منه خاصة ، وأنه من عند الله سبحانه وتعالى . !! وهل سيحمدون الله ويرضون به أم يكفرون ويسخطون عليه فنقص الأنفس والأموال والثمرات وكل ما يصيب الإنسان من شر كلها مادة من مواد الابتلاء التى يمتحن بها إيمان من آمن بالله .

والابتلاء والاختبار والفتنة هى لإظهار معادن الناس ودرجة إيمانهم بالله ، فمن الناس من يكون إيمانه قوياً متيناً وهذا يصمد للابتلاء وينجح فيه ، ومنهم من يكون إيمانه (على حرف) أى أن أية فتنة تجعله ينقلب على وجهه وينصرف عن الإيمان ويكفر بالله العظيم فيخسر الدنيا والآخرة .

يقول تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ * يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ * يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ (الحج:١١-١٣) .

والخير والشر فتنة ، فالخير قد يكون نقمة ! والشر قد يكون رحمة !! ولكن أكثر الناس لا يعلمون يقول تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:٢١٦) .

الحديث الشريف :

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب ـ أو أم المسيب قال : « مالك يا أم السائب أو يا أم المسيب تزفرين ؟ قالت : الحمى لا بارك الله فيها فقال : لاتسبى الحمى فإنها تذهب خطايا بنى آدم ، كما يذهب الكير خبث الحديد.»[1]

---

(١) الحديث رواه مسلم فى البر والصلة رقم ٥٣ والبيهقى فى السنن الكبرى ٣/٣٧٧.

مسئولية الإنسان عن أعماله وأقواله الكاملة :

لقد حملنا الله عز وجل مسئولية اختيارنا للطريق الذي نسير فيه ، ومسئولية أعمالنا وأقوالنا ، مسئولية خطيرة ، حيث إن الله تعالى قد أعطانا القدرة على التمييز بين الخير والشر ، يقول تعالى ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد: ١٠) ..

الإنسان مخلوق فريد متميز عن بقية مخلوقات الله تعالى ، فهو المخلوق الوحيد المسئول عن أعماله وكذلك الجن . يجمع بين جنبيه الخير والشر يستطيع أن يكون خيراً ويستطيع أن يكون شريراً ، بعكس غيره من المخلوقات فالملائكة لا تستطيع فعل الشر وإنما هي تسبح وتحمد الله ولا تسأم من ذلك أبداً . فهي مخلوقة لتكون خيرة أما البهائم وسائر الحيوان فإنها غير مسئولة عن أفعالها وإنما تسير على هدى غرائزها فلا تفكر ولا تختار فلا مسئولية إذًا . وهي لا تميز بين الخير والشر ، والإنسان هو المخلوق الوحيد الذى قبل الأمانة قبل المسئولية .

يقول تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ (الأحزاب: ٧٢).

ويقول تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ (التين: ٤-٦) .

فالإنسان يستطيع أن يصل إلى درجة الملك كما أنه يستطيع أن ينحط إلى درك الحيوان إلى أسفل سافلين كبهيمة الأنعام بل أضل سبيلاً ، والإنسان به نفخة من روح الله ، له إرادة حرة مستقلة ، له القدرة على الخلق والإبداع والابتكار سخر الله له كل ما فى السموات والأرض ، فهو خليفة لله فى الأرض ، له مقام كبير بين الملائكة والجن سجدت له الملائكة سجود تفضيل واعترفوا بفضله عليهم وبعلمه الذى علمه الله إياه ، هذا الإنسان الذى يحمل كل هذه المؤهلات ، ليس مخلوقاً عادياً ، وإنما هو مخلوق فذ قوى ، يحمل كثيراً من صفات الله تعالى احتوى قلبه المؤمن السماوات والأرض خلقه الله مسئولاً ذا إرادة ومشيئة حرة ، ذو مواهب خلاقة واستعدادات

وملكات خارقة . لقد حمله الله تعالى مسئولية الخلافة على الأرض وسيحاسبه بمنتهى العدل والإنصاف .

ومن الآيات الكريمة فى القرآن العظيم ما تحمل الإنسان مسئولية كاملة عن أعماله وأقواله فى الدنيا . وأنه سيحاسب عليها يوم القيامة يقول تعالى ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (العنكبوت:٦-٧) ويقول تعالى أيضا ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت:٤٦) ويقول تعالى أيضاً ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ * وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ (النجم:٣٩-٤٢). ويقول تعالى ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ (القيامة:٣٦) . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ (الانشقاق:٦)

- ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (الزلزلة:٧-٨) . ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ * وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة:٨١-٨٢) .

- ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة:٢٨٦) .

- ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ (الأنعام:١٠٤) .

- ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴾ (الأنبياء:٩٤) .

فالإنسان الفرد هنا مسئول مسئولية كاملة عن كل ما يعمل فى الدنيا باختياره وتعمده ونيته . وما دام الإنسان سيحاسب على أعماله يوم القيامة ، فلا بد من تسجيل هذه الأعمال والأفعال والأقوال تسجيلاً دقيقاً صادقا صارماً حتى إذا عرضت عليه أعماله لا يستطيع أن ينكرها وهو يرى صورته هو بعينه وهو يعملها ، مما سبق نرى أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان فى أحسن تقويم . ثم نفخ فيه من روحه ، وأعطاه القدرة على التمييز بين الحق والباطل ، بين الخير والشر ، بين الهدى والضلال . وقد أعطاه الله سبحانه الفرصة لأن يهتدى إلى الحق والخير فأرسل إليه الرسل تبين له أن ربه إنما هو إله واحد لا شريك له خالق كل شىء ثم حذره من الشيطان واتباع طريق الغوايه الذى يؤدى إلى النار وإلى الهلاك والضياع وأخبر الله تعالى الإنسان أنه إنما خلقه ليعبده وليعمر الأرض وأنه مسئول عن أعماله ، وأنه سيبتليه ليعلم إن كان مؤمنا وإلى أى درجة يتبع شريعة الله فى الأرض حتى يحاسب الله الإنسان على أعماله حساباً عادلاً وأميناً لا ظلم فيه ، أخبره الله تعالى أنه سيسجل كل أعماله وأقواله بواسطة ملائكة كرام ، يكتبون وينسخون كل ما يعمل ويقول ، ويعرض عليه هذا الكتاب يوم القيامة ليقرأه بنفسه .

تسجيل الأعمال والأقوال :

حتى يتم تسجيل أعمال الإنسان وأقواله أولاً بأول فقد جعل الله تعالى لكل فرد ملائكة قاعدة عن يمينه وعن شماله تكتب وتنسخ وتسجل كل ما يفعل ويقول فى حيدة تامة وعدالة مطلقة .

يقول تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (ق:١٦-١٨).

ويقول تعالى عن هذا الكتاب الذى تسجل فيه الأعمال ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الجاثية:٢٩) .

ويقول تعالى أيضاً ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ (الزخرف: ٨٠) .

يقول أيضاً ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الانفطار: ١٠-١٢)

وأيضاً ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (يونس: ٦١) .

كل ذلك حتى إذا جاء يوم القيامة طلب من كل إنسان أن يقرأ كتابه الذى حوى كل ما فعله فى حياته .. فيحاسب نفسه بنفسه ، لا ظلم اليوم .

ويقول تعالى ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا * مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء: ١٣-١٥).

ويقول تعالى أيضاً ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (فاطر: ١٨) . أى أنه لن يحمل أحد وزر أحد ، حتى ولو كان ذا قربى ، أباً كان أو أماً أو أخاً أو أختاً أو زوجة أو زوجاً ..... إلخ .

درجات الابتلاء :

والناس عند الابتلاء درجات :

الدرجة الأولى : المؤمن الصالح (ولى الله) : وقد تعهد الله تعالى بأن يحييه حياة طيبة ويكون الله وليه فى الدنيا والآخرة .

ويقول تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٧) .

ويقول تعالى أيضاً تأكيداً لهذا المعنى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ (فصلت: ٣٠-٣٢) .

وهذا أمر طبيعي ، سنة الله في خلقه أن من يعمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ، ومن يعمل حسنة فله عشر أمثالها ويضاعف لمن يشاء ، فالمؤمن الصالح الذي لا يعمل السيئات ودائماً يعمل الحسنات ويتبع ما أنزل الله فجزاؤه في الدنيا وفي الآخرة الحياة الطيبة حتى الكافر والملحد إذا عمل عملاً حسناً في الدنيا فجزاؤه الإحسان في الدنيا فقط . فمن جد وجد ، ولكن ليس له في الآخرة من نصيب بل له عذاب الحريق جزاء كفره وإلحاده .

فمن عمل في الدنيا حسنة سواء كان مؤمناً أو كافراً فجزاؤه في الدنيا حسنة ولو أن الحياة الطيبة ليست هي المال والرفاهية في كل الأحوال ، ولكن الحياة الطيبة هي الصحة والسعادة وراحة البال والاطمئنان وهذا لا يتوفر للكافر والملحد فهو دائماً غير مطمئن وقلق .

ابتلاء المؤمن الصالح بالخير :

واختبار المؤمن الصالح في الدنيا يكون بحيث يتضمن من خلاله توافر الحياة الطيبة له كما تعهد الله بذلك ، في هذه الحالة يكون ابتلاؤه بالخير أو (الشر المفيد) والله تعالى يبتلي الناس بالخير والشر ، أي إما أن يكون بالمال الوفير والأولاد الصالحين والصحة ، وهو بذلك يجمع بين الابتلاء بالمال والصحة والأمان لأنه يتبع أوامر الله تعالى والله يختبره بالمال والخير ليرى إن كان سيعطي الفقير والمسكين وذوي القربى حقهم منه أم لا ، وهل يعاون الناس بصحته ومركزه ومنصبه وقوته ؟

وقال تعالى ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا * لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ (الجن: ١٦-١٧) . وهذا يدل على أن الله تعالى يختبر المستقيمين على طريق الله بالخير وليس بالشر ، لينعموا بالخير ، وهم بطبيعة

إيمانهم سيؤدون حق الخير المفروض عليهم ، ولكن أحياناً يبتلى المؤمن بأشياء تبدو ظاهرياً أنها شر . وهى فى حقيقتها تؤدى إلى الخير العميم ويقول تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:٢١٦) .

والحياة الطيبة هى مع ولاية الله ورعايته وحمايته للمؤمن الصالح ورفع الضر عنه بصور من الشر هى فى صميمها الخير كله ، وقصة (سيدنا موسى وسيدنا الخضر) ليست بغائبة عنا. فقد خرق سيدنا الخضر (العبد الصالح) السفينة لأصحابها. وهذا العمل فى ظاهره شر ، ولكن خرقها حتى لا يستولى عليها ملك قوى فى حالة حرب يأخذ كل سفينة غصبا ، فلما رأى السفينة كانت لمساكين يعملون فى البحر جانحة يغمرها الماء تركها الملك وقتل الخضر غلاماً صغيراً بغير ذنب ، وكان ذلك لأن أبويه صالحين ، وكان الغلام إذا كبر فإنه سيرهقهما طغياناً وكفراً ، فأراد الله أن يكفيهما شره فأماته فقتل الغلام شر ظاهر ولكن خير لهما ولكنهما لا يعلمان ، والأمثلة على هذا المعنى كثيرة فالخير قد يجىء فى صورة شر ولكن لا نعلم حكمته فالمؤمن الصالح لا يحزن من أى شر أصابه لأنه حسن الظن بالله ويعلم تماماً أن قضاء الله وقدره هو الحق والعدل فالمؤمن لا يخاف ولا يحزن من أى شىء لأنه يعلم بأن كل شىء بأمر الله تعالى فلا يصاب بما يصاب به الكافر والملحد من ذعر وهلع لعدم إيمانه بالقضاء والقدر ، لأنه يعتقد تماما أن الله يفعل الخير إذاً فالمؤمن الصالح دائماً يحيا حياة طيبة مطمئنة راضية فلا خوف ولا حزن فى حياته وإنما الاطمئنان والثقة التامة وحسن الظن بالله تعالى .

الدرجة الثانية : (المؤمن التائب) : والمؤمن التائب هو الذى يؤمن بالله وبملائكته وكتبه ورسله ويوم الحساب ، ثم أسرف على نفسه وارتكب المعاصى ، ولكنه فاء إلى أمر الله واستيقظ ضميره وعاد إليه إيمانه فاستغفر الله كثيراً وعاهده على التوبة الخالصة النصوح ، ورجع إلى الله تعالى وأصلح ما قد أفسده وما قد صنعه من باطل فى حق الناس الذين ظلمهم واتجه بكل قلبه وكيانه إلى الله تعالى وسار على الصراط

المستقيم وأدى الشعائر كلها على خير وجه يصلي ويصوم ويزكي ويحج ويتصدق ويقدم المعونة للمحتاج بدون انتظار أجر منه وإنما أجره على الله . وراعى مسئولياته كلها فى كل موقع فى عمله وفى أسرته وفى وطنه ، إلخ وصمم على أن لا يُغضب الله أبداً . هذا الإنسان التائب عسى الله أن يغفر له خطاياه ويكفر عنه سيئاته . لأن عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ، يقول تعالى ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾ (الفرقان: ٧٠-٧١) .

هذا الإنسان التائب الذى ارتكب كثيراً من المعاصى قبل توبته ، لابد بمنطق من يعمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ، لابد أن يلقى جزاءه على قدر ذنبه حتى يطهر نفسه ويكفر عن سيئاته الماضية .

هذا التائب المؤمن الذى أذنب وعصى يكون عقابه مساوياً لما قدمت يداه .

هذا العقاب هو فى نفس الوقت (ابتلاء له) من الله تعالى ليرى إن كان سيرجع عما فعل وهل كانت توبته خالصة نصوحة ، أم أنه سيتمادى فى غيه ويعصى الله بأمره مرة ثانية ، فإن تاب وقبل العقوبة التى تكفر ذنوبه عن رضى حتى يتطهر من آثامه ، نجح فى الابتلاء وقبلت توبته حتى إذا كفر عن جميع سيئاته الماضية ولم يبق عليه ذنب ، دخل فى ولاية الله تعالى وكان من أولياء الله الصالحين ، إن مات دخل الجنة بغير حساب ورافق الأنبياء والشهداء والصالحين أما إن كان يعاقب تكفيراً عن سيئاته ومات قبل أن يكفرها كلها فإن الله تعالى إن شاء غفر له كل ما تبقى من ذنوبه أو أكمل به العقوبة فى الآخرة قبل أن يدخله الجنة .

ومن الآيات الكريمة التى تبين أن الذنوب هى التى توجب العقوبة .

قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ (الشورى: ٣٠)

وقوله ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (الزلزلة:٧-٨). ويقول تعالى ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ (الروم:٤١-٤٢) .

أى أن الفساد الذى يظهر فى البر والبحر للناس هو عقوبة لهم بما كسبت أيديهم من آثام وذنوب حتى يذوقوا من نفس الشر الذى فعلوه .

يقول تعالى ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (النساء:٧٩) .

وعقوبة الفقر والابتلاء هى نتيجة لذنوب معينة اقترفها الإنسان وهى كما ذكرها رب العالمين . عدم إكرام اليتيم وعدم الحض على طعام المسكين وأكل المال الحرام وحب المتع والرفاهية ، يقول تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ * وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ * كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ * وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا * وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ (الفجر:١٥-٢٠) .

والابتلاء غالباً يكون مكافأة أو عقوبة فى نفس الوقت ، فالمحسن يبتليه الله تعالى بالخير فى صوره المختلفة والمسىء يبتليه الله تعالى بالشر وذلك لأن الله تعالى عادل خير رحيم ، لا يظلم مثقال ذرة ، والله تعالى يغفر لمن يعمل السوء بجهالة وبحسن نية أى لم يكن متعمداً عمل السوء عن علم ولكنه فعله إما مخطئاً فى الفهم والتقدير وإما ناسياً ، وإما مكرهاً . أى أنه عمل السوء وكان يعتقد أنه ليس ذنباً يغضب الله . فلما علم أنه كان مخطئاً فإنه يستغفر الله هنا يتفضل الله تعالى بقبول استغفارهم وعذرهم ويتوب عليهم ويمحو سيئاتهم ولا يعاقبهم عليها ، بل إنه تعالى يبدل سيئاتهم حسنات . وكثرة الاستغفار وفعل الخيرات والتصدق على الفقراء تمحوا

السيئات وتكفير عن الذنوب ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ * وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾

(هود:١١٤-١١٥)

ابتلاء الكافر :

أما المشرك أو الكافر الملحد فإن الله تعالى يعطيه جزاء إحسانه فى الدنيا لا يبخسه حقه ويعقبه جزاء إساءته وظلمه الغير ، أى أن الكافر إذا أحسن فى الدنيا فى أى شىء فمن العدل أن يجنى ثمرة عمله حسنة ، وذلك لأن الكافر إذا عمل عملاً فيه مصلحة للجماعة ، فإن المؤمنون والكافرون سينعمون بثمار هذا العمل ، مثل اختراع الراديوا أو التليفون أو التليفزيون أو السيارة والقطار والطائرة وغيرها من ما يرفه عن الناس ويخفف عنهم أثقال الحياة وييسرها لهم وهذا يدخل فى نطاق ما تحدثنا عنه من قبل وهو أن لله تعالى خطة عامة شاملة للبشرية كلها ، يوظف فيها سبحانه المؤمن والكافر على السواء ليؤدى كل دوره بما يطور الحياة ويرتقى بها ، وأما الإيمان والكفر فهى المشيئة الوحيدة التى وهبها الله تعالى للإنسان على الأرض . قال تعالى ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴾ (الكهف:٢٩) .

الإنسان ... مؤمناً ... وكافراً ...

بعد أن خلق الله تعالى الإنسان بدءاً من الطين ثم من سلالة من ماء مهين حتى جاء ذلك المخلوق المعتدل السوى العاقل البديع الشكل ، المزود بالمخ المعقد والبالغ التعقيد والإعجاز ، (الذى وصفه جماعة العلماء الأمريكان المعاصرين بأنهم لو أرادوا صنع جهاز صناعى يقوم بعمل المخ الإنسانى ، لاحتاجوا إلى جهاز يبلغ حجمه مثل حجم الكرة الأرضية أربع مرات). ولا غرابة فى هذا القول ، فإن الله تعالى الخالق العظيم يقول عن الإنسان إنه صنعه بيديه ، خلقه بنفسه ، بكل قدرته وعلمه .

يقول تعالى فى ذلك ﴿ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾ (ص:٧٥).

ذلك الإنسان الذى كرمه ربه وخلقه فى أحسن تقويم والذى علمه الأسماء كلها والذى أمر الملائكة على ما هم عليه من منزلة وكرامة ، أن يسجدوا له والذى سخر له ما فى السماوات وما فى الأرض جميعاً منه لخدمته وطوع إرادته يُسخرها كيف يشاء . ذلك الإنسان الذى نفخ الله تعالى فيه من روحه فصار يحمل بين جنبيه روحاً من روح الله . يحمل الإرادة والعقل والقدرة على التفكير والخلق والإبداع والبيان .

يقول تعالى ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق:١-٥) .

ويقول سبحانه أيضاً ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ * عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ (الرحمن: ٣-٤).

وجعله سبحانه قادراً على الاختيار والتفضيل .. « وهديناه النجدين .. »

هذا الإنسان الذى كرمه الله تعالى حتى على الملائكة الذين لا يملكون إلا أن يكونوا ملائكة مكرمين ، لا يخطئون ولا يذنبون ، وهذا الإنسان الذى كرمه الله تعالى على بقية المخلوقات الأرضية التى لا تستطيع إلا أن تتبع غريزتها الفطرية التى فطرها الله تعالى عليها أما الإنسان فهو المخلوق والكائن المسئول العاقل التى تتجاذبه غرائزه الفطرية وروحه الإلهية . لو تركه الله تعالى بدون أن يمد له المساعدة والهداية فى هذه الحياة الدنيا فإنه حتماً يقع فى الحيرة والضلال والارتباك . ولذلك أرسل الله تعالى إليه الرسالات السماوية والهدى الإلهى ، بواسطة رسل من البشر يهدونه إلى الطريق المستقيم الذى يرشده إلى الحياة السوية السليمة. ويحذرونه من غواية وإضلال الشيطان الرجيم الذى كان السبب فى طرد آدم وحواء من الجنة . لم يترك الله تعالى الإنسان ضالاً فى هذه الحياة الدنيا وإنما بين له طريق الهدى والإيمان وطريق الضلال والعصيان ثم قال تعالى له ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (الكهف:٢٩)

أى أعطاه الله حرية الاختيار ولم يفرض عليه الإيمان أو الكفر ، وإنما هداه النجدين ، ليختار أيهما شاء من هنا وقعت المسئولية (مسئولية الإيمان والكفر) كاملة على كتفيه فالإيمان والكفر هنا ليسا إجباراً أو فرضاً مفروضاً أو قدراً مقدوراً على الإنسان إنما هى حرية الاختيار يقول تعالى ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (الإنسان:٢-٣) .

فمن أراد الإيمان بمحض اختياره اتخذ إلى ربه سبيلاً . من أراد الكفر والضلال بمحض رغبته اتجه إلى سبيل الشيطان ولكن الله تعالى حبا للإنسان الذى خلقه بيديه ليكون خليفة له فى الأرض ، أرسل إليه الآيات البينات ترغبه وتحببه فى اتخاذ الإيمان ديناً والإسلام عقيدة وسبيلاً ، وفى ذات الوقت أرسل إليه الآيات البينات تخوفه من اتخاذ طريق الكفر والإلحاد عقيدة وسبيلا حتى يرجع إلى الإيمان بالله الواحد الخالق الذى لا شريك له . فإن الله تعالى لا يحب لعباده الكفر ، وماذا يفعل بعذاب عباده فمن الآيات الواضحة الرائعة التى ترغب الإنسان فى الإيمان واتباع طريق الهدى والاستقامة والتوحيد ، وتبين الجزاء الكريم الذى يناله المؤمن فى الدنيا وفى الآخرة قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ (الذاريات:٥٦-٥٨) .

أى أنه سبحانه وتعالى خلق الجن والإنس ليعبدونه ويمجدونه ويحمدونه أى أن يكونوا مؤمنين به وليسوا كافرين وهنا يتعجب الله تعالى من الإنسان الذى كفر بربه الذى خلقه فسواه فعدله فى أى صورة ما شاء ركبه وفى أبدع شكل صوره وخلقه. ويعتب الله تعالى على هذا الإنسان الذى ترك عبودية الله وكفر به سبحانه ، يقول تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ * ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ * فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ (الانفطار:٤-٨) . ويعتب أيضاً على الكافر فيقول تعالى ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (البقرة:٢٨).

ولو كان الله تعالى قد فرض على بعض الناس الإيمان وعلى البعض الآخر الكفر لما قال فى محكم آياته : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ * ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (يونس:١٣-١٤) .

وكذلك قوله تبارك وتعالى ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

(التوبة:١٦)

وفى هذا المعنى يقول جل جلاله أيضاً ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (المائدة:٩٤) .

وكقوله تعالى أيضاً ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (آل عمران:١٤٢).

هذه الآيات الأربع السابقة تدلنا على أن الله تعالى لا يتدخل فى اختيار الناس للإيمان أو للكفر . فهما مسئولية الفرد ونتيجة اختياره فهى مسئولية عظيمة وليست هينة ، وإنما هى شىء عظيم وشىء رهيب والله تعالى لا يظلم أحداً مثقال ذرة . فكيف يقدر سبحانه وتعالى على إنسان دون آخر الكفر ثم يقذفه فى نار الجحيم خالداً فيها أبد الآبدين ، بما فيها من حريق وعذاب أليم شديد ، لابد أن يعطيه الله تعالى الفرصة العادلة ليختار بمحض إرادته الحرة إما الإيمان وإما الكفر .

ولذلك فقد بين الله تعالى له الطريق المستقيم الذى يؤدى إلى جنة النعيم الخالد كما بين له سبحانه وتعالى الطريق الملتوى الذى يؤدى إلى النار . وعذابها الدائم الخالد المهين ، وتركه يختار بنفسه طريقه ، ولذا فقد خلقه الله صاحب مشيئة مستقلة .

كذلك كيف قدر الله تعالى لفرد الإيمان دون آخر ويدخله جنات عرضها كعرض السماوات والأرض فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، جنة فيها ما فيها من النعيم والسلام والجمال إلى أبد الآبدين ، لابد أن يمتحنه ويبلوه ويعطيه الفرصة ، ليعلم من يؤمن به بالغيب ويجاهد فى سبيله ويخافه ويتقيه . ولينظر ماذا يفعل فى الحياة الدنيا أيؤمن ويكون من المصلحين ، حتى إذا نجح فى الابتلاء علم أنه يستحق هذه الجنة عن جداره بما آمن وصبر وجاهد وأدى العبادات وأصلح بين الناس وأنفق مما أعطاه الله ، واتبع أوامر الله واجتنب نواهيه بالغيب .

وهنا يكون العدل هو السائد ، والعدل هو شريعة الله .

سبق أن قلنا إن الحياة الدنيا ستسير بمن فيها فى الطريق الذى قدره الله وقضاه ورسمه لها ولهم سواء أكان سكانها مؤمنين أو كافرين فلن يغير اعتقادهم أو عقيدتهم من الأمر شيئاً . فلكل منهم دور سيؤديه فى المسيرة العامة الكلية للحياة حتى يوم القيامة .

أما الإيمان والكفر فهو شىء يختاره الفرد بمشيئته الشخصية وهو اختيار لإيمان الناس ودرجته حتى تكون الجنة هى جزاء الذين يؤمنون ويحسنون ويصلحون وتكون الجحيم هى مستقر الملحدين الكافرين حتى ولو كانوا محسنين فى الحياة الدنيا .

فالجنة : أعدت للذين يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وقضاء الله وقدره حلوه وشره ويعملون الصالحات . والنار أعدت للكافرين الذين لا يؤمنون ولا يصدقون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وقضاء الله وقدره حتى لو أحسنوا فى الدنيا .

أما حساب المؤمن والكافر فى الدنيا :

فتقضى سنة الله تعالى أن كل من يصنع خيراً يجزى به ولا يبخس منه شيئاً . فالمؤمن والكافر إذا صنع كل منهما أشياء حسنة صالحة فى الدنيا فسيجنى جزاء

صنيعه فى الدنيا . والمؤمن والكافر إذا صنع كل منهما شراً وسوءاً فسيجنى كل منهما جزاء عمله ، فالعدل والقسطاس ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

يقول تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (هود:١٥-١٦) .

أما فى الآخرة فأعمالهم كسراب بقيعة باطل ما كانوا يعملون فى الدنيا ولا ينظر إليهم وجزاؤهم النار .

ولو شاء الله تعالى أن يؤمن كل الناس لآمنوا جميعاً بالأمر . كما تؤمن الملائكة ، ولم يكن هناك داعياً لخلق الجنة والنار والابتلاء والتسجيل ولكن الله سبحانه وتعالى أعطى الناس المشيئة والحرية فى الاختيار حتى يؤمن من يشاء من الناس ويكفر من يشاء منهم باختيارهم وتحت مسئوليتهم .

يقول الله عز وجل ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ * وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (هود:١١٧-١١٩).

فمن اختار وفضل الحياة الدنيا على الآخرة وعمل لها وسعى لها سعيها أى اجتهد فيها وأخذ بأسباب النجاح فيها وحرص على نعيمها وخيرها وبذل فى سبيل ذلك الجهد والفكر والعمل ، فإن الله يعطى الدنيا وعزها لمن يشاء منهم ، ولكن ليس له فى الآخرة إلا جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً .

يقول تعالى ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ (الإسراء:١٨-١٩) .

أما من يريد الحياة الآخرة ويسعى لها سعيها وهو مؤمن أى يؤدى العبادات كاملة على وجهها الصحيح وقلبه ملىء بالإيمان والتقوى من الله ، ونفذ أوامر الله تعالى واجتنب نواهيه فإن سعيه هذا وجهده ومجاهدته فى سبيل إرضاء الله خالقه .. فإن الله تعالى يشكر له جهده وسعيه هذا .

والله تعالى الكريم الرحيم ، يمد المؤمنين والكفار برزقه وعطائه فإن عطاءه ليس محظورا . يقول تعالى ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا * ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً * لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً ﴾ (الإسراء: ٢٠-٢٢) .

والله تعالى جعل للكفار درجات فى الحياة الدنيا ولهم فى الآخرة درجات من شدة العذاب ، وكذلك المؤمنون لهم درجات فى حياتهم الدنيوية وكذلك أعد الله لهم درجات متفاضلة من النعيم والرحمة وفى الآخرة الدرجات الأكبر والتفضيل أكبر وأعظم .

الترغيب والترهيب :

الترغيب :

ولأن الله تعالى يحب لعباده الإيمان ويكره لهم الكفر فإنه يرغبهم بالآيات المبشرة بالجنة والنعيم المقيم حتى يؤمنوا ويختاروا الهدى .

يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

(الصف: ١٠-١٣)

وأيضا من الترغيب يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢) .

أما الترهيب :

من النار وعذابها لمن يكفر بالله ورسله فيقول تعالى مخوفاً الناس حتى ينجون بأنفسهم من عذاب النار ... فيقول تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ * ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ * ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾

(الحج:٨-١٠)

من كل ما تقدم من آيات الله البينات يتضح لنا أن الله تعالى أعطى حرية الإيمان وحرية الكفر لمشيئة الفرد دون أن يتدخل فى اختياره ، ولكن الله تعالى يمد يده فقط لمن يريد الهداية ، ويزيد فى ضلال من اختار الكفر والضلال .

وهو سبحانه وتعالى أعلم بمن يبذل الجهد ليهتدى فيساعده سبحانه ويعينه على الهدى وييسر له سبيل التقوى والصلاح ـ أما من ينصرف عن الهدى والإيمان بقصد وتعمد ولا يحاول أن يهتدى ويؤمن فالله تعالى لا يساعده على الهدى وإنما يتركه سبحانه يتخبط فى ضلاله بل ويزيده ضلالاً ويمد له فيه .

يقول تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾

(العنكبوت:٦٩) .

ويقول تعالى أيضاً ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ﴾ (مريم:٧٦) .

* * *

الإنسان المؤمن

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ (البينة:٧) صدق الله العظيم .

ما أروع هذه الشهادة من رب العالمين ، حيث يشهد سبحانه وتعالى بأن المؤمنين هم خير من على ظهر هذه الأرض .

إذًا .. فالإنسان المؤمن بربه هو ذلك الإنسان سعيد الحظ فى الحياة الدنيا وفى الحياة الآخرة .

ضمانات للمؤمن من الله رب العالمين :

١- ولاية الله تعالى فى هذه الحياة الدنيا وفى الآخرة .

٢- وأن لا يعرفون الخوف ولا الحزن وتعمر قلوبهم السكينة والمعية مع الله .

٣- أن يدخلوا الجنة بعد وفاتهم ويأمنون من فزع يوم القيامة .

٤- أن يحميهم الله من كل الشرور ، ويكف أيدى أعدائهم عنهم .

٥- أن يحيوا حياة طيبة فى الدنيا والآخرة . ويجعل الله لهم نوراً يمشون فيه بين الناس .

٦- أن ينصرهم الله على أعدائهم ويدافع عنهم ويستخلفهم فى الأرض .

٧- أن يحافظ الله عليهم من كل سوء ويجعل بينهم وبينه وداً وحباً .

والآيات القرآنية التى أنزلها الله تعالى على نبيه عليه الصلاة والسلام والتى تعطى للمؤمنين حقوقاً على الله وضمانات ، والتى تعهد فيها رب العالمين لهم بها كثيرة ومن أصدق من الله قيلاً .

● يقول الله تعالى عن ولايته للمؤمنين فى الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ (فصلت: ٣٠-٣٢).

● يقول تعالى عن الحياة الطيبة التى وعدهم بها : يقول تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل:٩٧) .

● عن الأمان من فزع يوم القيامة : يقول تعالى ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾ (النمل:٨٩) .

● عن الحماية من الأعداء : يقول تعالى ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ (الزمر:٣٦) ويقول أيضاً ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (المائدة: ١١).

● عن النصر : يقول تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم:٤٧).

● أن له مودة الله : يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ (مريم:٩٦).

● يدافع الله عنه : يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (الحج:٣٨).

● أن الله معه : يقول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (النحل:١٢٨)

● أن تعمر قلبه السكينة : يقول الله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (الفتح:٤) .

● أن يستخلفه الله فى الأرض ويمكن له دينه ويبدل خوفه أمناً : يقول تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ (النور:٥٥).

● أن يأخذ حقه كاملاً : يقول تعالى ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ (الجن:١٣) .

● أن يجعل له نوراً يمشى به فى الناس : يقول تعالى ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام:١٢٢) .

● أن يدخله الجنة بعد الموت : يقول تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ (النساء:١٢٢) .

أوصاف وأفعال المؤمنين

● خير البرية : يصف الله تعالى المؤمنين به بأنهم خير البرية ، أى خير من دب على الأرض من جميع مخلوقاته من نعلمها ومن لا نعلمها . يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ (البينة:٧) .

● على صراط مستقيم : ويصفهم رب العالمين بأنهم يمشون على صراط مستقيم غير منحرفين ولا تائهين بين السبل . يقول تعالى ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الملك:٢٢) .

● رحماء صادقين صابرين : يقول تعالى ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٧٧).

إن الإيمان هو الاعتقاد غيباً بوجود الله تعالى وبوحدانيته وأن يوم القيامة واقع لا محالة ، وهو الاعتقاد غيباً بوجود الملائكة المكرمين والاعتقاد أن القرآن حق منزل من عند الله على رسوله ﷺ .

● وأن الرسل والأنبياء قد أرسلهم الله بالحق إلى الناس مبشرين ومنذرين . كما وصف الله تعالى المؤمن الحق بأنه هو الذى يعطى المال على حبه له لذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب .

● وأنه ذلك الذى يخرج زكاة المال كما حددها الله تعالى وأن يوفى بعهده الذى قطعه مع الله تعالى وأن يصبر فى الشدة والبأساء والضراء وفى القتال والجهاد . وهو إن فعل كل ذلك فهو المؤمن الحق الذى يتقى الله حق تقاته .

● العفة والإيمان وقول الحق والمحافظة على الصلوات : يقول تعالى عن الإنسان المؤمن :﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ * وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ * وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ * وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ (المعارج:١٩-٣٥) .

فالمؤمنون مقيمون للصلاة بصورة دائمة مستمرة ، وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والفقير والمسكين ، وهم مؤمنون بيوم القيامة مشفقون من عذاب ربهم الغير مأمون . ويحافظون على فروجهم لا يزنون . وهم الذين يشهدون بالحق ولا يفترون ولا يكتمون الشهادة حتى ولو على أنفسهم وأهليهم ، أولئك جزاؤهم الجنة فى الحياة الأخرى .

● يغفرون ويتسامحون وأمرهم شورى بينهم شجعان : يقول تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ * وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ * وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ * وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

(الشورى:٣٧-٤٠)

٨- السكينة تعمر قلوبهم :

يقول رب العالمين ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح:٤-٥) .

٩- يستغفرون بالأسحار :

يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ (الذاريات:١٥-١٩) .

١٠- يوفون بالنذر ويطعمون الطعام لوجه الله :

يقول تعالى ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا *

إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ (الإنسان:١٢) .

١١- يصومون رمضان :

يقول تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٨٣) .

١٢- يحجون إلى بيت الله الحرام :

يقول تعالى ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران:٩٧) .

١٣- يقيمون الصلاة :

يقول تعالى ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾
(البقرة:٢٣٨)

١٤- يؤتون الزكاة :

يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة:٢٧٧) .

١٥- يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر :

يقول الله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (آل عمران: ١١٠) .

١٦- ينفقون في السراء والضراء :

يقول تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران:١٣٤) .

١٧= يتفكرون في خلق السموات والأرض :

يقول تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾
(آل عمران:١٩١)

١٨= يؤمنون بالله وبرسله كلهم :

يقول تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء:١٥٢) .

١٩= لا يوادون ولا يحبون من كفر بالله ورسوله :

حتى لو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو أخواتهم أو عشيرتهم . يقول تعالى ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة:٢٢) .

٢٠= لا يتخذون الكفار أولياء :

يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ * إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ * لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الممتحنة:١-٣) .

ويقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾ (الممتحنة:١٣).

ويقول تعالى أيضا ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ (آل عمران: ٢٨) .

٢١- لا يتخذون آباءهم وإخوانهم الكفار أولياء :

يقول رب العالمين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (التوبة:٢٣) .

٢٢- لا يطيعون الكفار :

يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ * بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴾(آل عمران:١٤٩-١٥٠)

٢٣- يطيعون الله ورسوله وأولى الأمر المؤمنين :

يطيعون الله ما أمرهم به سبحانه ويطيعون الرسول ﷺ وينتهون عما نهى عنه الله ورسوله، وكذلك يطيعون أولى الأمر منهم ما دام أمرهم يتفق وأوامر الله ورسوله .

يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (النساء:٥٩) .

ويقول الله تعالى أيضا ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء:٦٩) .

٢٤- يؤدون الأمانات إلى أهلها ويحكمون بالعدل بين الناس :

يقول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ (النساء:٥٨) .

٢٥- لا يحملون فى قلوبهم غلاً للذين آمنوا :

يقول الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلࣰّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفࣱ رَّحِيمٌ ﴾ (الحشر:١٠)

٢٦- لا يستسلمون للبغى والعدوان عليهم ويعفون عن الناس :

يقول عز وجل ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ * وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةࣲ سَيِّئَةࣱ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الشورى:٣٩-٤٠) .

٢٧- يذكرون الله ويسبحونه بكرة وأصيلا :

يقول الله تعالى:﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةࣰ وَأَصِيلًا ﴾ (الفتح:٩)

٢٨- يؤدون صلاة الجمعة جماعة :

يقول الله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرࣱ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (الجمعة:٩) .

٢٩- لا تلههم أموالهم ولا أولادهم عن ذكر الله :

يقول الله عز وجل﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ (المنافقون:٩).

٣٠- يعمرون المساجد ولا يخشون إلا الله :

يؤدون فيها الصلوات ويتلون القرآن ويتدارسونه ويسبحون بحمد الله ويستغفرون لذنوبهم : يقول تعالى ﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ (التوبة:١٨) .

٣١- يحافظون على الصلوات :

يقول الله تعالى ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ (البقرة:٢٣٨)

٣٢- لا يصدقون الوشايات من الفاسقين بل يتبينون الحقيقة :

يقول الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾ (الحجرات:٦) .

٣٣- يحبون الإيمان ويكرهون الكفر والفسوق والعصيان :

يقول الله تعالى ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ * فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (الحجرات:٧-٨) .

٣٤- لا يسخرون من أحد ولا يتنابزون بالألقاب :

يقول تعـالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ (الحجرات:١١) .

٣٥- يجاهدون بأنفسهم وأموالهم فى سبيل الله :

فى أوقات الحروب، يشتركون فى القتال بأنفسهم دفاعا عن الدين والــوطــن أو بالمال إن لم يقدروا على القتال : أما فى وقت السلم فإنهم يجاهدون بأنفسهم وبأموالهم فى نصرة الحق ورفع الظلم والمعاناة ومساعدة المحتاجين .

يقول الله عز وجل ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ (الحجرات:١٥) .

٣٦- يجتنبون الظن السيئ ولا يتجسسون ولا يغتب بعضهم بعضا :

يقول الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحجرات:١٢) .

٣٧- يجتنبون كبائر الإثم والفواحش :

إنهم لا يقترفون الكبائر من الذنوب وأولها الشرك بالله على أى صورة من الصور ولا يقتلون ولا يزنون ولا يسرقون ولا يشربون الخمر ولا يقطعون الطريق ولا يفسدون فى الأرض ولا يتناجون بالإثم والعدوان .

يقول ربنا عز وجل ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ (الشورى:٣٧) .

ويقول تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَـٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَـٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَـٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (المجادلة:٩) .

٣٨- يبرون ويعدلون مع أهل الكتاب الذين لم يقاتلوهم فى الدين ولم يخرجوهم من ديارهم :

يقول تعالى ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ (الممتحنة:٨-٩) .

٣٩- يرضون بقضاء الله خيره وشره :

فهم يؤمنون بأن كل شىء يصيبهم إنما هو بإذن الله .

يقول تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ (هود:٢٣) .

٤٠- يأكلون ما أحل الله ولا يأكلون ما حرمه عليهم :

يقول الله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ * إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾

(البقرة:١٧٢-١٧٣)

كذلك يقول الله تعالى ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (المائدة:٣) .

٤١- يستعينون بالصبر والصلاة فى الشدائد :

يقول ربنا عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (البقرة:١٥٣) .

٤٢- يدعون الله إذا أصابهم كرب وشدة :

يقول الله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾ (البقرة:١٨٦) .

٤٣- لا يرتشون ولا يرشون ولا يأكلون أموال الناس بالباطل :

يقول الله تعالى ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة:١٨٨) .

٤٤- يكرمون اليتيم :

يقول تعالى ﴿ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ (البقرة:٢٢٠) .

ويقول تعالى أيضا ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ * فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ (الماعون:١-٣) .

٤٥- لا يكثرون من القسم بالله تعالى :

يقول الله العظيم ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٢٤) .

٤٦- لا يأكون الربا :

يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران:١٣٠) .

٤٧- ينفقون فى السراء والضراء ويكظمون الغيظ ويعفون عن الناس :

يقول الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران:١٣٤) .

٤٨- يستغفرون الله إذا فعلوا فاحشة :

يقول عز وجل ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

(آل عمران:١٣٥)

٤٩- لا يشعرون بالوهن والضعف فى صراعهم مع أعداء الله :

يقول تعالى ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

(آل عمران:١٣٩)

٥٠- لا يدافعون عن الخائنين والمذنبين :

يقول الله تعالى﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ

مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا * هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ (النساء:١٠٧-١٠٩) .

٥١- يشهدون بالعدل ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين :

يقول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء:١٣٥) .

٥٢- يأكلون من طعام أهل الكتاب ويتزوجون من نسائهم المحصنات :

يقول الله عز وجل ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (المائدة:٥) .

٥٣- يعدلون حتى مع من يكرهون :

يقول ربنا تـعـالـى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة:٨) .

٥٤- لا يشربون الخمرولا يلعبون الميسر :

يقول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾

(المائدة:٩٠-٩١)

٥٥- لا يأكلون مما لم يذكر اسم الله عليه :

لا يأكلون مما لم يذكر اسم الله عليه أثناء ذبحه أو ذكر اسم آخر غير الله. فإنه حرام وفسق يقول الله عز وجل ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾

(الأنعام: ١٢١)

٥٦- يتجملون ويتزينون بما خلق الله ويأكلون الطيبات من الرزق :

يقول الله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

(الأعراف: ٣٢)

٥٧- إذا ذكر الله وجلت قلوبهم :

يقول الله عز وجل ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ * أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

(الأنفال: ٢-٤)

٥٨- وإذا ذكر الله اطمأنت قلوبهم :

يقول الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (الرعد: ٢٨) .

٥٩- المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض :

يقول الله تعالى ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ٧١) .

٦٠- يصلون ما بينهم وبين الله تعالى :

وذلك بالعبادات ويصلون الرحم ويدرءون السيئة بالحسنة - ويوفون بالعهد ولا ينقضون الميثاق . يقول ربنا العظيم ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَٰبِ * ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ * وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ * وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ * جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ (الرعد:١٩-٢٤)

٦١- يوفون بعهد الله ولا ينقضون الأيمان :

يقول الله تعالى ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (النحل:٩١) .

٦٢- يتوبون إلى الله إذا فعلوا السوء بجهالة :

يقول الله عز وجل ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النحل:١١٩) .

٦٣- لا سلطان للشيطان عليهم :

يقول تعالى ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ * إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ (النحل:٩٨-١٠٠).

٦٤- يقولون التي هي أحسن :

يقول تعالى ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (الإسراء:٥٣) .

٦٥- يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما :

يقول الله تعالى ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ (الفرقان:٦٣) .

٦٦- لا يسرفون ولا يقترون :

يقول الله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ (الفرقان:٦٧) .

٦٧- لا يشهدون الزور :

يقول رب العزة ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾ (الفرقان:٧٢)

٦٨- يحسنون إلى الوالدين :

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (العنكبوت:٨)

ويقول تعالى أيضا ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا * رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ (الإسراء:٢٣-٢٥) .

٦٩- تتجافى جنوبهم عن المضاجع :

يقول تعالى ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ * تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (السجدة:١٥-١٧)

٧٠- يتلون القرآن :

يقول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴾ (فاطر:٢٩-٣٠) .

٧١- يدفعون بالتى هى أحسن :

يقول تعالى ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ * وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴾ (فصلت:٣٤-٣٥)

الإنسان الكافر

سبق القول بأن الإنسان خلق مخيرا فى مشيئة الإيمان أو الكفر .

يقول تعالى ﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ (الكهف:٢٩) صدق الله العظيم .

فمشيئة الإنسان فى اختيار الإيمان أو الكفر قد كفلها الله الخالق العادل له ، حتى يختار مصيره بنفسه ، ولا يلومن إلا نفسه إذا تبين له أن الذى وعد الله تعالى على لسان رسله وكتبه هو الحق إذا ما اختار طريق الكفر وظلم نفسه .

لذلك اختار بعض الناس طريق الكفر والضلال بمحض إرادتهم لم يغصبهم شىء ، ولم يرد الله لهم الكفر والعذاب رغبة منه فى التعذيب ، لكنهم هم الذين اختاروا هذا الطريق المظلم الذى يقودهم إلى عذاب الجحيم وسوء المصير .

وكذلك اختار بعض الناس طريق الهدى والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، اختاروه بمحض إرادتهم ومشيئتهم التى كفلها الله لهم ، فكان جزاؤهم فى الآخرة التى يؤمنون بها ثواب الجنة والنعيم المقيم الخالد الأبدى .

فالإنسان الكافر هو الذى اختار لنفسه وبمشيئته الخالصة طريق الضلال والكفر ، بعد ما أعمل فكره وعقله إن كان له عقل (فإن أكثر الناس لا يعقلون) . وزين له

الشيطان طريق الغواية والانحراف وحب الحياة الدنيا بما فيها من شهوات وترف ومباهج زائلة ، فهو لم يقرأ بقلبه أو يسمع بقلبه رسالة الحق ورسالة السماء ، وما دعا إليه الرسل والأنبياء ، بل أعرض وكذب وتولى .

موقعه من الإيمان بالله تعالى :

إذا سألت الكفار عمن خلقهم وأوجدهم فى هذه الحياة الدنيا ، ليقولون الله ، ومن خلق السموات والأرض ليقولون الله ، فكيف يؤفكون !

كيف لا يؤمنون بالله وبرسالاته ؟ هذا هو مثار العجب والدهشة... ولكنهم اختاروا طريق الكفر بالله وبشرائعه واتبعوا أهواءهم وغواية الشيطان الذى زين لهم طريق الكفر والغواية وما فيه من لذائذ مادية وإشباع الشهوات والتمتع بالحياة ومباهجها ، وفى نفس الوقت يريحون أنفسهم من تكاليف الدين من صلاة وزكاة وصوم والتزام الطريق المستقيم المشروع وذلك مالا يحبون ، فاستساغوا طريق الكفر وما فيه من انطلاق لغرائزهم وأهوائهم ، يصنعون ويفعلون ما يشاءون فإنهم وإن كانوا فى أنفسهم وفى دخيلتهم يؤمنون بأنه لا بد من وجود خالق عظيم لكل هذه المخلوقات إلا أنهم بوقوعهم تحت غواية الشيطان استكبروا عن عبادة الله سبحانه وتعالى وحده ، وأشركوا فى ألوهيته ، الجن والإنس والأصنام وغيرها ، وهؤلاء هم المشركون ، وقد وصفهم الله تعالى بالكفر .

أما الملحدون وهم كافرون أيضا ، والكافر هو الذى يكفر بشىء أى يطمسه أو يغطيه ، مع علمه بوجوده إلا أنه يخفيه ، فالكافر بالله تعالى هو الذى يعلم بوجوده ولكن يطمس هذه الحقيقة ويخفيها .

فهم مع علمهم الفطرى بوجود الله سبحانه وتعالى إلا أنهم يخفون ويطمسون وجوده (بالنسبة لهم) ويدعون الى ذلك غيرهم ليؤمن برأيهم ويتصرفون كما لو أن العالم ليس له خالق ولا حاكم ولا رزاق ، وإنما يقولون إن الطبيعة هى التى أوجدت هذا الكون وهذه المخلوقات .

وإذا سألت كيف ؟؟ لا يجيبون .

وأن الطبيعة هى التى تدبر الأرزاق من نبات وحيوان ...إلخ . كيف ؟ وبهذا العلم وهذا النظام المحكم والتقدير الدقيق ، لا يجيبون فكيف يفكرون وكيف يقدرون وبأى عقل يناقشون وبأى منطق يدعون ؟؟

وإذا قيل لهم إن ما تدعون (من أن الذى خلق هذه المخلوقات هى الطبيعة) إنما هى فى الحقيقة هى الله ، إن الخالق اسمه الله وليس الطبيعة ، وما دمتم تعترفون بأن هناك خالق فلماذا تصرون على أن الخالق اسمه الطبيعة والاسم الحقيقى الذى جاءت به وأخبرتنا به الأديان كلها هو (اللـه) وأنه خلق السموات والأرض ودبر الأرزاق وخلق القوانين الطبيعية.

وان الله تعالى لا معبود سواه قد خلقنا لنعبده ولنتبع شرائعه وأحكامه ، وأنه خلقنا ليختبرنا أينا أحسن عملا فى هذه الحياة الدنيا. ثم نموت ونبعث يوم الحساب ، حيث يحاسبنا الله تعالى على أعمالنا ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فجزاء الخير هو الجنة وجزاء الشر هو الجحيم .

وإذا قيل لهم ذلك لا يؤمنون به فلا إله غير أنفسهم فقد اتخذوا إلههم هواهم ، كما لا يؤمنون بأن هناك حياة أخرى غير هذه الحياة الدنيا ، ولا اختبار ولا ابتلاء وأن ما يحدث لهم من مصائب الدنيا هى أحوال القدر والزمن وأحوال الدنيا وظروفها مرة بالخير ومرة بالشر.

أيضا لا يؤمنون بيوم القيامة وأنه سيحدث ، وإنما يظنون أن الحياة الدنيا دائمة ما دامت الأرض والشمس وقدروا أعمارهما ببلايين السنين ، وأنه لا يكون فيه حساب على أعمال كل إنسان ، ولا يؤمنون بالملائكة ولا بالرسالات السماوية ولا بالرسل الذين أرسلهم الله تعالى لينذروا الناس ويدعونهم إلى عبادة الله ولذلك يقتلون الرسل والأنبياء ويكذبونهم ويؤذونهم فلا ملائكة ولا جن ولا شياطين ولا شىء إطلاقا غير ما يثبتون وجوده بالتجربة العملية ويرونه ويحسون بوجوده بواسطة حواسهم.

هؤلاء الكفار الملحدون بالرغم مما يرون من آيات الله البينات التى تعجز عقولهم ، فلا يؤمنون بها ، لماذا ؟؟

هل هناك سر فى أفهامهم وعقولهم ؟

فإنك إذا رأيت آثار أقدام على الطريق لقلت على الفور إنه كان يسير عليه فى هذا المكان كائن حى ، وقد يزيد فى وصفه إذا كنت من أهل الفراسة كمتتبعى الأثر فيستطيع أن يحدد إن كان ضخما أو صغيرا أو كان سليما أو أعرجا ، أو كان مبصرا أو أعورا ، أو بطيئا أو مسرعا كل ذلك وأنت لم تر هذا الكائن الذى كان يسير على الطريق .

وإذا رأيت منزلاً جميلا له تصميم هندسى بديع لقلت على الفور إن الذى صنعه مهندس معمارى عظيم متقن لصنعته ولو أنك لم تر المهندس وهناك أعمال فنية عظيمة من المؤلفات الموسيقية أو الأدبية أو اللوحات المرسومة الى آخره ، فإنك تستطيع أن تحكم على صانعها بالعظمة والذوق الرفيع أو العقل الكبير ، ولو أنك لم تره ، ولكن آثاره تدل عليه .

وهكذا فكل موجود له واجد ، وكل مخلوق له خالق .

فمن خلق وصنع هذه السموات العلا بما فيها من كواكب وشموس ونجوم ، ومن صنع هذه الأرض الضخمة وما فيها من جبال وسهول ووديان وأنهار عذبة وبحار ملحة ، وما عليها من أناس مختلفى الشبه واللون واللغة ، وما فيها من حيوانات مفترسة وحيوانات أليفة ، وما فيها من طيور وزواحف وحشرات وجراثيم ... إلخ . إلى آخر ما عليها من المعجزات من خلق كل هذا .. ؟؟

من صنع كل هذا ... ؟؟

لا بد من صانع ولا بد من خالق عليم حكيم عظيم ، لا حدود لعظمته ولا حدود لعلمه وحكمته وقدرته ، إنه هو الله ، الله هو الذى صنع كل هذا ولو أننا لا نراه ، سبحانه وتعالى ، ليس كمثله شيء ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار .

لماذا لا يؤمنون بخالق كل هذه الأشياء العظيمة وقد تجلت أمام أعينهم وعقولهم عظمته وقدرته ، وبالرغم من التقدم الكبير فى العلوم والفلك والطبيعة والكيمياء وعلم الأحياء التى تظهر معجزات الله تعالى وقدرته الخارقة على الخلق المحكم الذى لا يقدر على خلق مثله أحد ، فلا خالق إلا هو ، ولا إله إلا هو .

إنهم يتعلمون مما يكشفونه من القوانين التى خلقها الله ثم بعد ذلك لا يعترفون بوجود الخالق . الذى خلق وأوجد كل هذه المعجزات العلمية التى يقفون أمامها مذهولين .

فكل المعجزات العلمية الحديثة إنما هى مبنية على القوانين التى خلقها الله تعالى ، فهم لم يفعلوا شيئا سوى أنهم اكتشفوها صدفة أو بعد جهد وبإذن الله سبحانه لأنه أراد ذلك رحمة منه لعباده وليتبين لهم أنه الحق .

بم تصف هؤلاء المكذبين المنكرين ، الذين يجحدون فضل الله عليهم وهو الذى خلقهم أنفسهم من العدم ومع ذلك لا يعترفون به سبحانه وتعالى . فليسمعوا قول الخالق العظيم ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَـٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ * أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ * ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴾(الواقعة:٥٧-٥٩). إنهم يأكلون الطعام الذى خلقه الله ثم لا يؤمنون به.

يقول تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ * لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُغْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ (الواقعة:٦٣-٦٧) .

إنهم يشربون الماء العذب الفرات الطهور الذى أنزله الله لهم من السحاب ثم ينكرون خالقه ومنزله .

يقول تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ * ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَـٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ (الواقعة:٦٨-٧٠) .

ثم إنهم يستدفئون بالنار التى يشعلونها ويوقدونها ولا يشكرون خالق شجرتها.

يقول تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ * ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ * نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ (الواقعة: ٧١-٧٣) .

وإنهم ليركبون ما خلق الله لهم من الأنعام ويأكلون لحومها ويشربون ألبانها ولهم فيها منافع عديدة ثم لا يشكرون نعمة ربهم لهم.

يقول تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ * وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ (يس: ٧١-٧٣)

بم تصف هؤلاء المناكيد المستكبرين الجاحدين المنكرين ... ؟ !

ليس لهم وصف أقل من الفساد والشر والغباء وقد وصفهم الخالق العظيم بأنهم شر البرية ، شر من دب على الأرض ، يقول سبحانه فيهم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ (البينة:٦) . ويقول تعالى أيضا فى وصفهم ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنفال:٥٥)

نوعيات الكفار ومذاهبهم :

١- الملحدون : وهم من يتخذون إلههم هواهم :

إنهم لا يؤمنون بالله الواحد القهار الذى يسجد له كل من فى السموات والأرض من الدواب والملائكة ويستكبرون عن عبادته . يقول تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ * وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (النحل:٤٨-٥٠) .

وإنما يتخذون إلههم هواهم وغرائزهم وشهواتهم ومطامعهم وما يمليه عليهم الشيطان ، ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الجاثية:٢٣) .

٢- المشركون (عبدة الأصنام) :

ومنهم من يدعون آلهة من دون الله . أصناما يصنعونها بأيديهم وهى لا تملك لهم نفعا ولا ضرا ولا يستجيبون لهم فهل من ضلال بعد ذلك .

يقول تعالى ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۔ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴾
(الأحقاف:٥-٦)

وإذا سألتهم لماذا يتمسكون بعبادة هذه الأصنام التى لا تضر ولا تنفع ولا يقبلها العقل والمنطق يكون جوابهم أنهم وجدوا آباءهم لها عابدين ، ولو قلت لهم حتى لو جاءكم ما هو أهدى منهم لا يؤمنون ، يقول تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة:١٧٠) هذه الأصنام التى صنعوها بأيديهم كيف يعبدونها وهى جامدة لا تستطيع الحركة ، فليس لهم أرجل يمشون بها ولا أيد يبطشون بها ولا أعين يبصرون بها ولا آذان يسمعون بها ، يقول تعالى فى وصف هذه الآلهة التى يعبدونها من دونه وهو الخالق العظيم﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ * وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَـٰمِتُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ * إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ (الأعراف ١٩١-١٩٦) . وإذا سألتهم من يرزقكم من السماء والأرض ومن الذى يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى فسيكون جوابهم أنه الله إذاً لماذا لا يتقون الله الذى هو الإله الحق والجدير بالعبادة فماذا بعد الحق إلا الضلال . ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا

تَتَّقُونَ * فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ * كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (يونس:٣١-٣٣) .

هؤلاء الذين يعبدون الأصنام الجامدة ويظنون أنهم ينفعونهم ويمنعون عنهم الضر وأنهم سيشفعون لهم يوم القيامة هؤلاء واهمون فإن من يعبدونهم أضعف من بيت العنكبوت ، والله تعالى يشبه قوة هذه الآلهة ببيت العنكبوت الواهن الضعيف .

يقول تعالى ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ * إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ (العنكبوت:٤١-٤٣) .

٣- المدعون النبوة :

ومن الكفار من يفتري على الله كذباً فيدعي ويقول إنه رسول الله وأن الله أنزل عليه الوحي بالقرآن ويقولون كلاما ضعيفا ويدعون أنه من عند الله .

ويقول تعالى ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (آل عمران:٧٨-٧٩) .

وهؤلاء يحذرهم الله بأنهم يظلمون أنفسهم بافترائهم هذا . فيقول تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (الأنعام:٩٣) .

٤- من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعضه :

وهؤلاء يصفهم الله تعالى بالكفر المحقق ولهم عذاب مهين فيقول تعالى فيهم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً * أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ (النساء: ١٥٠-١٥١) .

٥- من يعبدون الجن :

ومن الكفار من يتخذ الجن آلهة ويشركونهم فى الألوهية مع الله الخالق العظيم ويطلبون منهم العون والمساعدة من دون الله يقول تعالى ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَـٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾(الأنعام ١٠٠).

ويقول تعالى أيضا ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ * قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ * فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ (سبأ: ٤٠-٤٢) .

٦- من جعل لله ولداً :

والكفار من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) من كفر بوحدانية الله تعالى وأشرك به وقال إن الله تعالى اتخذ له ولداً فاليهود يقولون إن (عزيراً) ابن الله ، وعبدوه وألَّهوه ، وكذلك المسيحيون يقولون إن المسيح عيسى ابن مريم هو ابن الله وعبدوه هو وأمه ، بل واتخذوهما إلهين من دون الله .

وهؤلاء يصفهم الله تعالى بالكفر ويغضب عليهم غضبا شديداً ، حتى السموات تكاد تنفطر من هول هذا القول وكذلك الأرض تكاد تنشق والجبال تكاد تخر مهدودة وذلك لقولهم بأن الله تعالى اتخذ ولداً ، فلا ينبغى ولا يصح ولا يُمكن أن يكون لله ولد وهو الله الأحد الفرد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، يقول الله

تعالى فى من يقول إن الله اتخذ ولداً ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا * وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا * لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ (مريم:٨٨-٩٥) .

وهو يُعلم هؤلاء وهؤلاء أن تعدد الآلهة يفسد السموات والأرض ، ولذهب كل إله بما خلق ولحاول كل منهم أن يعلو على الآخرين ويصارعهم ، وبذلك يفسد النظام العام للكون كله ، فإن كل المخلوقات مرتبطة بعضها ببعض فى نظام محكم. فلا بد إذاً من أن يكون إله واحد هو رب هذا الكون ، بيده ملكوت كل شيء حتى تستقيم الأحوال فلا تنازع على سلطة ولا اختلاف فى المناهج ولا الأسلوب ولكن قوانين وسنن ثابتة واحدة ومنهج واحد وأسلوب واحد فى الخلق ولكنهم يرفضون فكرة أن لا إله إلا الله وحده بل إنهم ليشمئزون من ذكر الله وحده. أما إذا ذكر مَنْ دونه من الآلهه فإنهم يستبشرون بهم وتتهلل وجوههم فرحا .

يقول الله تعالى ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (الزمر:٤٥) .

موقف الكفار من الإيمان بالغيب :

إن الكفار والملحدين لا يؤمنون أصلاً بوجود الله تعالى ولا بما أنبأ عنه بواسطة رسله وأنبيائه من الكتب السماوية والملائكة واليوم الآخر والحساب والجنة والنار ولا بأى شيء غيبى ما لم يثبت وجوده بالحواس وبالتجربة المادية. أى لا يؤمنون إلا بكل ملموس مرئى مسموع مشاهد أما الغيبات التى أخبرتنا عنها الرسالات السماوية فلا. فى حين أن الله سبحانه وتعالى إنما خلقنا على الأرض ليختبرنا وليعلم من يؤمن به وبملائكته وبكتبه وبرسله وباليوم الآخر وبالحساب (غيباً) أى بالغيب دون مشاهدة، فالإيمان بالغيب هو مقياس درجة الإيمان عند الإنسان المكلف . يقول تعالى ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ

إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ (فاطر:١٨) .

فالإيمان بالغيب هو الإيمان الصادق ، أما إذا آمن الكافرون حين يرون آيات الله وعقابه وعذابه أمام أعينهم فلا يقبل إيمانهم هذا الذى جاء بعد أن تأكدوا فعلا أن الله تعالى موجود وأن الملائكة موجودون ، هنا انتفى شرط الغيبية وهو أساس الإيمان بالله وشرط دخول الجنة يوم القيامة . يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ * فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (غافر:٨٣-٨٥) . فالإيمان بالملائكة وغيرها مما أخبرنا به الله غيباً غير وارد فى مفهوم هؤلاء الملاحدة والمشركين .

(الكفار) موقفهم من الإيمان بالرسل :

الملحدون لا يؤمنون بشىء ، مما جاء به الإسلام . كفرٌ شاملٌ بكل ما يمت إلى الدين بصلة . فهم لا يؤمنون بالله فاطر السموات والأرض ولا برسله وأنبيائه ولا بكتبه ولا بيوم القيامة ولا بأى شىء من قبل الله تعالى أما المشركون فإنهم يعبدون آلهتهم كما وجدوا عليه آباءهم بدون فهم أو تذكير أو تدبر ، إنما بانسياق وراء آبائهم حتى ولو كانوا فى ضلال وعمى . وكل الأقوام والأمم السابقة كذبت رسلهم واستهزأوا بهم بل وآذوهم وأخرجوهم من بلدانهم وكثيرا منهم قتلوهم . وهذا تكذيب بهم وبما أتوا به من رسالات الله تعالى .

والأقوام السابقة الكافرة :

مثل أقوام نوح وعاد وثمود وفرعون وقوم لوط وقوم إبراهيم وأصحاب الأيكة قد كذبت بالرسل فحق عليها العقاب والعذاب .

يقول الله تعالى عنهم ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ * وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُولَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ * إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾

(ص:١٢-١٤)

يستهزءون بالرسل :

ويقول تعالى عن استهزائهم بالرسل وعقابهم ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ * فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (الزخرف:٧-٨) .

وكانوا يصفون الرسل بالجنون ، يقول تعالى﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ * ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾ (الدخان:١٣-١٤) .

ويقول تعالى ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ (الأنبياء:٣٦) .

يستكبرون على الله وعلى الرسل :

ويقول تعالى ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ (الصافات:٣٥-٣٦) .

يرفضون الرسل لأنهم بشر :

وكانوا يستكبرون أن يكون الرسل من البشر ويتميزون عليهم بأنهم هداة لهم ومعلمين .

يقول تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ (التغابن:٦) .

وقالوا لماذا لا يكون الرسول ملك من السماء حتى يؤمنوا به ونسوا أن لو أرسل الله تعالى ملكاً ، لكان فى ذلك رؤية للغيب كما نسوا أيضا أن الملك من خلق آخر وأنه إذا ظهر لهم عيانا بيانا بطبيعته الملائيكة فإنهم يصعقون فى الحال وذلك

لأن الملك مخلوق من النور أقوى من المادة وأشد فيصعقها ويدمرها ويحرقها وحتى لو أن الله أرسل ملائكة رسلا إلى البشر فإنه تعالى يجعلهم على هيئة البشر ويلبسون ما يلبس الناس، فلن يعرفوا إذا كانوا ملائكة أو كانوا بشرا .

يقول الله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ * وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾
(الأنعام:٨-١٠)

ويخبرنا الله تعالى بأنه حتى لو أنزل الله إليهم الملائكة وكلمهم الموتى لما آمنوا برسالة الله . يقول تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾
(الأنعام:١١١)

وقد تطاولوا وبالغوا فى طلبهم أن يروا الله تعالى جهرة ، أو ينزل عليهم الملائكة . يقول تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ (الفرقان:٢١) .

الكفار يُعَادون الرسل :

وقد جعل الله تعالى لكل نبى عدوا هم شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم لبعض زخرف القول ليدبروا فيما بينهم خطط الاضطهاد والإيذاء والسخرية والاستهزاء بالرسل والأنبياء ولو شاء الله تعالى ما فعلوه. ولكن ليبتلى الأنبياء بهم ليعلم الله أن قد أبلغوا رسالات ربهم إلى البشر . .

يقول تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾
(الأنعام:١١٢-١١٣)

وهذا الوحي المتبادل بين شياطين الإنس والجن يلقونه قولاً مزخرفا منمقا جميلا مغريا معسولا تصغى إليه قلوب الكافرين الذين لا يؤمنون بالآخرة ، ويعملون ما تمليه عليهم شياطينهم .

يحسدون الرسل على نعمة الله :

وكذلك يصيب الحسد والغيرة كبار المجرمين من الكفار يحسدون الرسل على ما أنعم الله به عليهم من نعمة اختيارهم رسلا وأنبياء لله تعالى وتفضله عليهم بنزول الوحي والاتصال بالسماء وهذا فضل عظيم يؤتيه الله من يشاء من عباده . . يقول تعالى ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ (النساء:٥٤) .

فهم يحسدون ويستكثرون على العرب ما آتاهم الله من فضله ببعث النبى منهم. وهو شرف عظيم ومنزلة رفيعة ، وعلو قدر ومكانة بين القوم ، فهم يقولون لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله من الوحى والمنزلة الرفيعة فيقول سبحانه وتعالى ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴾

(الأنعام:١٢٤)

كما يقولون لو أن هذا القرآن أنزل على رجل عظيم من عظمائهم ربما آمنوا به يقول تعالى ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾

(الزخرف:٣١)

ينكرون النبوة والرسالة :

وقد كذبوا الرسول واتهموه بأنه ليس مرسلا من عند الله . يقول تعالى ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾

(الرعد:٤٣)

فهم قوم منكرون للدين وللرسالات السماوية وللرسل وللبعث ، فهم لا يؤمنون ولن يؤمنوا بها حتى لو فتح الله لهم بابا فى السماء يصعدون ويعرجون فيها، لقالوا إن أعيننا أصابها السكر وأنهم مسحورون يقول تعالى ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ * وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ (الحجر:١٣-١٥) .

ويقول الله تعالى عنهم ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ (النحل:٢٢) .

يستهزءون بالرسل :

وهم يستهزئون بالرسل ويسخرون منهم ويضحكون عليهم يقول تعالى ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (يس:٣٠) . ويقول تعالى ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ (الأنبياء:٣٦) . من سخريتهم بالرسل عليه الصلاة والسلام أن يتعجبون منه كيف يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق وهو نبى ، لماذا لا يصاحبه ملك من السماء لينذر الناس ، أو أن يكون غنيا يُلقى إليه بالكنوز أو تكون له جنة من الأرض يزرعها وينعم بثمارها ، ثم يتهمونه بأنه رجل مسحور، به جُنة . يقول تعالى ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ (الصافات:٣٥-٣٦) .

يؤذون الرسل :

وهم يتحدون الله ورسوله ويحرضون الناس على الكفر ويؤذون المؤمنين والمؤمنات بقول أو فعل بغير ذنب جنوه سوى أنهم آمنوا بالله ورسله وكتبه يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا * وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب:٥٧-٥٨) .

موقف الكفار من القرآن الكريم والرسالات السماوية

سحر :

وقف الكافرون من القرآن الكريم موقفا عجبا بالرغم مما جاء فيه من قصص وشرائع وعبارات وآيات بينات تدلل على صدق نزوله من لدن رب العاملين ، إلا أنهم لم يؤمنوا به وأنكروا نزوله أصلا ، واتهموه بأنه عمل من أعمال السحر ومعروف أن السحر يؤثر فـي كـل النـاس ، فى حين أن بعض الناس قد آمنوا به ، وإذاً فهو لم يكن بسحر وإلا لأثر فى كل الناس وهم منهم ، فلماذا لم يتأثروا به ويسحرهم كما سحر غيرهم ؟ ! ! وقد قال الله تعالى عن قولهم هذا ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ (الزخرف: ٣٠) .

يتكبرون عليه :

وإذا تليت عليهم آيات الله البينات يستكبرون كأن لم يسمعوها ويتخذونها هـزوا . يقول تعالى ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (الجاثية:٧-٩) .

قلوبهم لا تفقهه :

ومنهم من يستمع إلى القرآن لا ليتفهمونه وليهتدوا به وإنما ليتلمسوا لهم سبيلا للطعن فيه والسخرية منه ، ولكن الله تعالى جعل قلوبهم فى غطاء وعلى عقولهم غشاوة أو غطاء يحجب عنهم الإدراك الصحيح لما فيه ، كما جعل الله تعالى فى آذانهم وقرا أى صمما يحول دون سماع الآيات القرآنية سماع إدراك وفهم ووعى. حتى إذا جاءوا الرسول عليه الصلاة والسلام ليجادلونه فيه بالباطل يقولون ما هذا إلا أباطيل

وأساطير سطرها الأولون من الأمم السابقة وكذلك ينهون الناس عن الإيمان بالقرآن الكريم ويبتعدون عنه بأنفسهم ، فلا هم انتفعوا به ولا تركوا غيرهم من الناس ينتفع به ، وهم بذلك يضرون أنفسهم وما يشعرون .

يقول الله تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ * وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (الأنعام:٢٥-٢٦) .

وقد اعترفوا أنفسهم بأن قلوبهم فى أكنة لا تريد أن تفهم آيات القرآن الكريم وفى آذانهم صمم لا تريد أن تسمعها ، يقول تعالى﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾ (فصلت:٥) .

أضغاث أحلام :

ودائما كان الكفار يستمعون إلى الذكر وهم لاهين لاعبين قائلين إنه سحر وأضغاث أحلام أو أن الرسول افتراه وأنه شاعر بل ويبالغون فى تحديهم وسخريتهم من الرسول بأن يطلبوا منه أن يأتيهم بآية تصعقهم كما كان يفعل الرسل والأنبياء الأوائل فهل آمن أقوام الرسل السابقين لما جاءتهم الآيات ؟ لا ! ! وكذلك هم لن يؤمنوا لو جاءتهم الآيات . يقول تعالى ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ * قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ * مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنبياء:١-٦) .

رافضون غاضبون :

وإذا تليت عليهم آيات القرآن الكريم تتغير وجوههم وتبدوا منكرة رافضة غاضبة قبيحة مشمئزة ، يكادون يفتكون بمن يتلو عليهم الآيات الكريمة .

يقول رب العالمين ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (الحج:٧٢) .

أساطير الأولين تملى على الرسول (ﷺ) :

كما قالوا وادّعوا أن القرآن الكريم إنما هو أساطير الأولين وحكاياتهم يمليها عليه شخص معين .

يقول تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا * وَقَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الفرقان:٤-٦) . وهم يقولون إن الذى يُملى على الرسول ﷺ إنما هو بشر . ولكن هذا الشخص الذى يدعون أنه هو الذى يعلمه للرسول ﷺ إنما هو شخص أعجمى وليس عربيا. والقرآن نزل بلسان عربى مبين .

يقول تعالى ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ (النحل:١٠٢-١٠٣) .

وكذلك وصفوا آيات القرآن الكريم بأنها إفك مفترى وسحر مبين ، يريد محمد ﷺ أن يصدهم به عن دين آبائهم ، يقول تعالى ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (سبأ:٤٣)

موقف الكفار من البعث

والكفار والملحدون لا يؤمنون بالبعث بعد الموت ، ويعتقدون فى ظنهم إنما هى الحياة الدنيا فقط ولا شيء بعدها وينتهى كل شيء فهم ينكرون البعث والنشور يوم القيامة . .

لا يؤمنون بالبعث :

يقول تعالى ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ * أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾

(الدخان:١٧-١٩)

و يقول تعالى ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾ (الدخان:٣٥) .

ويعتقدون أن ما يهلكهم فى الدنيا إنما هو الدهر وعوادى الزمن ومرور الأيام والسنين ، وليس أن لكل إنسان عمر محدد على الأرض فى الحياة الدنيا ليبتليه الله ويختبره . ثم يموت ويبعث ليحاسب على أعماله فى الدنيا ويُجزى فى الحياة الآخرة على ما عمل . يقول تعالى ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (الجاثية:٢٤) .

وهم يتعجبون أشد العجب كيف أنهم بعد أن يموتون ويتحولون إلى تراب يبعثون من جديد ؟ ! ! إن هذا لبعيد عن التحقيق فى ظنهم ولا يمكن أن يكون وهو بعيد عن التصديق . يقول تعالى ﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ * أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴾ (ق:٢-٣) .

ويقول تعالى أيضا ﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ * أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً * قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾ (النازعات:١٠-١٢) . وقد أقسموا جهد إيمانهم أن لن يبعث الله أحدا ولكن البعث وعد الله الحق ، يقول تعالى ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ *

﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴾ (النحل:٣٨-٣٩) . وفيه يتساءلون من باب الفضول عن موعد يوم القيامه والبعث ، متى هو؟ يقول تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (سبأ:٢٩-٣٠) .

من هو الكافر :

ويحدد الله تعالى الكافر بأنه هو :

* كل من أنكر وجود الله تعالى وكان من الملحدين .

* كل من أشرك مع الله إلها آخر سواء أكان جنا أو بشراً أو أى شىء آخر يعبده مثل النجوم والكواكب أو النار أو الحيوان أو الشجر.. إلخ

* كل من قال إن الله تعالى اتخذ ولداً .

* كل من قال إن الله ثالث ثلاثة . والآيـة ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (المائدة:٧٣) .

صفات الكفار وأعمالهم فى الدنيا
كما أخبر بها الله تعالى

١- الملحدون :

إن الكافرين الذين يلحدون فى آيات الله ويجادلون فيها ويحاجون فى الله أولئك يعلمهم الله تعالى ولا يخفون عليه وسيحاسبهم حسابا عسيرا ومآلهم إلى النار وبئس المصير ، يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

(فصلت:٤٠)

كما يقول الله تعالى عنهم ﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ﴾ (الشورى:١٦) .

٢- شر البرية :

يصفهم الله تعالى بأنهم شر البرية شر من دب على ظهر الأرض من مخلوقاته تعالى ذلك بأنهم لا يفقهون شيئا . يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾ (البينة:٦) .

ويقول تعالى ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ (الأنفال:٥٥).

٣- حُمُرٌ مستنفرة :

ومن التشبيهات التى شبههم بها رب العالمين ، حينما يستمعون إلى القرآن ثم يعرضون عن آياته كأنهم حمرٌ مستنفرة فرّت من أسد أو من مطارديها من الصيادين. يقول تعالى عنهم﴿ فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ * كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ * فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ ﴾ (المدثر:٤٩-٥١) .

٤- قرناء للشياطين :

فإن كل من يترك ذكر الله تعالى يقيض له الله شيطانا فهو له صاحب وقرين ، يوسوس له ويزين له سوء عمله ، ويصده عن الصراط المستقيم ، يقول تعالى ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴾ (الزخرف:٣٦) .

ويقول تعالى ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا * فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ﴾ (مريم:٨٣-٨٤) . ويقول تعالى أيضا ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ * كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (الحج:٣-٤) .

ويقول تعالى أيضا ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ * وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ (الشعراء: ٢٢١-٢٢٦) .

بل وأكثر من ذلك يخبرنا العليم الخبير بأن الكافرين أكثرهم يعبدون الجن والشياطين يقول تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ * قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ (سبأ: ٤٠-٤١) .

٥- صم بكم عمى لا يعقلون :

يصفهم الله تعالى بالصم البكم فهم لا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله تعالى وإن استمعوا لها لا يعقلون معانيها . ثم إنهم لا ينطقون بالحق وبالشهادتين .. كأنما هم بكم لا ينطقون ، وكذلك لا يبصرون آيات الله فى أنفسهم وفى كل مكان محيط بهم وفى السموات والأرض كأنما هم عمى لا يبصرون ، ولا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

يقول تعالى ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الزخرف: ٤٠)

ويقول تعالى أيضا ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الجاثية: ٢٣)

٦- أموات :

يشبههم الله تعالى بالموتى فهم لا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله البينات يقول تعالى ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ * وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (الروم: ٥٢-٥٣) .

ويقول الله عز وجل في وصفهم ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة ١٧١) . أى أن داعى الكفر ما هو إلا إنسان يدعو كالبهائم ثم لا تسمع إلا أصواتاً لا تفهم معناها (فهم لا عقل لهم) ويرددون ما يسمعون تقليدا بدون فهم ولا إدراك .

٧- أفاكون آثمون :

ويصفهم رب العالمين بأنهم أفاكون آثمون لا يصدهم شيء عن تحقيق شهواتهم ورغباتهم وآثامهم يقول تعالى ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ (الجاثية:٧-١١) .

٨- كالأنعام بل أضل سبيلا :

إنهم يعيشون ويتمتعون بما خلق الله فلا يشكرونه ويأكلون كما تأكل الأنعام ، فلا إدراك ولا تفكر فيمن خلق ولا في آياته سبحانه وتعالى .

يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ (محمد:١٢) .

ويقول تعالى أيضا ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (الفرقان:٤٣-٤٤)

ويشبههم الله تعالى بالذى يمشى على وجهه ورأسه تلامس الأرض وهذا حالهم يوم القيامة . يقول تعالى ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الملك:٢٢) . وقد زينت لهم أعمالهم فهم يترددون فى الضلال . يقول

تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ (النمل:٤-٥) .

٩- معاندون :

فهم معاندون لآيات الله تعالى بالرغم مما مدّهم الله بنعمه وخيراته الكثيرة . يقول تعالى ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا * سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا * إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾
(المدثر:١١-٢٦)

١٠- دنيويون ماديون يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة :

فإنهم يحبون الحياة الدنيا ويكتفون بها ولذلك يأخذون منها كل ما يستطيعون ، يكرسون لها وقتهم وجهدهم ، ولا ينتبهون إلى الآخرة ويؤثرون عليها الدنيا ، يقول تعالى ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا * نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾ (الإنسان:٢٧-٢٨) .

ويقول تعالى أيضا ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ * لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (النحل ١٠٦-١٠٩) .

١١- يظلمون اليتيم ولا يطعمون المسكين ، مراؤون ، يمنعون المساعدة وعن الصلاة ساهون :

وقد وصفهم الله تعالى بأنهم الذين يظلمون اليتيم ولا يتواصون على إطعام المسكين بل يبخلون عن التصدق على الفقراء والمساكين ويراءون الناس بأنهم

مسلمون فيصُلون رياءً بدون قلب وبدون تفكر فى معنى الصلاة ، كما أنهم إذا طلبت منهم المساعدة والمعونة لا يساعدون ولا يعينون أحداً، فهم كاذبون كافرون ولو أنهم لا يعلنون كفرهم ، وأولئك هم المكذبون بالدين ولم يؤمنوا به عن عقيدة فهم منافقون أدعياء ، تعرفهم من تصرفاتهم .

يقول تعالى ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ * فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ * فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ * وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ (الماعون:١-٧) . ويقول الله تعالى أيضا ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (يس:٤٧) .

١٢- ينهون الناس عن الصلاة :

فهم لا يقبلون أن يروا أحدا يُصلى لله تعالى فينهونه عن أداء فريضة الصلاة والشعائر الأخرى .. يقول تعالى ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ * عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ * أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ * أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ * أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ * أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ * كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ * فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ * سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ * كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ (العلق:٩-١٩) .

١٣- أغنياء منعمون مترفون فى الدنيا :

من الظواهر الواضحة أن الكفار دائما أغنياء منعمون مترفون يسكنون القصور ذات المعارج ، ولذلك أسباب منها :

* أنه نتيجة لسنة الله فى خلقه وهى أن من يعمل ويجد ويجتهد ويعمل فى الدنيا صالحاً نافعاً، يجد جزاءه فى الدنيا أيضا لا يُظلم شيئا ولا يُبخس منه نقيرا .

* وبما أنهم لا يؤمنون بالآخرة وجزائها ، فإنهم يعتبرون أن الدنيا هى جنتهم وأملهم الوحيد ولذلك يسعون لها سعيها بجد ونشاط فيحصدون ما يزرعونه فيها غنى

وخيرا وترفاً ، يقول تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ (الشورى:٢٠) .

والله تعالى يمدهم ويُملى لهم بالنعم والخيرات والأموال والأولاد وليس ذلك خيرا لهم إنما ليزدادوا آثاماً فتحق عليهم كلمة العذاب يقول تعالى ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (آل عمران:١٧٨) . ويقول تعالى أيضا ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ * مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ (آل عمران:١٩٦-١٩٧) .

ولهون أمر الدنيا على الله ، ولأنها قصيرة وزائلة ، ومتاعها مؤقت وقليل يقول عز وجل أنه لولا أن الناس حين ترى الكافرين منعمين مترفين بالرغم من كفرهم لانقلبوا كلهم كافرين مثلهم لينالوا مثل حظهم فى الدنيا لجعل للكافرين فى الدنيا بيوتا لها سُقفٌ من فضه ومصاعد عليها يصعدون ، ولها أبواب وفيها سرر عليها يتكئون وكل ذلك متاع زائل وقليل بالنسبة لمتاع الآخرة ، فيقول جل شأنه ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ * وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف:٣٣-٣٥) .

يقول الله تعالى إن ما يمدهم من الخيرات ليس خيرا لهم ولكنهم لا يشعرون يقول تعالى ﴿ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ * فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ * أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ (المؤمنون:٥٣-٥٦) . ويتباهى الكفار بما لديهم من حطام الدنيا من مال ومتاع ونفوذ وسلطة وأنهم أعلى نفوذا ومقاما ومنزلة ومجلساً من غيرهم من المؤمنين ولكن فليعلموا أن الله أهلك قبلهم من كانوا أحسن منهم أمتعة وأجمل منظرا .. يقول جل جلاله ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا *

﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾ (مريم:٧٣-٧٥) .

١٤- تفتح عليهم أبواب كل شيء :

فالله تعالى إذا وجد من اختار الضلالة والكفر عن الإيمان والهدى فإنه يمد له مدا بالمال والبنين والنفوذ والسلطان والمعيشة المترفة الفاخرة ويفتح عليه أبواب كل شيء من الرزق إلى الجاه إلى كل مطمح فى الدنيا ، حتى إذا فرح بما آتاه الله واطمأن به ، أخذه الله بغتة بالعذاب فإذا هو مبلس يائس ، يقول تعالى ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

(الأنعام:٤٤-٤٥)

١٥- فتنة المال :

والمال والخير والنعم ، كلها فتنة من الله للناس ليبلوهم بها ويختبرهم أيهم يشكر الله ويؤدى إليه حقه من الشكر وذلك بالإيمان والحمد والعبادة ومن يكفر بالنعمة ، ولا يؤمن بالله ولا يحمده ولا يتصدق للفقراء والمساكين ولا يصلى ولا يؤدى العبادات المفروضة ولكن الناس لا تدرى أن المال والنعم فتنة من الله لهم . يقول الله تعالى ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر:٤٩) .

١٧- فتنة كثرة الأموال والأولاد ليعذبهم الله بها فى الدنيا :

قد يتبادر إلى الذهن أن ما هم فيه من كثرة فى الأموال والأولاد هو خير لهم. ولكن الحقيقة أن الله تعالى أعطاهم هذه الأموال والأولاد ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وليكابدوا فى سبيلها المتاعب والمشقات ليحافظوا عليها ، ويدركهم الموت وهم على كفرهم ليعذبوا بسببها فى النار إنما هذه الأموال والأولاد فتنة وبلاء كبير يبتلى بها الله

كل متكبر كفار ، يقول رب العالمين ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ (التوبة:٥٥) .

لئام لا يوفون بعهد الله :

وكثيرا ما يقع المشركون والكافرون من أهل الكتاب فى المآزق والمشاكل والمخاطر والمصائب ، فيتجهون إلى الله الرحمن الرحيم يطلبون منه الرحمة والنجاة مما هم فيه من غم وكرب ويعاهدونه أن لو أنجاهم مما هم فيه ليكونون من الشاكرين ويستجيب الله تعالى لدعائهم فهو الرحمن الرحيم . وهو من عدله وكرمه ورحمته يعطيهم الفرصة تلو الفرصة ليتوبوا ويرجعوا إليه . ولكن بعد أن ينجيهم الله تعالى ويفرج عنهم كربتهم ، إذا بهم يتناسون كل ما قالوه وتعهدوا به لله ، ويتمسكون بمبدئهم فى الكفر والإلحاد كأنهم لم يدعونه بالأمس ، فهل هناك لؤم وحطة وخسة أكبر من هذا ؟ ؟

يقول الله تعالى فيهم ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ * قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ * قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ * وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ * لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنعام:٦٣-٦٧) .

١٨- يقتلون أولادهم ويُحرمون ما أحل الله :

وقد يزين الشيطان لكثير منهم قتل أولادهم بغير الحق خشية الفقر والإملاق . يقول تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾

(الأنعام:١٣٧)

وهم يُحرمون أكل بعض بهيمة الأنعام وبعضها لا يذكرون اسم الله عليها ، وبعضها حرَّموا عليهم ظهورها أى لا يركبونها ، وكل ذلك من عمل الشيطان ما لم ينزل به الله من سلطان .

١٩- مغرورون بقوهم :

فهم يفترون بكثرة جندهم يتوهمون أنهم ينصرونهم من دون الله ، يقول تعالى ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ * أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ (الملك: ٢٠-٢١) .

٢٠- قساة غلاظ على المؤمنين :

فهم إذا ما تسلطوا على المؤمنين فإنهم لا يرقبوا فيهم عدلا ولا ذمة ولا قرابة . يقول تعالى ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ * ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴾
(التوبة:٨-١٠)

٢١- أنجاس ملاعين :

يصفهم الخالق العليم بأنهم نجسٌ ويأمر المؤمنين بأن لا يدعوهم يقتربون من المسجد الحرام بعد يومئذ .

يقول تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة:٢٨) .

٢٢- منافقون خائفون يكرهون المؤمنين :

ينافقون المؤمنين ويحلفون أنهم منهم وما هم منهم ويحملهم الخوف والضعف الى النفاق والخوف الدائم فهم يؤكدون بالأيمان الفاجرة أنهم مؤمنين ولكنهم يضيقون

بالمؤمنين ويكرهون معاشرتهم ولو أنهم وجدوا حصونا أو سراديب فى الجبال أو جحورا فى الأرض لانصرفوا إليها.

يقول تعالى ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ * لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ (التوبة:٥٦-٥٧) .

٢٣- سفهاء :

ويخبرنا رب العالمين بأن من أعرض عن ملة إبراهيم عليه السلام (وهى الإسلام وعبادة الله وحده لا شريك له) فقد امتهن إنسانيته وعقله ، ورضى بالسفاهة وبالتشبه بالأنعام التى لا تفقه .

يقول تعالى ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (البقرة:١٣٠) .

٢٤- لا يصلون الرحم ويفسدون فى الأرض :

فهم يبغونها عوجا ويفسدون فى الأرض ولا يصلون ما أمر الله به أن يوصل وهو (الرَحم) وإقامة شعائر الدين ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر يقول تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ (الرعد:٢٥).

ويقول تعالى أيضا ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ * وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ (إبراهيم:٢٨-٣٠) .

٢٥- علماء بأمور الدنيا غافلون عن الآخرة :

فهم يدرسون ويتعلمون علوم الدنيا والحياة فيها . ولكنهم غافلين عن الآخرة لا يعطونها جزءا من وقتهم وجهدهم وتفكيرهم لأنهم لا يؤمنون بها . فاقتصرت

معلوماتهم وعلومهم وأبحاثهم على علوم الدنيا الظاهرة المادية ، يقول تعالى ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ (الروم:٧) .

٢٦- مختلفون متفرقون فى الدين عداوة وحسدا :

والكفار من أهل الكتاب لم يتفرقوا طوائف وشيعاً إلا من بعد ما جاءتهم الحقيقة فى الإسلام . فقد اختلفوا فى دينهم شيعا وأحزابا ومذاهبا كل منها دين بذاته يقتتلون فيما بينهم ويحاربون بعضهم بعضا ويذقهم الله بأس بعضهم البعض كل ذلك عداوة وحسدا فيما بينهم ، ولولا أنهم يشكون فى دينهم ويرتابون فيه لآمنوا بدين الإسلام وبرسول الله ﷺ وقد بشرت به كتبهم ورسلهم ، ويقول تعالى ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ (الشورى:١٤) .

٢٧- قلوب الكفار تتشابه فى كل العصور :

تشابهت قلوب الكفار وعقولهم منذ القدم فكما كان يقول الكفار من قريش لولا يكلمهم الله نفسه أو تنزل عليهم آية من السماء أو عقوبة ، كذلك كان يقول كفار القرون السابقة لرسلهم ، مثل أقوام عاد وثمود وأصحاب الأيكة وقوم تبع وغيرهم كانوا يقولون نفس الكلام كان لهم نفس العناد والتفكير كيف تشابهت قلوبهم وأفكارهم ! ! يقول تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

(البقرة:١١٨)

رحمة الله تعالى وعدله بالكفار بعد نزول القرآن الكريم (الرحمة) :

(١) تأجيل العقاب إلى يوم القيامه :

لقد كان الله سبحانه وتعالى يعاقب عقابا فوريا الأمم السابقة حين تكفر بالرسل الذين يبعثون فيهم ويؤذونهم ويهزءون بهم ، وهو ما حدث بالنسبة لقوم فرعون لما

آذوا موسى وقومه فقد أخرجهم الله من الجنات التى كانوا يعيشون فيها ثم أغرقهم جميعا وقضى عليهم ثم قوم نوح وعاد وثمود ولوط ، وغيرهم كلهم قد صب عليهم ربهم العذاب بالصاخة تارة وبالراجفة والصاعقة تارة أخرى إلى آخر ذلك من وسائل العقاب والعذاب الأليم كالإغراق وخسف الأرض وما إلى ذلك يقول تعالى ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٠) .

ولكن الإسلام والقرآن والرسول ، كانوا رحمة للعالمين فبرحمة من الله بالناس أجل لهم العذاب إلى يوم الفصل يوم الحساب ، وبذلك أتاح الله تعالى للكفار الفرصة تلو الفرصة حتى آخر العمر لعلهم يتذكرون ويرجعون الى الله ويهتدون بهديه ، ويقول تعالى ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الشورى:٢١) .

ولو يؤاخذ الله الناس بما عملوا ما ترك على الأرض من دابة (وذلك ما كان يحدث للكفار قبل الإسلام) وبعد نزول القرآن الرحمة المهداة . أجل للناس عقابهم إلى يوم معلوم ، يوم الحساب .

يقول الله تعالى ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴾

(فاطر:٤٥)

(٢) يحذرهم الله وينذرهم وينصحهم :

ومن رحمة الله بالناس وحتى لا يضلون ويكفرون به سبحانه فإنه سبحانه أنزل آيات بينات كثيرة ، ينصحهم فيها ويحذرهم وينذرهم إذا ما اتخذوا الكفر عقيدة بعذاب جهنم ، وينذرهم سبحانه بما يأتى :

أولا :لا رجوع إلى الحياة الدنيا مرة أخرى :

يقول تعالى ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴾ (الشورى:٤٧) .

يقول تعالى ﴿ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (الزمر:٥٨) .

ثانيا :لن تقبل توبتهم وإيمانهم إذا رأوا العذاب والموت :

يقول الله تعالى ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ۝ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (غافر:٨٤-٨٥) .

ثالثا : يخوفهم الله مما سيلاقونه من عذاب الجحيم :

ينذر الله تعالى الكافرين بعذاب النار الشديد ، حيث الأغلال تحيط بأعناقهم ويسحبون منها ، كما يصب فوق رءوسهم الحميم المغلى ثم يحرقون فى النار ليذوقوا عذاب الحريق ، كل ذلك لأنهم فى الدنيا يفرحون بغير الحق ويمرحون لاهين غافلين عن آيات الله ، فيكون جزاؤهم أنهم يدخلون أبواب جهنم خالدين فيها فساءت مثوى للمتكبرين عن عبادة خالقهم الكبير.

يقول تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ * ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَـٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ * فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ * ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ * مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَـٰفِرِينَ * ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ * ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (غافر:٦٩-٧٦) .

رابعا :ينذرهم الله تعالى بالعذاب فى الدنيا كذلك :

يقول الله تعالى لهم : أفأمنتم أن يخسف الله بكم الأرض أو يأتيكم بالعذاب من حيث لا تشعرون أو يدهمكم بالعذاب وأنتم متنقلون مسافرون وأنتم متخوفون ، يقول تعالى ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النحل:٤٥-٤٧) . ويقول تعالى أيضا ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ * وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ (الملك:١٦-١٨) .

كما يستطيع الله تعالى أن يعذبهم فى الدنيا أن يطمس على أعينهم أى يمحوها فلا يرون شيئا ولا يبصرون طريقهم الذى اعتادوا السير فيه ، ولو شاء الله أيضا لمسخ خلقتهم وجعلهم جامدون فى خلق جديد لا يستطيعون الحركة أماما ولا خلفا فلا يمضون إلى الأمام ولا يرجعون إلى الخلف. ودليل قدرته هذه أن من يعمره فى الدنيا ينكس وجهه ويحنى ظهره والذى يفعل ذلك لقادر على أن يمسح أعينهم أو يمسح خلقتهم أو يجمدهم فى مكانهم ولكن يوم الفصل هو الميعاد . يقول تعالى ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ * وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ * وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ (يس:٦٦-٦٨) .

خامسا : ينذرهم الله ويخوفهم من العذاب فى حياة البرزخ :

وينذرهم الله تعالى بأنه إذا ما انتهت حياة الكافر منهم فى الدنيا انقطعت عنه بالتالي فرص التوبة والعمل على رضاء الله تعالى وبدأت حياة أخرى بعد الممات وهى حياة البرزخ ، وهى حال ومكان سيكون عليه الموتى من ساعة الوفاة إلى يوم البعث وسيرى الكافر فى حياة البرزخ هذه ، العذاب الأليم الذى يستمر حتى يوم القيامة ... يقول تعالى ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ (غافر:٤٦) .

وحين يموت الكافر يدعو الله أن يرجع إلى الحياة الدنيا ثانية ليعمل صالحا يرضاه ولكنها كلمة هو قائلها فلن يرجع أبداً وسيبقى فى حياة البرزخ إلى يوم القيامة . يقول تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ * لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾

(المؤمنون:٩٩-١٠٠)

سادسا : ينذرهم الله تعالى بما سيلاقونه ساعة الموت :

وعندما تزورهم ملائكة الموت المكلفين بهم ليقبضوا أرواحهم يسألونهم لماذا لم تؤمنوا بالله العظيم ، لماذا ظلمتم أنفسكم فيقولون كنا مستضعفين فى الأرض . فيرد عليهم الملائكة ألم تكن أرض الله واسعة تهاجرون إليها ، ولكنهم استحبوا الكفر على الإيمان ويبررونه بأنهم مضغوط عليهم من الحكام الأقوياء أولئك كما يقول الله رب العالمين مأواهم النار وساءت مصيرا أما المستضعفون من الرجال المسنين والعجزة والنساء والولدان الذين ليس فى استطاعتهم التفكير فى حيلة يخرجون بها ويهاجرون ولا يستطيعون أن يهتدوا إلى طريقة يفرون بها بدينهم فأولئك عسى الله أن يغفر لهم وهو الغفور الرحيم .

يقول تعالى ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾

(النساء:٩٨-٩٩)

ويصف لنا الله العظيم فى القرآن الكريم الأهوال الفظيعة التى سيلاقيها الكافرون وهم فى غمرات الموت والملائكة يبسطون إليهم أيديهم لينتزعوا أرواحهم انتزاعاً من أجسادهم فى قسوة وعنف ، ويقول لهم الملائكة أخرجوا أنفسكم من هذا الهول والعذاب إن استطعتم ، اليوم تنالون عذاب الهون المهين الأليم جزاء لكم على كفركم بالذى خلقكم وعلى ما كنتم تدعون على الله غير الحق وتفترون عليه ما لم

يقل وما لم ينزل به سلطانا ، وعلى ما كنتم تستكبرون عن آياته ، يقول تعالى فى ذلك ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (الأنعام:٩٣) .

سابعا : يرغبهم الله تعالى فى التوبة والغفران :

ومن رحمة الله تعالى بهم بعد أن أجل ميعاد العقوبة إلى يوم القيامة أنه يدعوهم إلى التوبة والرجوع إلى الحق ليغفر لهم ويقيهم شدة العذاب ويدخلهم الجنة وقد ترك لهم الله تعالى باب التوبة مفتوحا حتى لو كانت ذنوبهم من الكثرة بحيث تقنطهم من رحمة الله ، فيطمئنهم الله تعالى بأنه يغفر الذنوب جميعا لمن يتوب إليه ، فيقول تعالى لهم ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (الزمر:٥٣-٥٥) .

ثامنا : يخاطب الله عقولهم ليبين لهم فضله عليهم :

وحتى لا يكونوا غافلين أو ناسين فإن الله تعالى يذكرهم ويلفت أنظارهم إلى قدرته العظيمة وإلى نعمه التى أنعم بها عليهم والتى لا تعد ولا تحصى لعلهم يتذكرون ويتقون كما يخاطب عقولهم بالمنطق السليم . **هل يستوى الصالح بالمفسد :** فهو سبحانه وتعالى ينبههم إلى شىء منطقى لا يقبل الشك ولا الجدل فالكل متفق عليه فهل يستوى المصلح بالمفسد هل يستوى الصالح المتقى بالفاجر الشقى ؟ يقول الله تعالى ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ * كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

(ص:٢٨-٢٩)

تاسعا : هو الذى خلقهم من نطفة :

وهنا يخاطبهم الله تعالى معاتبا ، يذكرهم بقدرته وبأنه هو الذى خلقهم أول الأمر من نطفة لا تكاد ترى ، حتى أصبحوا رجالاً أشداء ونساء ، ويذكرهم بأن إعادة الخلق مرة ثانية أسهل على الذى أنشأها أول مرة وأهون ، يقول تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ * إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ * فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

(يس:٧٧-٨٣)

عاشرا : هو الذى خلق لهم الأنعام :

ثم يبين الله تعالى لهم بأنه هو الذى خلق لهم الأنعام التى يملكونها وجعلها ذليلة مطيعة لهم بإذن منه تعالى ليركبوها ويأكلون من لحومها ولهم فيها منافع أخرى كثيرة . ويسألهم الله تعالى لماذا لا يشكرون نعمته ويؤمنون به ؟ هل من خالق غيره خلق لهم هذه النعم ؟ ولماذا يتخذون آلهة غيره ينصرونهم فى حين أنها هى التى تحتاج لمن ينصرها ويحميها !! يقول تعالى﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ * وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ * وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ * لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ * فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾

(يس:٧١-٧٦)

أحد عشر : هو الذى أنزل الماء عليهم :

ويحدثهم الله تعالى عن الأرض الميتة وكيف أنه أحياها بالماء الذى أنزله من السماء وأخرج لهم منها الحب وجنات من النخيل والأعناب ، وفجر فيها من عيون الماء المخزون داخلها وخلق لهم الأزواج من أنفسهم ومن الأرض ومما لا يعلمون .

اثنى عشر : خلق لهم الشمس والقمر :

كما عرض سبحانه عليهم آية الليل والنهار وآية الشمس التى خلقها لتلقى بالحرارة والضوء والحياة ، والقمر الذى قدره منازل وكيف أن الشمس والقمر يسبحان كل فى فلك خاص به ولا يدرك أحدهما الآخر .

يقول تعالى ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ * سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ * وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ * وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ * وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ * لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (يس:٣٣-٤٠) .

ثلاث عشر : هو الذى خلق الموت والحياة :

وأخيرا فإن الله تعالى يوجه إليهم هذه الحقيقة لعلهم يتفكرون ، وهى حقيقة لا تقبل الإنكار ، يقول تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (الروم:٤٠) .

ويقول تعالى ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ (الملك:٣٠)

أربعة عشر : الكفار ومصير أعمالهم الطيبة فى الدنيا :

وكما ذكرنا قبلا فإن من يعمل حسنا فى الدنيا (من مؤمن أو كافر) فلا يُجزى إلا حسنا بل ويضاعف له الإحسان (وما جزاء الإحسان إلا الإحسان) فالكافر حين يعمل عملا صالحا فى الدنيا ينال جزاءه فى الدنيا أيضا ، فمن يجد ويجتهد تكون نتيجة عمله واجتهاده خيرا له ، ولكن فى الدنيا فقط ، ولكن كيف ينظر الله تعالى إلى

هذه الأعمال الطيبة الصالحة التى يعملها الكافرون فى الدنيا ؟ هل ينالون جزاءهم عنها خيرا فى الآخرة ؟

يقول الله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ (الأحقاف:٢٠) . أى أنهم أضاعوا أعمالهم الطيبة الصالحة فى الدنيا بأن استمتعوا بنتائجها وخيراتها فى حياتهم الدنيا .

أما فى يوم القيامة فإنكم تُجزون بالعذاب المهين لأنكم استكبرتم عن عبادة الله الواحد الأحد وبما كنتم ترتكبون من فسق وفجور وآثام نهى عنها الله تعالى . يقول تعالى أيضا ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ * وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴾ (محمد:١-٣) .

ويقول تعالى أيضا ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ (محمد:٨-٩) .

ويقول تعالى أيضا ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا * ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا * ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴾ (الكهف:١٠٣-١٠٦) .

خامس عشر : أعمالهم كسراب أو كظلمات :

ويشبه الله تعالى أعمال الكفار فى حياتهم الدنيا بالسراب يحسبه الظمآن ماء فإذا ذهب إليه لم يجد منه شيئا ، فهو ضلال فى ضلال . وإنما يجد الله عنده ليحاسبه حسابا عسيرا . أو يشبهها الله تعالى بالظلمات فى بحر هائج تهدر فيه الأمواج التى

يعلوها السحاب فتنتشر الظلام والحلكة فى كل مكان ، حتى إذا أخرج (الواحد منهم) يده لم يكد يراها وذلك بأنهم ليس لهم هدى من نور الله ، يقول تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ * أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ (النور:٣٩-٤٠) .

ويقول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ (النمل:٤-٥) . أى أن من لا يؤمنون بالآخرة زين لهم الشيطان أعمالهم فيترددون فى الضلال ولهم فى الآخرة سوء العذاب والخسران المبين .

* * *

مثال الكافر الغنى قارون وأمواله الطائلة

كان قارون من قوم موسى عليه السلام بمصر ، ولاه الفرعون على قوم موسى منح الله تعالى قارون من الأموال والكنوز ما لو حملت مفاتيح خزائنها لثقلت على عصبة من الرجال الأقوياء قال له قومه لا تبطر بنعمة الله فإنه تعالى لا يحب الفرحين بزخارف الدنيا ومتعها ، وأعط الفقير حقه من أموالك وتصدق منها طلبا للنجاة يوم القيامة من عذاب الله ولا تنس نصيبك من الدنيا وعش فيها حياة طيبة ، وأحسن إلى الخلق كما أحسن الله إليك ولا تطلب الفساد فى الأرض فما خُلقت إلا لتعمرها وتعبد الله ، ولكن قارون استكبر وبطر بنعم الله عليه وفضله ، وقال إنما أوتيت كل هذه الأموال بعلمى وبمجهودى ولم يكن لله فضل على فيها ، ونسى هذا المغرور أن الله أهلك من القرون الأولى من هو أشد منه قـوة وأكـثر مالاً وولـداً والله عليـم بما يعمل الظالمون .

فخرج على قومه فى زينة وأبهة مسرفة فى مظهر خلاب يفتن النفس وتمنى الذين يحبون الحياة الدنيا مثل ما عنده من مال ونعيم ولكن الذين عندهم علم من الكتاب ويؤمنون بالله قالوا لهم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وصبر على ما قسمه الله له . فخسف الله تعالى بقارون وبداره الأرض فما كان له من أحد يُدركه وينقذه بعد خسفه بداره الأرض أصبح الذين تمنوا أن يكـونوا مثله يقـولـون ما الأمر إلا أن الله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقتر على من يشاء لحكمة يعلمها فلولا أن من الله علينا برحمته لخسف بنا الأرض فإنه لا يفلح الكافرون . تلك الدار الآخرة للذين لا يريدون علوا وتكبرا فى الأرض ، وفسادا والعاقبة للمؤمنين الذين يخشون الله فقارون هذا كان كافرا ، وتولى أعمالاً لفرعون الذى اتخذه وليًا له وإلهاً وهو رأس الكفر وقد ولاه على قوم موسى وهم المؤمنون بالله فسامهم العذاب وظلمهم .

وكان يتباهى بما لديه من مال كثير ولا يتصدق بجزء منه إرضاء لله تعالى وكان يقول دائما إنما أوتيت هذا المال عن علم أى بعلمه هو وعمله هو وتدبيره هو ولم يعترف بأنه من فضل الله عليه فمده الله بالمال حتى امتلأت خزائنه منه وتركه حتى اطمأن به وفرح بما عنده وفتح عليه أبواب كل شىء ثم أخذه أخذة شديدة أخذ عزيز مقتدر فانشقت الأرض فخسف الله به وبداره العظيمة الأرض فابتلعتها فى داخلها ولم يبق منها أثر وهذا جزاء له على تكبره وكفره بأنعم الله وله فى الآخرة أشد العذاب .

يقول الله تعالى عن قارون وأمواله الطائلة ﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ * وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (القصص:٧٦-٨٢) .

يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾

(الأنبياء:١)

معنى يوم القيامة :

يوم القيامة أى يوم القيامْ ، ففى هذا اليوم تقوم الساعة ، يقول الله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ (الجاثية:٢٧) .

ويقول تعالى ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (المطففين:٦) .

أى يوم يبعث الناس قياما واقفين من قبورهم لله رب العالمين .

وهو كذلك يوم تقوم الملائكة والروح ، يقول تعالى ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ (النبأ:٣٨) .

وهو أيضا يوم يقوم الحساب ليحاسب الناس على أعمالهم .

يقول تعالى ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ (إبراهيم: ٤١) .

ويوم القيامة هو نهاية الحياة الدنيا بالصورة التى نعرفها ونعيشها ولنستعرض معاً بعض أسماء يوم القيامة وأوصافه كما أخبرنا به القرآن الكريم لندرك مدى عظمة هذا اليوم وخطورته .

أسماء وصفات يوم القيامة :

يوم القيامة :

وقد أطلق الله تعالى على هذا اليوم اسم (يوم القيامة) يوم يقوم الناس من قبورهم ، ويوم تقوم الملائكة والروح لله رب العالمين.

يقول تعالى﴿ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (البقرة:١١٣) .

الساعة :

كما أطلق الله تعالى يوم القيامة (الساعة) وقال عز وجل ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ (الجاثية:٢٧) .

يوم الحساب :

ويسمى أيضا هذا اليوم (بيوم الحساب) حيث يحاسب كل فرد حسابا عادلاً عما كسبت يداه ، يقول رب العالمين ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ (ص:٥٣) .

يوم الفصل :

ويسمى أيضا هذا اليوم (بيوم الفصل) ، حيث يفصل بين أهل الإيمان وأهل الكفر ، وحيث يفصل بينهم بالعدل ولن يشفع للإنسان فيه أحد لا من الأبناء ولا من الأقارب ذوى الأرحام .

يقول تعالى ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الدخان: ٤٠) .

ويقول تعالى أيضا ﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الممتحنة:٣) .

يوم الوزن :

وهو يوم توزن الأعمال بميزان الحق والعدل .

يقول تعالى ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف:٨)

يوم الحكم :

وهو يوم الحكم حيث يحكم الله تعالى بين العباد ويقضى بينهم وتوفى الحقوق لأصحابها ويجازى المحسن ويجازى المسىء .

يقول تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (يونس:٩٣)

يوم الوفاء :

حيث يُوفى كل الناس حقهم .

يقول تعالى ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ (النور:٢٥)

يوم الحق :

وهو اليوم الحق حيث تظهر الحقيقة التى تحدث عنها الرسل والأنبياء ، يقول تعالى ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴾ (النبأ:٣٩) .

يوم الدين :

كما يطلق عليه (يوم الدين) ..

فيقول تعالى ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ * ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ (الانفطار:١٧-١٨)

يوم الجمع :

وهو اليوم الذى يجمع فيه الله تعالى الناس جميعا ، يقول الله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ (الشورى:٧) .

وكذلك يجمع فيه الرسل ويُسألون فيه عن أقوامهم .

يقول تعالى ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ (المائدة:١٠٩) .

يوم الدعوة :

وهو اليوم الذى يدعو الله فيه الناس فيستجيبون له .

يقول تعالى ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء:٥٢)

الواقعة :

ويسمى يوم القيامة بالواقعة أى القيامة ستقع وقوعا فهى واقعة حتما تخفض أقواماً وترفع أقواما كل حسب أعمالهم .

يقول تعالى ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾(الواقعة:١-٣)

اليوم الآخر :

ويسمى باليوم الآخر وهو بالنسبة للناس هو آخر يوم فى حياة الأرض ومن عليها ، وهو الذى يتقرر فيه مصير الخلائق إما إلى الجنة وإما إلى النار حيث تبدأ الحياة الآخرة ، يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (النساء:٥٩) .

يوم الآزفة :

وأزف أى قرب ، ويوم القيامة حق وقوعه ولا بد أن يحدث وما دام قد تقرر وقوعه فمرور الأيام والسنين يزيده قربا ، فهو قريب . يقول تعالى ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (غافر:١٨)

يـــوم الفتـــح :

وقد سماه تعالى بيوم الفتح حيث يفتح الله على المؤمنين ويدخلهم جناته ونعيمه ، وفى هذا اليوم يؤمن الكافرون ولكن لا يُقبل إيمانهم .

يقول تعالى ﴿ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ (السجدة:٢٩)

يـــوم الجاثيـــة :

يوم تجثو كل الأمم ، أمام الله تعالى ، يقول الله تعالى ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الجاثية:٢٨) .

يوم البعث :

وهو اليوم الذى يُبعث فيه الناس من مرقدهم ليُنبئوا بما عملــوا فى الدنيا ، وبما أحصاه الله ونسوه ، يقول تعالى ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (المجادلة:٦) .

ويقول تعالى أيضا ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الروم:٥٦) .

يوم الحشر :

وهو اليوم الذى يحشر الله تعالى فيه الناس جميعا ليحاسبهم .

يقول تعالى﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنعام:١٢٨) .

يوم الخروج :

والناس فى هذا اليوم يخرجون من حيث يرقدون ليواجهوا مصيرهم .

يقول تعالى ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾ (ق:٤٢) .

يوم القارعة :

وسُمى يوم القيامة بالقارعة ، وذلك لأن الصيحة الأولى تقرع الأسماع بشدة فتُهلك كل ما على الأرض .

يقول تعالى ﴿ ٱلْقَارِعَةُ * مَا ٱلْقَارِعَةُ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ (القارعة:١-٣) .

يوم الصاخة :

ويطلق على يوم القيامة أيضا يوم الصاخة أى الصوت القوى الشديد العنف الذى يصخ الآذان فتموت الأحياء من شدته يقول تعالى﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾

(عبس:٣٣)

يوم التناد :

وسمى أيضا بيوم التناد ، حيث ينادى على الناس ، فيظن كل فرد أن النداء إنما عليه هو .. يقول تعالى ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ ﴾ (ق:٤١) .

وفى هذا اليوم ينادى كل فرد على من يعرفهم ومن لا يعرفهم من شدة الهول والخوف والفزع ، يقول تعالى ﴿ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴾ (غافر:٣٢) .

يوم التلاق :

ويسمى بيوم التلاق حيث يتلاقى الناس ليواجه بعضهم بعضا ، مواجهة القصاص ، يقول تعالى ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾ (غافر:١٥) .

وكذلك يتلاقى الناس مع الملائكة ، يقول تعالى ﴿ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾ (الأنبياء:١٠٣) .

وهو اليوم الذى يتلاقى الناس مع ربهم فيه يقول تعالى ﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (البقرة:٢٢٣)

اليوم المشهود :

هذا اليوم الذى كان غيباً بالنسبه للناس ، أصبح بعد وقوعه يوما مشهودا واقعا يشهده الناس والملائكة والخلق جميعا ، يقول تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴾ (هود:١٠٣) .

اليوم المعلوم :

وهو اليوم المحدد السابق تقديره فى علم الله بالساعة .

يقول تعالى ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ * لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴾ (الواقعة:٤٩-٥٠)

اليوم العظيم :

وهو لما فيه من أحداث كبيرة وخوارق هائلة ، فهو يوم عظيم .

يقول تعالى ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأعراف:٥٩) .

اليوم الكبير :

وهو أيضا يوم كبير لما فيه ولطوله وضخامة ما فيه من أحداث .

يقول تعالى ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ (هود:٣) .

اليوم الثقيل :

وهو يوم ثقيل حقا لما فيه من زلازل ونسف ولما فيه من بعث وحشر وحساب وعذاب ... إلخ

يقول تعالى ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ (الإنسان:٢٧)

يوم الجزاء :

وفيه تجزى كل نفس بما كسبت .

يقول تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (غافر:١٧) .

يوم التغابن :

فى هذا اليوم سيكون الكفار وهم (سادة الدنيا) سيكونون محتقرين فى أحط الدرجات مهانين أشد الإهانة كما سيكون الفقراء مساكين الدنيا (المؤمنين) فى أعلى الدرجات والمراكز مكرمين غاية التكريم بما عملوا فى الدنيا من الصالحات . يقول تعالى ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (التغابن:٩) .

يوم الحاقة :

حيث يحق الحق وتكون القيامة حقا والبعث حقا والحشر حقا والحساب حقا والعذاب حقا والجنة حقا . يقول تعالى ﴿ ٱلْحَآقَّةُ * مَا ٱلْحَآقَّةُ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾ (الحاقة:١-٣)

اليوم الأليم :

إنه يوم أليم حقا على الكافرين .

يقول تعالى ﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ (هود:٢٦) .

يوم عسير :

وفيه يجد الكافرون العسر والشدة .

يقول تعالى ﴿ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ (المدثر:٩-١٠) .

يوم الحسرة :

وهو اليوم الذى يتحسر فيه الكفار على ما فرطوا فى جنب الله وفى حق أنفسهم فتحرقهم الحسرات والندم .

يقول تعالى ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (مريم:٣٩)

يوم الوعيد :

وهو اليوم الذى يرى فيه الكفار كل ما وعد به الرسل من الوعيد بالعذاب يقول تعالى ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴾ (ق:٢٠) .

يوم الطامة الكبرى :

وأطلق عليه يوم الطامة الكبرى التى تكثر أهواله وتصيب كل شىء وتهلك كل شىء وتزداد الشدة والكرب يقول تعالى ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ (النازعات:٣٤).

يوم الغاشية :

وهو اليوم الذى تغشى عذابه وأهواله الناس من كل مكان .

يقول تعالى ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾ (الغاشية: ١) .

اليوم المحيط :

وهو اليوم الذى يحاط فيه بالكافرين من كل مكان فلا يستطيعون النجاة والهرب مما فيه من أهوال وحساب وجزاء .

يقول تعالى ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾ (هود: ٨٤) .

يوم عبوس قمطرير :

ومن صفات هذا اليوم العظيم أنه يوما عبوسا قمطريرا يشتد عبوس الكفار فيه لما فيه من شدة وقسوة عليهم .

يقول تعالى ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ (الإنسان: ١٠) .

يوم شره مستطير :

ومن صفات يوم القيامة أن شره شديد بالغ القسوة والعنف فينتشر فى كل مكان يصيب كل إنسان يقول تعالى ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾ (الإنسان:٧)

يوم يجعل الولدان شيبا :

ومن شدة هذا الشر العنيف المدمر المفزع فإن الأطفال الصغار تشيب فيه رؤوسهم من هول ما يلاقون ويرون فى هذا اليوم .

يقول تعالى ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ (المزمل: ١٧) .

يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار :

هذا اليوم بما فيه من أهوال وشدة وأحداث متلاحقة عنيفة ، تجعل القلوب والأبصار تتقلب فى كل اتجاه بكل الانفعال من الرهبة والخوف والفزع .

يقول تعالى ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ (النور:٣٧) .

فالعيون تشخص إلى الأمام تكاد تخرج من مآقيها، يقول تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ (إبراهيم:٤٢-٤٣) .

يوم لا ريب فيه :

ويخبرنا ربنا جل وعلا أن يوم القيامة هذا لا ريب فيه ولا شك فهو واقع لا محالة يقول تعالى ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ (آل:عمران ٩) .

وهذا اليوم يوم القيامة ، يرجع الناس إلى ربهم الحق . يقول تعالى ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة:٢٨١) .

وهو يوم المساق أيضا :

حيث يساق الناس إلى الله ثم بعد الحساب يساقون إلى الجنة أو إلى النار . يقول تعالى ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴾ (القيامة: ٣٠) .

وهو يوم المستقر :

حيث يستقر الناس عند الله ليحاسبهم على أعمالهم .

يقول تعالى ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴾ (القيامة:١٢) .

وهو يوم المآب إلى الله :

أى العودة إليه سبحانه يقول تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴾ (الرعد:٣٦) .

رأى المؤمنون فى الساعة :

يصدق المؤمنون تصديقا غيبيا يقينيا بقيام الساعة وأنها حق وأنها واقعة لا محالة ولذلك تراهم مشفقون منها خوفا من عذابها وأهوالها ومن حسابها خوفا من أن تكون أعمالهم الصالحة لا تكفى لنجاتهم من النار. أو أن تقف ذنوبهم حائلا دون دخول الجنة ، يقول الله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ * يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾
(الشورى: ١٧-١٨)

رأى الكافرين الملحدين فى الساعة :

أما الكافرون الملحدون فإنهم لا يصدقون بقيام الساعة وأن قيامها ليس بمستيقن وما هو إلا ظناً ، يقول تعالى ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ * وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ (الجاثية:٣١-٣٢) .

كيف تقوم الساعة ؟

كلمح البصر أو هو أقرب قيام الساعة فى جزء من الثانية يتحول العالم كله إلى حالة من الزلزال والنسف والانفجارات والدمار والهول لن يستغرق قيامها وقتا أو تمهيداً أو انتقالاً ! من حالة إلى أخرى حتى ينتبه الناس وإنما فجأة يكون كل شىء مباغتا سريعاً ساحقا ماحقا . يقول الله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (النحل:٧٧).

متى تقوم الساعة ؟

يحذرنا الله سبحانه وتعالى بأن قيام الساعة قد اقترب موعده فى علم الله وأن الناس فى غفلة معرضون عنه لا يعملون له ولا يستعدون لملاقاته حيث يحاسبون على أعمالهم فى الحياة الدنيا .

يقول سبحانه وتعالى ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ (الأنبياء:١) وأن أغلب الناس يعتقدون أن يوم القيامة لا زال أمامه أمداً طويلا حتى يقع ، ولكن الله سبحانه يرى أنه قريب ، يقول سبحانه ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا * وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴾ (المعارج:٦-٧) . ويؤكد الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم أن يوم القيامة لا محالة واقع ولا شك فى ذلك .. يقول تعالى ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ (الحج:٧) . ويقول أيضا ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ (الشورى:١٧) .

أما تحديد موعد قيام الساعة فلا يعلمه إلا علام الغيوب يقول تعالى﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

(الملك:٢٥-٢٦)

ويقول تعالى أيضا ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف:١٨٧) .

الحكمة من إخفاء موعد الساعة :

ومما تقدم من الآيات الكريمات نستطيع أن ندرك لماذا أخفى الله تعالى موعد قيام الساعة ، وهذا طبيعى ويتسق تماما مع ما أخبرنا الله تعالى عنه من أن الحياة الدنيا إن هى إلا للابتلاء وللاختبار فلو علم الناس موعد قيام الساعة ، لاستعدوا له إن كان قريبا ، ولأهملوا أمر الدين إن كان بعيدا .

لذلك أخفى الله تعالى موعدها ولكنه سبحانه وتعالى أنذرنا وحذرنا من أن قيامها سيكون بغتة وأنها ستفاجئ الناس ليلا أو نهارا وهم مشغولون فى حياتهم اليومية وحكمة إخفاء موعد قيام الساعة هو أن يخشى الناس قيامها فى أى لحظة فيستعدون لملاقاتها وهم مؤمنين محسنين ولذلك ترى المسلم المؤمن بالله ، وبقيام الساعة فى أية لحظة ، تراه دائما مستعدا لملاقاة ربه ليحاسبه وهو يرجو رحمته بدخول الجنة والبعد عن الجحيم .

فيقول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ (طه:١٥)

أما الكافر الذى لا يؤمن بالله ولا بقيام الساعة فيفاجأ بقيامها بغتة دون استعداد لها فيبهت ويستسلم لأمر الله ولا يستطيع رد أهوالها وهو ينظر إلى ما وعد به الرسل والأنبياء .

يقول تعالى ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ (الأنبياء:٤٠)

اقترب موعد قيام الساعة وجاء أشراطها :

يقول تعالى ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾ (محمد:١٨) . وأشراط قيام الساعة أخبرنا بها الله تعالى فى كتابه العزيز حتى يحترس المؤمنون ويتهيئون لملاقاتها رحمة منه سبحانه بالاستعداد لها والالتفات الكامل لأمور الدين واتباع ما جاء فى القرآن الكريم من أوامر واجتناب ما جاء به من نواهى حتى ينجيهم الله من أهوال ذلك اليوم الثقيل .

أولا : من علامات اقتراب الساعة أن الأرض تصل إلى قمة التزين والزخرف ، وأن يصل الناس إلى الرفاهية والترف وذلك بتسخير العلم الذى وهبهم الله ، حتى يظن أهلها أنهم قادرون عليها ، ويملأهم الغرور والكبر ، هنا يأتى أمر الله ليلا أو نهارا فتدك الأرض والجبال دكة واحدة ويحدث الزلزال العظيم وتُخرج الأرض ما فى بطنها من المعادن المنصهرة والسوائل والنيران والدخان وتصبح الأرض جُرُذاً ملساء ليس عليها شىء وكأن لم يكن عليها شىء .

يقول تعالى ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (يونس: ٢٤) .

الحديث الشريف :

من أشراط يوم القيامة يقول مالك ﷺ : قال رسول الله ﷺ :

(إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم ويظهر الجهل ويفشو الزنا ويشرب الخمر ويذهب الرجل (بالقتل) وتبقى النساء حتى إن لخمسين امرأة قيم واحد).

أشراط قيام الساعة :

يقوم الرسول عليه الصلاة والسلام (أما أول أشراط الساعة فنار تخرج من المشرق فتحشر الناس إلى المغرب) [١]

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (لا تقوم الساعة حتى يكون عشر آيات :

طلوع الشمس من مغربها ـ الدخان ـ الدابة ـ يأجوج ومأجوج ـ نزول عيسى عليه السلام ـ ثلاثة خسوفات ـ نار تخرج من قعر عَدْن .) [٢]

ومن علامات الساعة :

هدم الكعبة والقبلة المعظمة .

فى الصحيحين : يقول النبى ﷺ : (كأنى أنظر إلى حبشى أحمر الساقين أزرق العينين أفطس الأنف كبير البطن ، وقد صف قدومه على الكعبة هو وأصحاب له ينقضونها حجراً حجراً ويتداولونها حتى يطرحونها فى البحر) [٣]

---

(١) الحديث رواه البخاري ١٦٠/٤ و ٨٨/٥ طبعة الشعب و أحمد ١٠٨/٣ والبيهقي في دلائل النبوة ٢٥١/٢ و ٢٦١/٦ .

(٢) الحديث رواه ابن ماجه رقم ٤٠٥٥ وابن أبي شيبة في المصنف ١٣٠/١٥ و ١٦٣ والحاكم في المستدرك ٤٢٨/٤ والطبراني في المعجم الكبير ١٩١/٣.

(٣) الحديث رواه أحمد ٢٢٨/١ .وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣٨٧/٨.

علامات قيام الساعة :

إن علامات قيام الساعة تنقسم إلى ثلاثة أقسام * قسم ظهر وانقضى وهى الأمارات البعيدة * وقسم ظهر ولم ينقض بل لا يزال فى زيادة حتى إذا بلغ الغاية ظهر القسم الثالث * وهى الأمارات الكبيرة القريبة التى تعقبها الساعة .

فالأمارات التى انقضت :

بعثة النبى ﷺ وموته وفتح بيت المقدس ومنها قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان .

ويقول النبى ﷺ : من علامات يوم القيامة (زوال ملك العرب ـ كثرة الزلازل ـ والمسخ والقذف ولا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع أى حتى يكون اللئام والحمقى ونحوهم رؤساء الناس)[1]

يقول أنس بن مالك : (من اقتراب يوم القيامة اثنان وسبعون خصلة ، إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة وأضاعوا الأمانة / وأكلوا الربا / واستحلوا الكذب/ واستخفوا بالدماء / واستعلوا البناء / وباعوا الدين بالدنيا / وتقطعت الأرحام / ويكون الحُلم ضعفا / والكذب صدقا / والحرير لباسا/ وظهر الجور/ وكثر الطلاق / وموت الفجأة / وأؤتُمن الخائن/ وخُوِّن الأمين / وصُدِّق الكاذب / وكذِّب الصادق / وكثر القذف / وكان المطر قيظا / وفاض اللئام / وغاض الكرام غيضا / وكان الأمراء والوزراء خونة / والعرفاء ظلمة / والقُراء فسقة / إذا لبسوا مسوك الضأن / قلوبهم أنتن من الجيفة / وأمرُّ من الصبر / يُغشّيهم الله فتنة يتهاوكون فيها تهاوك اليهود / والظلمة / وتظهر الصفراء وتُطلب البيضاء (يعنى الذهب والفضة) وتكثر الخطباء / ويقل الأمر بالمعروف / وحُليت المصاحف / وصُوِّرت المساجد / وطُوِّلَت المنابر / وخربت القلوب / وشُربت الخمور / وعُطلت الحدود / وولدت الأمةُ ربتَها / وترى الحفاة العراة

---

(١) أما عن زوال ملك العرب قبل قيام الساعة فيشهد له قوله ﷺ :«وتقوم الساعة والروم أكثر النـــاس» رواه مسلم في الفتنة ٢٢٢٢/٤ رقم ٢٨٩٨ . و أحمد ٢٢٤/٤ وبرقم ١٧٩٤٥ بتحقيق الشيخ شاكر .

صاروا ملوكا/ وشاركت المرأة زوجها فى التجارة / وتشبه الرجال بالنساء / والنساء بالرجال / وحُلف بغير الله / وشهد المرء من غير أن يستشهد / وسلم للمعرفة / وتفقه لغير الله / وطُلبت الدنيا بعمل الآخرة / واتخذ المغنم دولا (أى ما يتداول من المال) أى إذا اختص الأغنياء وأرباب المناصب بأموال الفىء ومنعوها مستحقيها / والأمانة مغنما / والزكاة مغرما / وكان زعيم القوم أرذلهم / وعق الرجل أباه / وجفا أمه / وبر صديقه / وأطاع الرجل امرأته / وعلت أصوات الفسقه فى المساجد / واتخذت القيان والمعازف / وشربت الخمر / وبيع الحكم / وكثرت الشرط / واتخذ القرآن مزامير وجلود السباع صفافا / ولعن آخر هذه الأمة أولها. فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وخسفا ومسخاً وقذفات وآيات).

يقول تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِ ﴾ (يونس:٢٤) .

ثانيا : انشقاق القمر ويُقال إنَ معجزة انشاق القمر قد حدثت أيام الرسول عليه الصلاة والسلام وقد رآها عليه الصلاة والسلام مع بعض من أصحابه ويخبرنا الله العلى العظيم أن هذا الانشاق دليل على اقتراب الساعة .

يقول سبحانه وتعالى ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾ (القمر:١) .

أما الأمارات القريبة الكبيرة :

وهى العلامات التى لم تظهر بعد وهى :

***ظهور المهدى المنتظر :**

قال النبى ﷺ (لو لم يبق فى الدنيا إلا يوم ، لطَوَّل الله ذلك اليوم حتى يلى رجلٌ من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى يملؤها قسطا وعدلاً كما ملئت ظلما وجورا .)[1]

---

(١) الحديث رواه أحمد ٩٩/١ و أبو داود ٤٢٨٢ وابن حبان ١٨٧٦ (موارد الظمـــآن). والطـــبراني في المعجم الكبير ١٦٤/١٠ و ١٦٦. وابن ماجه رقم ٢٧٧٩.

قال الحذيفة بن اليمــان ﷺ : قـال رسـول الله ﷺ (المهـدى رجـل مـن ولـدى وجــهه كالكوكـب الـدرى ، اللـون لـون عربـى ، والجسـم جسم إسـرائيلى ، يملـك عشـرين سنة)[1] وتحارب القبائل بذى القعدة وظهـور الخسـف والفـتن ومعـه قمـيص رسول الله ﷺ وسيفه .

علامات ظهور المهدى :

كسوف الشمس والقمر ، وظهور نجم الذنب والظلمة وسماع الصوت برمضان. وتحارب القبائل بذى القعدة وظهور الخسف والفتن .

*** المسيح الدجال :**

وهو منبع الكفر والضلال وينبوع الفتن والأوحال ، حذرت الرسل منه أممها ووصفه النبى ﷺ قال كعب الأحبار : (الدجال تلده أمه بقوص من أرض مصر بين مولده وخروجه أربعين سنه) .

***نزول المسيح عليه السلام :**

ثابت بالكتاب والسنة والإجماع. يقول القرآن الكريم ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ (النساء:١٥٩) أى يؤمنون به قبل موته عندما ينزل من السماء آخر الزمان . حتى يكون الدين كله هو الإسلام ملة إبراهيم عليه السلام وأنه سيحكم بالشريعة الإسلامية المحمدية وليس بشريعة مستقلة ويقوم عيسى عليه السلام بكسر الصليب وقتل الخنزير والقرد ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام ويتحد الـديـن فــلا يُعبد إلا الله ، ويترك الصدقة والزكاة لعدم وجود من يقبلها- وتظهر الكنوز فى زمنه ولا يُرغب فى اقتناء المال وترفع الشحناء والتباغض ، وينزع الله سم كل ذى سم حتى تلعب الأولاد مع الحيات والعقارب فلا تضرهم ، وترعى الشاة مع الـذئب

---

(١) هذا اللفظ ذكره في الحاوي للفتاوى ١٣٧/٢ وضعفوه وهو عند ابن أبي شيبة بلفظ قريب ١٩٨/١٥ وبلفظ قريب عند أبي داود ١٠٥/٤ رقم ٢٤٨٥.

فــلا يضرها ، وتملأ الأرض سلما وينعدم القتال ، وتنبت الأرض نبتا كعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم وكذا الرمانة ، وترخص الخيل لعدم القتال. ويعلو الثور لأن الأرض تحرث كلها ، وقبل أن ينزل المسيح عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقى دمشق واضعاً كفيه على أجنحة ملكين ويقول النبى ﷺ **(ينزل عيسى ابن مريم فيمكث فى الأرض أربعين سنه).** [١]

ويقوم عيسى عليه السلام بقتل المسيح الدجال وجنوده من اليهود ومن معهم .

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودى من وراء الحجر والشجر. فيقول الحجر والشجر : هذا يهودى خلفى فاقتله يا مسلم) . [٢]

*** خروج يأجوج ومأجوج :**

يقول الله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾ (الأنبياء:٩٦) . يقول الرسول ﷺ (لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات (طلوع الشمس من مغربها / الدخان / الدابة / يأجوج ومأجوج / المسيح الدجال / نزول عيسى ابن مريم / ثلاثة خسوفات / نار تخرج من قعر اليمن ....) [٣]

إن يأجوج ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام بل هم من نسل نوح أيضاً من أولاد (يافث) أى الترك والترك شرذمة منهم .

عن الإمام أحمد مسند عن أبي سعيد الخدرى قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : **(تفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس)** [٤]

---

(١) هذا اللفظ رواه ابن عدي في الكامل ٢٦٣٤/٧ وفيه ضعف .ولكن رواه بلفظ قريب عبد الرزاق برقم ٢٠٨٣٨.

(٢) رواه البخاري ٥١/٤ ومسلم في الفتن رقم ٨٢ . وأحمد في المسند ٤١٧/٢ .

(٣) الحديث رواه ابن ماجه رقم ٤٠٥٥ . وابن أبي شيبة في المصنف ١٣٠/١٥ و١٦٣ والحاكم في المستدرك ٤٢٨/٤.

(٤) رواه أحمد ٧٧/٣ وبرقم ١١٦٧١ وابن ماجه رقم ٤٠٧٩.

كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ (الأنبياء:٩٦) فيغشون الناس ، وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم ويضمون إليهم مواشيهم ويشربون مياه الأرض ، حتى إن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يابسا ، حتى إن بعضهم ليمر بهذا النهر فيقول : قد كان ها هنا ماء مرة ، حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا أحد فى حصن أو مدينة قال قائلهم : هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم بقى أهل السماء . قال : فيهز أحدهم حربته ثم يرمى بها إلى السماء فترجع إليه مخضبة دماً للبلاء والفتنة. فبينما هم على ذلك بعث الله عز وجل دوداً فى أعنقاهم كنغف الجراد الذى يخرج فى أعناقه فيصبحون موتى لا يُسمع لهم حس. فيقول المسلمون : ألا رجل يشرى لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو. قال : فينحدر رجل منهم محتسبا نفسه على أوطنها على أنه مقتول ، فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادى يا معشر المسلمين ألا أبشروا إن الله عز وجل قد كفاكم عدوكم ، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لهم رعى إلا لحومهم فتشاكر عنهم كأحسن ما شكرت عن شيء من النبات أصابته قط .

ثالثا : إطلاق يأجوج ومأجوج :

ومن الدلائل على اقتراب يوم القيامة أن ينطلق شعب يأجوج ومأجوج الذى أخبرنا عنه القرآن الكريم ، فإن السد الذى بناه ذو القرنين بين شعب يأجوج ومأجوج وبين جيرانهم ينهار . فى حين يقترب الوعد الحق يوم القيامة ، سينهار هذا السد ، فينسل هؤلاء المجرمون الكفار من كل مكان ينشرون الفساد والإجرام والقتل والسرقة، والخطف والاغتصاب ، فلا أمن ولا أمان ، ولكن الخوف والقلق .

يقول الله تعالى ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾

(الأنبياء:٩٥-٩٧)

وفى حديث الدجال :

قال ابن عباس وعكرمة وأبو صالح والثورى وغيرهم : (وبينما هم كذلك إذ أوحى الله عز وجل إلى عيسى ابن مريم عليه السلام أنى قد أخرجت عبادا من عبادى لا يدان لك بقتالهم فحرر عبادى إلى الطور ، فيبعث الله يأجوج ومأجوج كما قال الله تعالى ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ (الأنبياء:٩٦) فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل فيرسل عليهم نغفاً فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ، فيهبط عيسى وأصحابه فلا يجدون فى الأرض بيتا إلا قد ملأه نتنهم وزهمهم . فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل ، فيرسل عليهم طيورا كأعناق البخت فتحملهم وتطرحهم حيث شاء الله) قال:(ويرسل الله مطرا لا يكن فيه بيت مدد ولا وبر أربعين يوما فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ، ويقال للأرض انبتى ثمرك ودرى بركتك قال : فيومئذ يأكل النفر من الرمانة فيستظلون بقحفها ، ويبارك فى الرسل ، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفى الفئام من الناس . واللقحة من البقر تكفى الفخذ والشاة من الغنم تكفى أهل البيت) . فبينما هم على ذلك إذ بعث الله عز وجل ريحا طيبة فتأخذهم تحت أباطهم فتقبض روح كل مسلم ، وكما قال مؤمن – ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر ، وعليهم تقوم الساعة) (أخرجه مسلم وأحمد وأصحاب السنن).

طول يوم القيامة

قرر القرآن الكريم أن طول يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنه من سنوات أهل الأرض ، يقول تعالى ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (المعارج:٤) . أو قد يكون مقداره ألف سنه ، يقول تعالى ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (الحج:٤٧)

لحظة البداية .. (النفخة الأولى) :

يبدأ يوم القيامة فجأة وبغتة على أثر سماع نفخة من الصور نفخة ذات صوت عال قوى يصخ الآذان ، وفى أقرب من لمح البصر تبدأ المصائب والأهوال والزلازل ،

يقول تعالى ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾ (عبس:٣٣) . تقوم القيامة بإرادة الله تعالى وبأمره يوم يقول سبحانه ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ (آل عمران:٤٧) ، فى الوقت والظرف الذى حدده الله فى سابق علمه ، يقول سبحانه ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (الأنعام:٧٣) .

ماذا يحدث للأرض بعد النفخة الأولى :

بعد سماع النفخة الأولى من الصور فإن الأحداث الجسام تتلاحق فى سرعة وعنف وتحدث الطامة الكبرى ، فالأرض تتعرض للزلزال العظيم ، الذى يدمر كل شيء ، وتخرج الأرض ما فى بطنها وتتخلى عنه .

يقول تعالى ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة:١-٨)

هذا الزلزال الذى يقضى على كل ما على الأرض من حى وجماد فى عنف وبطش وانتقام . يقول تعالى ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ (الدخان:١٦)

فى هذا اليوم العظيم ، تُبدل الأرض غير الأرض ، فتدك الأرض دكا حتى تصبح كالقرص المستدير بعد ما تكون قد ألقت كل شيء من جوفها من معادن وأحجار وغازات وسوائل ونيران ودخان .. إلخ .

فلم يبق منها غير سطح مستو ، لا ارتفاعات فيه ولا انخفاضات ، فبعد أن كانت الأرض كرة عظيمة ضخمة فإنها تُمد وترقق وتفرد كما يفرد ويرقق الخباز قطعة العجين المكورة ، رقيقة مستديرة تشبه الرغيف .

يقول تعالى ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ (إبراهيم:٤٨)

ويقول تعالى ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ * وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ (الحاقة:١٣-١٧) .

فنرى الجبال وقد نسفها الله نسفاً فتصبح كالهباء وكالرماد وكالصوف المندوف الذى يسير فى الهواء سير السحاب ، يقول تعالى ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾ (الواقعة:٤-٦) .

أما البحار : فإنها تسجر أى تفور من الغليان ولا شك أن القشرة الأرضية فى قاع المحيطات والبحار هى أقرب مكان إلى باطن الأرض وأضعفه فتكون أول ما تنشق الأرض ساعة الزلزال عند قاع المحيطات والبحار فتندفع النيران والمعادن المنصهرة الحبيسة فى باطن الأرض إليها فتحيل الماء إلى مرجل يغلى من شدة الحرارة ، يقول تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾(التكوير:٦).

ماذا يحدث للسماء بعد النفخة الأولى :

إن ما يحدث فى السماء هو سبب قيام الساعة فأول ما يحدث فى السماء هو :

*** تكوير الشمس :**

فالشمس بمضى السنين لا بد وأن تتناقص حرارتها فهى لا تستمد حرارتها من كوكب آخر وإنما من نفسها وكل شىء له نهاية ، فنرى الشمس تتمدد فتضعف حرارتها ، ثم فى النهاية تتكور على نفسها وفى ذات الوقت فإن النجوم نفسها تتأثر بنقصان حرارة الشمس ، فتتكدر وتنطمس .

*** النجوم تنكدر :**

أى ينطمس نورها فلا يظهر ويتلاشى ، وكذلك القمر والكواكب الصغيرة فى المجموعة الشمسية .

*** القمر ينخسف وينجذب إلى الشمس :**

بتمدد الشمس تزداد جاذبيتها لما يجاورها من الكواكب ، فينخسف ضوء القمر الذى يستمده من الشمس التى ضعف ضوءها ، ثم ينجذب هو الآخر إلى الشمس ، يقول رب العالمين مالك يوم الدين ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ * وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ (التكوير:١-٣) .

ويقول تعالى ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ * وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ * وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ (القيامة:٧-٩)

فإذا ما تم جمع القمر بالشمس وتلاشى ضوء النجوم وكورت الشمس ، فإن الإنسان يتحير بصره من الدهشة والاستغراب والخوف والفزع فإن ما يراه من ظواهر غريبة تجهله لا يفهم ما يجرى أمامه فتزداد حيرته وفزعه وخوفه بعد ذلك .

تنشق السماء :

تنشق السماء وتحدث فيها أحوال جديدة بأمر الله تعالى وبإرادته .

يقول تعالى ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ (الانشقاق:١) .

وحينما تنشق السماء فإنها تتحول إلى أجزاء صغيرة متناثرة أى تنفطر .

ويقول تعالى ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾ (الانفطار:١) .

بهذا التشقق والانفطار فإن السماء تصبح حمراء اللون داكنة كما لو كانت من أثر حريق كبير قد أتى عليها ، يقول تعالى ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن:٣٧-٣٨) .

وهذا الحريق الكبير جعل النجوم والكواكب تنصهر وتصبح كالمهل الملتهب السائل ، يقول تعالى ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ * وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴾ (المعارج:٨-٩).
بهذا الانفطار والانشقاق يقل التماسك بين النجوم والكواكب فتصبح واهية ضعيفة يقول تعالى ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ (الحاقة:١٦) .

أبواب السماء :

يقول الله تعالى﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ * وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴾ (المرسلات:٨-١٠). أى تحدث فى السماء فُرج أى فتحات ، وهذه الفتحات فى السماء ما هى إلا أبواب تؤدى إلى العالم العلوى ، يقول تعالى ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا * وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ (النبأ:١٩-٢٠).

تكشط النجوم من السماء :

وفى النهاية تكشط هذه النجوم المحترقة السائلة المنصهرة .

يقول تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴾ (التكوير:١١) .

تطوى صفحة السماء :

ويشبه الله سبحانه وتعالى كل هذا الذى يحدث فى السماء هذا الذى حدث ، للشمس والقمر والنجوم والكواكب وإزالتها من الوجود ، يشبهه سبحانه كما لو كانت أوراقا فى كتاب قد طويت وانتهى أمرها يقول الله القوى القهار ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ (الأنبياء:١٠٤)

بعد كل هذا الذى يحدث فى السماء ، من تكور الشمس وانجذاب القمر إليها واحتراق النجوم وكشطها كشطا ، والأرض كما هو معروف علميا باقية فى مكانها بقوة الجاذبية التى تنبعث من الشمس والقمر والنجوم فلما ذهب كل هؤلاء فليس أمام الأرض من مفر سوى سلوك طريق واحد هو طريق الهاوية السحيقة فتسلكه مُضطرة فى عنف وسرعة رهيبة حتى تصطدم بأى كوكب آخر يعترض طريقها ، وكأنما حُملت بأيد جبارة وقذفت فى الفراغ بقوة وعنف فدُكت دكاً عنيفا مدمرا ، يقول صاحب كل شىء ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾ (الحاقة:١٣-١٥) .

هنا تسمع الخلائق كلها هذا الصوت العظيم الذى يصخ الآذان ويقرع القلوب بشدة ويكون من نتيجته أن يُصعق كل من فى السموات والأرض إلا ما شاء ربك .

ماذا يحدث للناس بعد النفخة الأولى ؟

أما ما يحدث للناس وللخلائق فى السموات والأرض .

فإن ما يحدث فى السماء من أحداث وأهوال من تناثر النجوم وانطماسها وانصهارها وتكوير الشمس وخفوت ضوئها ، وانخساف القمر وجمعه بالشمس واحمرار السماء واحتراقها ، ثم الزلزال العظيم للأرض ونسف الجبال وتسجير البحار وتشقق الأرض بالنار والدخان والماء المغلى وتحطيم كل شىء كل ذلك يحدث والناس فى فزع ورعب ذاهلين مشفقين غير مصدقين لما يحدث أمام أعينهم تراهم سكارى (ليس من الخمر) ولكن من الرعب والفزع ، تراهم حائرين يتصرفون بدون وعى ولا إدراك ، فتفكيرهم مشلول ولا يدرى أحدهم ماذا يفعل أمام هذا الهول المفاجئ وقد ضرب لنا الله تعالى فى القرآن بعض الأمثلة لما يحدث للناس فى هذا اليوم ، فيخبرنا سبحانه كمثال :

الأم تذهل عن رضيعها :

الأم التى تحتضن طفلها الرضيع فإنها تُذهل عنه وتتركه لقضائه لتنجو بنفسها وليس بعد حب الأم نحو رضيعها حب ومع ذلك تتركه لاهية ذاهلة لتفر من هذا الجحيم المروع وحتى الحامل فإنها تجهض جنينها من شدة الفزع أيضا .

الناس سكارى :

يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (الحج:١-٢) .

الولدان شيبا :

هذا الهول والرعب والفزع يجعل الأولاد الصغار يشيبون قبل الأوان وهم صغار. يقول تعالى ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا * ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا * إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾(المزمل:١٧-١٩)

أين المفر ؟

فإذا ما رأى الإنسان كل ما يحدث أمامه من هذه الأهوال والفظائع يتساءل ، أين المفر من كل هذا ، إلى أين يذهب لينجو بنفسه.

يقول تعالى ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ * وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ * وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ * يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ * كَلَّا لَا وَزَرَ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴾ (القيامة:٧-١٢) .

يفر المؤمن من أهله :

إن شدة الهول والرعب والخوف والعذاب ، يجعل كل فرد يومئذ لا يدور فى رأسه إلا شىء واحد فقط ، هو أن ينجو بنفسه فيفر من أهله جميعا ، من أخيه وأمه وأبيه وزوجته وبنيه ، فكل واحد منهم مشغول بنفسه كيف ينجو بها .

يقول الله تعالى ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ (عبس:٣٣-٣٧) .

ماذا يحدث للمؤمنين ؟

بينما الناس والخلائق أجمعون فزعون مرتعبون حائرون خائفون يحاولون الفرار والنجاة بأنفسهم من هذه الأهوال وهذا العذاب ، ترى عباد الله المؤمنين الصالحين الذين يتقون الله ويخشونه ويعملون الصالحات ويحسنون . الذين يؤدون فرائض الله ويطيعون الرسل ويتبعون ما أمر الله وينتهون عما نهى عنه سبحانه هؤلاء لا يفزعون مما يرون حولهم من أهوال ولا يخافون ولا يحزنون فهم آمنون تحوطهم عناية ربهم الرحيم وتحف بهم الملائكة يبشرونهم بالجنة ويطمئنونهم بأن لهم الجنة

فترى وجوههم منطلقة آمنة ضاحكة مستبشرة بالخير ورحمة الله .. يقول تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ (عبس:٣٨-٤٢) .

ويقول تعالى أيضا ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (الأنبياء:١٠٣). ويقول أيضا سبحانه ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ (النمل:٨٧) .

ماذا يحدث للكافرين ؟

أما الكافرون فإنهم حينما يرون العذاب الذى يحيط بهم من كل مكان ، فإنهم يعلمون أنه الحق الذى وعد به الرسل من قبل ، فيدعون الله تعالى بأن يؤخرهم إلى أجل قريب حتى يجيبوا دعوة الله ويتبعوا الرسل .

يقول الله تعالى ﴿ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ (إبراهيم:٤٤)

ومن شدة الأهوال فى هذا اليوم ترى الكافرين والمنافقين والمشركين يجرون مسرعين هنا وهناك علهم يجدون مخرجا أو ملجأ ، ولكن أين المفر ؟

ترى أبصارهم شاخصة إلى الأمام رافعى رءوسهم إلى السماء ، ومن شدة الخوف والحذر فإن جفونهم لا تريد أن تنطبق أو ترتد ولكن تظل مفتوحة إلى آخرها خوفا ورعبا وحذرا وقلوبهم خاوية .

يقول مالك يوم الدين ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ . مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ (إبراهيم:٤٢-٤٣).

* * *

يوم البعث

النفخة الثانية فى الصور :

بعد الزلزال العظيم ، وتخلى الأرض عما بداخلها ونسف الجبال وانبساط الأرض وتبدلها من الشكل الكروى إلى الشكل الدائرى كالرغيف المستدير المرقق. وبعد أن طويت السماء بما فيها من شموس ونجوم . ترى السماء وقد انفرجت وفتحت فيها أبواب كثيرة للعالم العلوى يخرج منها الغمام وتنزل الملائكة منها تنزيلا مؤكدا ويصبح الأمر كله لله الواحد القهار .

يقول تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلاً * ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَـٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ (الفرقان:٢٥-٢٦) .

بداية البعث :

بعد أن يُصعق كل من فى السموات والأرض ، يُنفخ فى الصور ثانية فَيعادُ الخلق مرة أخرى فى صورة جديدة تماما ، فالأرض تبدلت .

يقول تعالى ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ (إبراهيم:٤٨)

بعث سكان القبور :

بعد سماع النفخة الثانية وتبدل الأرض يبعث الله الأموات ويحييهم مرة أخرى فيقومون لله رب العالمين ، يقول الله تعالى ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (الزمر:٦٨) .

يسمع سكان القبور والأموات فى كل مكان هذه الصيحة المدوية فتوقظهم من ثباتهم ، وتُزوّج النفوس بأن تجتمع كل روح بجسدها فى الأرض أينما كان .

الحديث الشريف : (ما بين النفختين) (١)

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ما بين النفختين أربعون) قالوا يا أبا هريرة أربعون يوما ؟.. قال : أبيت. قالوا : أربعون شهرا ؟ .. قال : أبيت. قالوا أربعون سنة ؟ قال : أبيت . (ثم يُنزل الله من السماء ماءً فينبتون كما تنبت البقل. قال : وليس من الإنسان شىء إلا يبلى إلا عظما واحداً وهو عُجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة.).

وقال رسول الله ﷺ : (كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب (العظم الذى أسفل العمود الفقرى المسمى برأس العصعص منه خُلق وفيه يرُكب). (٢)

وقال رسول الله ﷺ (يُبعث كل عبد على ما مات عليه). (٣) عن عائشة رضي الله عنها : سئل رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله) ؟ (فقال : على الصراط) أى فى الظلمة دون الجسر. (والجسر الصراط). (٤)

وقال عليه الصلاة والسلام (المؤمنون فى وقت التبديل فى ظل العرش).

قال رسول الله ﷺ (يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقىّ ليس فيها علم لأحد). (٥)

---

(١) رواه البخاري ١٥٨/٦ طبعة الشعب ومسلم فى الفتن رقم ١٤١ .

(٢) رواه مسلم فى الفتن رقم١٤٢.و النسائى ١١١/٤ . و ابن حبان رقم ٢٥٧٤(موارد الظمآن).

(٣) رواه مسلم فى صفة الجنة رقم ٨٣ .و أحمد ٣٣١/٣ .و عبد الرزاق فى المصنف رقم ٦٧٤٦ .

(٤) رواه مسلم فى صفات المنافقين رقم ٢٩ .و الترمذى رقم ٣١٢١ و ابن ماجه رقم ٤٢٧٩ .و أحمد ٥١/٦ .

(٥) رواه البخارى ١٣٥/٨ طبعة الشعب و مسلم فى صفات المنافقين رقم ٢٨ و الطبرى فى التفسير ١٦٤/١٤ و الطبرانى فى المعجم الكبير ١٩٢/٦ و ٢١٤ .

(أى أن الأرض يكون لونها أبيض على أحمر من أثر النار وليس عليها أى أثر لمبنى أو جبل) .

عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال : (تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفؤها الجبار بيده كما يكفؤ أحدكم خبزته فى السفر ، نزلاً لأهل الجنة) [1]

والله سبحانه وتعالى قادر على أن يبعث الأموات وأن يجمع عظامهم وملحقاتهم ويعيد خلقهم مرة ثانية بقدرته. حتى بصمات الأصابع ترسم ثانية على أصابع أصحابها مرة ثانية كما كانت تماما .

يقول سبحانه وتعالى ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ * بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ * بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ * يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (القيامة:٣-٦).

كل الأموات أينما كانوا يسمعون هذه الصيحة وهذا النداء الذى يبعثهم من قبورهم وكأنه يأتى إليهم من مكان قريب منهم ، يقول تعالى ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ * إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ (ق:٤١-٤٤) .

الحديث الشريف :

عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ (يُبعث كل عبد على ما مات عليه). قال العلماء معناه يُبعث على الحالة التى مات عليها ، ومثله الحديث الآخر ، (ثم بُعثوا على نياتهم) فالأموات بعد سماعهم الصيحة الثانية ، تتشقق الأرض عنهم فيخرجون مسرعين واجفين ، تأخذهم الدهشة والعجب ثم يعلمون أنه يوم الدين ، يوم القيامة الذى أخبر عنه الرسل ، فيخرجون من الأرض فى كثرة هائلة ، يشبههم الله تعالى بالجراد الكثير المنتشر ، فى جموع هائلة ، على سطح الأرض المنبسط ، كما نرى

---

(١) رواه البخارى ١٣٥/٨ طبعة الشعب ومسلم فى صفة المنافقين رقم ١٨ والبقرى فى شرح السنة ١١٣/٤ .

الجراد بأعداده المهولة وهو رابض على أرض الصحراء اللانهائية الممتدة فى كل مكان يخرج الناس من قبورهم ومن باطن الأرض ، فيدركون أنه يوم الحشر ، إن الأمر جد خطير ، فيحسون بالرهبة والخشوع ، والخوف والإشفاق . فترى أبصارهم خاشعة منكسرة .

يقول تعالى : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ * خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ * مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ (القمر:٦-٨) .

ويقوم الناس من الأحداث مسرعين من القبور جماعات جماعات .

كم لبثوا فى القبور :

ويجدون أنفسهم فى موقف الحشر يتعارفون ويتساءلون فيما بينهم كم لبثوا أمواتا فى قبورهم ، فيقسم المجرمون بأنهم ما لبثوا غير ساعة من الزمن .

يقول تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ (يونس:٤٥) .

ويقول الله تعالى أيضا ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا * يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا * نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾ (طه:١٠٢-١٠٤) .

الحديث الشريف :

* عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : (إنكم ملاقوا الله مشاة حفاة عراة غرلا (غير مختونين).[1]

---

(١) رواه البخارى ١٣٦/٨ طبعة الشعب . ومسلم فى صفة الجنة رقم ٥٧ . وأحمد فى المسند ٢٢٠/١ وابن أبى شيبة فى المصنف ٢٤٧/١٣ .

* عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

(يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين ، واثنان على بعير ، وثلاثة على بعير ، وأربعة على بعير ، وعشرة على بعير ، وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيث باتوا ، تقيل معهم حيث قالوا ، وتصبح معهم حيث أصبحوا ، وتمسى معهم حيث أمسوا).[1]

* عن أبى عمر قال : قال رسول الله ﷺ : (حين يقوم الناس لرب العالمين ، قال يقوم أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه)[2].

* عن المقداد بن الأسود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (تدنى الشمس يوم القيامه من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل ، فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما) .[3]

(قال : وأشار النبى ﷺ بيده إلى فيه) . يقول الله أيضا ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(الروم:٥٥-٥٦)

---

(١) رواه البخارى ١٣٥/٨ طبعة الشعب . ومسلم فى صفة الجنة رقم ٥٩ .وابن ابى شيبة ٢٤٨/١٣. والحاكم فى المستدرك ٣٦٧/٢ .

(٢) رواه البخارى ١٣٨/٨ طبعة الشعب . ومسلم فى صفة الجنة رقم ٦٠ . والترمذى رقم ٣٣٣٦ . وابن ماجه رقم٤٢٧٨ .

(٣) رواه مسلم فى صفة الجنة رقم ٦٢ . ورواه أحمد ٢٥٤/٥ . والطبرانى فى المعجم الكبير ٣٢٢/٨ . انظر الترغيب والترهيب ٣٨٩/٤ .

ماذا يحدث للناس يوم الحشر

ينقسم الناس يوم الحشر إلى ثلاث فئات :

الفئة الأولى : وهم السابقون ... المقربون ...

الفئة الثانية : وهم أصحاب اليمين.

الفئة الثالثة: وهم الكافرون المنافقون والمشركون (أصحاب المشئمة) العصاة الفجرة.

أصحاب الميمنة :

ماذا يحدث لأصحاب الميمنة بعد النفخة الثانية ؟ ! هؤلاء هم المؤمنون حقا الموقنون ، وهم يبعثون يوم القيامة مطمئنين بلا خوف ولا فزع آمنين .

آمنون :

يقول الله تعالى ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾

(النمل:٨٩)

ويقول تعالى فيهم ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ (عبس:٣٨-٣٩)

ويقول جل وعلا ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى * وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ (الفجر:٢٧-٣٠) .

لهم نور :

وتراهم يمشون نورهم يسعى بين أيديهم أمامهم وعن أيمانهم سعداء يبشرون بالجنة . يقول تعالى ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾

(الحديد:١٢)

لا خوف عليهم ولا هم يحزنون :

يطمئنهم الله تعالى فى هذا اليوم العسير بأنهم لن يخافوا مما هو آت ولن يحزنوا على ما فاتهم فى الدنيا .

يقول الله تعالى ﴿ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ * ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ (الزخرف:٦٨-٧٠).

أصحاب المشئمة :

فى هذا اليوم العظيم ، يوم الحشر الهائل ، ترى المجرمين يخرجون من القبور والأجداث سراعاً مهرولين وكأنهم يريدون أن يجتمعوا فى مكان فيه نُصب أو اجتماع عام ، ترى وجوهم خاشعة ترهقها ذلة وانكسار لأنهم يعلمون تماما ماذا ينتظرهم فى هذا اليوم الموعود الذى كانوا به يكذبون .

أذلاء منكسرين :

يقول تعالى ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾ (المعارج:٤٣-٤٤).

لونهم أزرق :

ويمكن تمييز الكفار والمشركين والعصاة والفجرة ، بلون بشرتهم التى تكون زرقاء اللون وذلك لعلمهم بسوء مصيرهم ، فالخوف والقلق والهم والغم يسود وجوههم ، كذلك لكونهم كاظمين الغيظ مما وقعوا فيه .

يقول تعالى ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ (طه:١٠٢).

عُمياً لا يبصرون :

يقول رب العالمين ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ (طه:١٢٤-١٢٦) .

عُميا وبكماً وصُما :

يقول تعالى ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ (الإسراء:٩٧) .

نادمين متحسرين :

فى هذا اليوم العظيم ، حين يرى الكافر سوء مصيره والعذاب الذى أعد له يعض على يديه من الندم والحسرة متمنيا أن لو كان قد اتبع الرسول ويا ليته لم يتخذ فلاناً الملحد الكافر صديقا وخليلا يستمع إلى كلامه ويتبع آراءه ويضله عن الذكر والقرآن والإيمان بالله وبرسوله ، يقول تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً * يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً * لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولاً ﴾ (الفرقان:٢٧-٢٩) .

يتمنون الرجوع إلى الدنيا :

وهم من شدة الذل والانكسار ينكسون رؤوسهم خزيا وهم فى حضرة الله خالقهم وبارئهم ، وقد أبصروا يوم الحشر وما فيه وسمعوا ما يقال يدعون ربهم فى حطة ومسكنة أن يرجعهم إلى الدنيا ليعملوا صالحا بعد أن شاهدوا وأصبحوا موقنين، ولكن فاتتهم الفرصة ولم يستمعوا إلى تحذير الأنبياء وإنذارهم بهذا الموقف ، يقول الله تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ (السجدة:١٢) .

كاظمين الغيظ :

يقول الله تعالى ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (غافر:١٨) .

أعداء بعض :

حتى الأصدقاء والأخلاء فى الدنيا لما رأوا سوء المآل وما أوقعوا أنفسهم فيه ، كرهوا بعضهم بعضاً لأنهم أضلوا بعضهم البعض وكلٌّ يظن أن صديـقـه هـو سبب ما هو فيه ، فتبدو العداوة والبغضاء بينهم .

يقول رب العالمين ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾
(الزخرف:٦٧)

يتمنون أن لو كانوا ترابا :

يوم القيامة يتمنى الكافر أن لو كان ترابا حين يرى ما قدمت يداه من عمل سيىء ويعلم أن مصيره النار حتى لا يُحاسب ، يقول تعالى ﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾ (النبأ: ٤٠) .

* * *

الحساب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (النحل:١١١)

لماذا الحساب ؟

إن الله تعالى لم يخلق الناس عبثا ، ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (المؤمنون:١١٥) . وكذلك لم يخلق الله السماء والأرض وما بينهما باطلاً كما يظن الكافرون ، ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ (ص:٢٧) .

وهل يجعل الله تعالى المؤمنين الذين عملوا الصالحات فى الدنيا وصبروا وصابروا وجاهدوا فى الله حق جهاده كالذين أفسدوا فى الأرض ولم يؤمنوا بالله ولا برسله وفجروا وفسقوا واقترفوا الموبقات على أشكالها ولم يخشوا الله ولم يستحيوا منه ، يقول الله تعالى ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ (ص:٢٨) .

لا بد إذاً من الحساب والجزاء وإلا فإن المؤمن التقى يصبح كالفاسد الفاجر الكافر وليس هذا بعدل على أى مقياس أو أى منطق ولا فى أى شريعة كانت . فإن الله تعالى خلقنا على الأرض ليختبرنا وليبلونا أينا أحسن عملاً . وليعلم من يؤمن به وبرسله بالغيب ووضعنا فى الحياة الدنيا يشبه إلى حد ما حالة التلاميذ وطلاب العلم فإنهم يحصلون العلوم ويستذكرون فمنهم من يجتهد ويسهر ويعرق وينفق ، ومنهم من يلعب ويهمل ويتكاسل ويستهتر ، ثم فى نهاية العام الدراسى تظهر نتيجة التحصيل والعمل فمن ذاكر ينجح ومن أهمل يرسب ، طبعا مع الفارق الكبير ،

فالطالب أمامه فرص كثيرة لإعادة التحصيل والدخول فى الامتحان مرات ومـرات أما فى الآخرة فهى القاضية ، من آمن واجتهد وعمل لآخرته نجح وفلح وكان من أصحاب الجنة المسعدين وأما من لم يعمل لآخرته وإنما كان جل همه أن يعمل للدنيا فإنه يسقط سقطة أبدية ، لا رجوع منها ، والحساب هو الامتحان حيث تجمع الدرجات فمن ثقلت درجاته فى الميزان نجح ودخل الجنة ومن خفت درجاته فى الميزان سقط وشقى فى جهنم وبئس المصير ، إلى أبد الآبدين .

فالحساب هو الميزان ، توزن الأعمال الصالحة والأعمال السيئة ، فمن ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هى نار حامية .

يقول تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ (القارعة:٦-١١) .

وقد علمنا من قبل أن الملائكة تسجل أعمال الإنسـان فى كـتاب خـاص به ، لا يغادر كبيرة ولا صغيرة من أعمال الإنسان إلا أحصاها .

الحديث الشريف :

عن عائشة ﵂ عن النبى ﷺ : قـال (ليـس أحـد يحـاسب إلا هـلك قلت يا رسـول الله أليس الله يقول : « حسابا يسيرا» ؟ قال : ذاك العرض ولكن من نوقش الحساب هلك) [١].

* * *

---

(١) رواه البخارى ٢٠٨/٦. ومسلم فى صفة الجنة رقم ٨٠ . والطبرى فى تفسيره ١٨٩/٥ . وانظر الترغيب والترهيب .

حساب الأمم :

فى هذا اليوم المهيب الذى يجتمع فيه الخلق منذ خلق الله تعالى آدم حتى قيام الساعة ، ولسوف يكون عدد الناس مهولا لا يعده ولا يحصيه إلا الله ، فى هذا اليوم يوم الجمع ، تجتمع الأمم كلها وهى جاثية على الأرض ، كل أمة فى مكانها ، فأمة الإسلام أمة محمد ﷺ فى مكان خاص بها مجتمعة ثم أمة عيسى عليه السلام مجتمعة فى مكانها ، وأمة موسى عليه السلام ، وأمة إبراهيم عليه السلام ، وأمة نوح عليه السلام ، وهكذا كل الأمم تراها مجتمعه كل أمة وحدها فى مكان خاص بها ، يقول الله تعالى ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾
(الجاثية:٢٨)

وتشرق الأرض بنور ربها العظيم ، وتشقق السماء بالغمام ، وتنزل الملائكة ويصبح الأمر كله لله الواحد القهار ، يقول تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا * الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴾
(الفرقان:٢٥-٢٦)

ثم يأتى الله جل جلاله فى ظلل من الغمام (وهو غمام غير الغمام الذى نعلمه فى الدنيا فهو أبرد وأطيب وهو الغمام الذى جاءت فيه الملائكة يوم بدر يقول تعالى ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ (البقرة:٢١٠). ويقول سبحانه وتعالى ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ (النبأ:٣٨).

أى أن الملائكة وعلى رأسهم الروح الأمين جبريل عليه السلام يقومون لله جل جلاله مصطفين خاشعين ، لا يتكلم أحد منهم إلا من أذن له الرحمن ونطق بالصواب وحتى يسير العدل مجراه ولا يعذب أحد لم يبعث إليه أو إلى أمتة رسول ، يقول تعالى ﴿ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء:١٥).

فإن الله تعالى يأمر فيؤتى بالأنبياء والرسل كل نبى مع أمته ، ليسأله الله تعالى أمامهم ماذا أُجِيبوا من أممهم هل آمنوا بكم أم لا وهل أبلغتم رسالات ربكم ؟ يقول تعالى﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾(الزمر:٦٩-٧٠)

ويجمع الله تعالى الرسل والأنبياء ويسألهم ماذا أُجِبْتُم من أقوامكم بعد أن أبلغتموهم رسالاتى فيقولون لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب . يقول تعالى ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾

(المائدة:١٠٩)

كل أمة مع إمامها :

ثم يؤتى بكل أمة برسولها أو إمامها ليسأل عن أعمالها أما الكافرون فلا ينطقون ولا يسمح لهم فيعتذرون . يقول تعالى﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ (الإسراء: ٧١) .

أصحاب الأديان المختلفة :

والله سبحانه وتعالى يفصل بين أصحاب الأديان المختلفة ويبين لهم ما كانوا فيه يختلفون ، يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾

(الحج:١٧)

حساب الناس عامة :

ثم يبدأ فى حساب كل إنسان وحده وتوضع الموازين العادلة فلا تظلم نفس شيئا حتى ولو كان ما تفعله يبلغ وزن الذرة فى دقتها وصغرها المتناهى .

يقول الله تعالى ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ (الأنبياء:٤٧) . ويقول تعالى ﴿ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (النحل:١١١) .

وعند الحساب : لا توجد اعتبارات القرابة والمحسوبية كما يحدث فى الحياة الدنيا ، وإنما لكل امرئ ما عمل من خير أو شر ، لا يظلم فتيلا ، وإنما الميزان العدل فمن ثقلت موازينه بأعماله الصالحة أفلح ومن خفت موازينه منها خسر كل شىء ، يقول تعالى ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ * فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾(المؤمنون:١٠١-١٠٤)

لا ينفع مال ولا بنون :

لا المال ولا البنون ولا كنوز الأرض كلها تنفع يوم الحساب ، وإنما الذى ينفع صاحبه وينجيه من الهلاك المحقق هو القلب السليم ، المؤمن الصالح ، المسلم لله ، يقول الله تعالى ﴿ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء:٨٧-٨٩) .

ويقول الله تعالى ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص:٨٣).

سيادة العدالة :

وتسود فى هذا اليوم العدالة ، فلا بخس ولا ظلم وإنما كله بالميزان الحق فالحسنة جزاؤها خير منها ، والسيئة بمثلها وجزاؤها حريق جهنم .

يقول المولى عز وجل ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ * وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النمل:٨٩-٩٠)

لا يحمل أحد أوزار أحد :

وفى يوم الحساب كل إنسان مسئول عن أعماله السيئة التى عملها فى حياته الدنيا ، فلا الوالد يحمل بعض سيئات وأوزار ابنه ليخفف عنه ولا الابن بحامل شيئا من سيئات والده ليخفف عنه يقول الله مالك يوم الدين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ (لقمان:٣٣) .

ويقول سبحانه فى هذا المعنى أيضاً : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (فاطر:١٨).

حساب المؤمنين :

وهؤلاء هم الذين ثقلت موازينهم ، أى أن أعمالهم الصالحة من إيمان بالله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وقضائه وقدره ، ومن إقامة شعائر الدين وهى العبادات (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا) والإحسان إلى الناس وعمل الصالحات فى كل وقت وفى كل ظرف . فإن هذه الأعمال توزن بميزان الله العادل فمن ثقلت موازينه فهو إلى جنات الخلد بعد أن يحاسب حسابا يسيرا ، يقول تعالى ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ (القارعة:٦-٨) وهؤلاء يلقون كتابهم (الذى فيه تسجيل صادق لكل أعمالهم فى الحياة الدنيا.) يلقونه بيمينهم ، وهو دليل اليمن والنجاة فيفرح المؤمن وتغمره السعادة وينادى فى الناس ، هذا هو كتابى فاقرأوه ، إنى كنت أظن أنى سأحاسب حسابا عسيرا ولكنى وجدت حسابى يسيرا جدا فيدخل الجنة راضا سعيدا فرحا مسرورا ، يقول تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴾ (الانشقاق:٧-٩) .

حساب الكافرين

قد علمنا فى الجزء الذى تكلمنا فيه عن تسجيل أعمال الإنسان فى الدنيا ، أن الله تعالى جعل ملائكة تسجل أعماله فى كتاب خاص به يُعرض يوم القيامة ، يقول الله تعالى ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (المجادلة:٦-٧). وأول ما يبدأ حساب الكافر أن يقدم إليه هذا الكتاب الذى سجلته الملائكة لأعماله ، فيلقاه منشورا أمامه ، يقول تعالى ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(الجاثية:٢٩)

ثم يأخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره وهذا دليل على أنه بعيد عن رحمة الله ، فيقرأ كتابه الذى حوى كل أعماله فى الحياة الدنيا صغيرها وكبيرها ، فيندم أشد الندم على ما فرط فى حق الله ويتمنى أن لو لم يؤت كتابه ، ولم يدر ما حسابه كما يتمنى لو أن موتته كانت القاضية وليس بعدها بعث ولا قيام كما يتمنى أن لو كان ترابا حتى لا يتعرض لهذه الأهوال ، يقول الله تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ * مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ * هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴾ (الحاقة:٢٥-٢٩) .

ويقول سبحانه وتعالى ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا * إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴾

(النبأ:٣٩-٤٠)

وكل إنسان بصير على نفسه يعلم تماما ما عمل إن كان خطأ أم صواباً . إن كان معصية أو حسنة حتى ولو ألقى معاذيرا وتبريرات يبرر بها ما فعل ، ولكنه هناك

فى داخله شىء ما يعلم تماما إن كان قد أخطأ أم أصاب ، وهو البصيرة التى خلقها الله لكل إنسان ، يقول تعالى ﴿ يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ * بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾ (القيامة:١٣-١٥) .

وحين يرى الكافر ما يحمل من السيئات يتمنى لو أن بينها وبينه بعدا شاسعاً ، ويا ليته لم يفعلها لما علم سوء مصيره .

يقول تعالى ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (آل عمران:٣٠)

وحين يرى المجرمون الكتاب الذى سجلت فيه أعمالهم تراهم مشفقين مما جاء فيه وما سجل به من أعمالهم الإجرامية فيولولون ويتعجبون كيف أن هذا الكتاب لم ينس شيئا مما عملوه فى الدنيا صغيرا كان أو كبيرا ، بل أحصاه إحصاءً فيجدون ما عملوا حاضرا أمامهم بالصوت والصورة ، حينئذ يتبين لهم أن الله تعالى لا يظلمهم . فها هو ما عملوه يشاهدونه ويسمعونه بأنفسهم وإنما هم الذين ظلموا أنفسهم ، يقول الله رب العالمين ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (الكهف:٤٩) .

هؤلاء الكفار يتعجبون ويتساءلون ، أين هى أعمالنا الطيبة فى الحياة الدنيا ، لقد فعلنا كذا وكذا ، من الطيبات وأحسنا إلى فلان وفلان ونفعنا المجتمع الإنسانى باختراعات ومؤلفات كثيرة تنفع الناس ونفعتهم فعلاً ، أين هى إذاً ؟ ولماذا لم يحسب حسابها يوم الحساب ؟ لقد نسوا أن من يعمل خيرا فى الدنيا وهو كافر بالخالق لا يعترف بربوبيته ووحدانيته . فإنه سبحانه وتعالى يجازيه عن أعماله الطيبة بالجزاء المناسب وهم أحياء فى الحياة الدنيا فينالون الشهرة والثناء والمال والترف والنعيم فى حياتهم ولكن ليس لهم فى الآخرة من نصيب فقد أصبحت أعمالهم الطيبة

هباء لا وزن له ، يقول الله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا * يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا * وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا * أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾(الفرقان: ٢١-٢٤)

الكفار .... يوم القيامه

لقد تساءل الكفار عن موعد يوم القيامة موجهين سؤالهم إلى رسول الله ﷺ ، فأخبره الله تعالى أن يجيبهم بقوله ، إن هى إلا صيحة عظيمة واحدة تفاجئهم وهم منشغلين فى حياتهم اليومية يتخاصمون ويتصالحون ، فلا يستطيعون الرجوع إلى أهليهم ومنازلهم ليوصوا بأولادهم ، إذ تصعقهم هذه الصيحة الحادة التى تصخ آذانهم فيموتون فى الحال ، وبعد موتهم ينفخ فى الصور(قيل إن إسرافيل وهو ملك عظيم ينفخ فى البوق كناية عن الاستدعاء) فإذا بكل الأموات يسرعون من قبورهم ويبعثون أحياء ، كما لو كانوا يستيقظون من نومهم ، ويفاجأون بأنه يوم البعث والنشور ، فيقولون يا ويلتنا من أيقظنا من نومنا. هذا هو ما وعد به الرحمن وصدق الأنبياء والمرسلون هذا هو يوم الحساب .

يقول تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ * وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ * قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ * إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ * فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾
(يس:٤٨-٥٤)

تشهد عليهم أيديهم وأرجلهم :

فى يوم القيامة يغلق الله أفواه الكافرين وتتكلم أيديهم وأرجلهم شاهدة عليهم بما كانوا يقترفون من آثام ، يقول تعالى﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (يس:٦٥) .

لا تقبل أعذارهم :

يقول تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(التحريم:٧)

يُحجبون عن الله فلا يرونه تعالى :

لا يرون نور ربهم ولا يرون وجهه الكريم . يقول تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ ٱلْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾

(المطففين:١٥-١٧)

لا ينظر الله إليهم ولا يكلمهم ولا يزكيهم :

يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(آل عمران:٧٧)

يتبرأ منهم الذين أضلوهم :

يقول تعالى ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (البقرة:١٦٦-١٦٧) .

يحملون ذنوبهم وذنوب من أضلوهم :

يقول تعالى ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (النحل:٢٥) .

ويقول تعالى أيضا ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾

(الأنعام:٣١)

يجيئون إلى الله فرادى :

يجيء كل واحد إلى الله يوم القيامة فرداً كما خلق أول مرة ويترك الكـفـار مـا استخلفهم الله فيه فى الدنيا من عمل ومسكن وأهل ومال وليس معهم شفعاؤهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله ويجعلونهم شركاء لله . يقول تعالى ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (الأنعام:٩٤)

لا يدخلون الجنة حتى يدخل الجمل فى ثقب الخياط (هناك استحالة) :

يقول تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ * لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ (الأعراف:٤٠-٤١) . ولما كان الجمل يستحيل عليه أن يدخل من فتحة فم الإبرة أو الخياط فمعنى ذلك أن هناك استحالة تامة فى دخول المكذبين الجنة ولهم فراش من النار ومن فوقه غطاء من نار أيضا .

لا يُقبل إيمانهم يوم القيامة :

ويوم القيامة حين تدكَ الأرض دكاً ويحدث الزلزال العظيم نهارا أو ليلا وهـو ما كان يستعجل به الكافرون .

وحين يرون العذاب الذى أنذرهم به الرسل ، يؤمنون بالله وبما وعد به الرسل ، ولكن بعد فوات الأوان بعد أن يروا بأعينهم ويتأكدوا بأنفسهم ، وهو ما لا يُقبل منهم، فقيمة الإيمان هى كونه إيمانا بالغيب ، فلما صار يقينا آمنوا فلا يقبل منهم حينئذ يقول تعالى ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ * أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ ۚ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ * ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (يونس:٥٠-٥٢) .

كما أن الإيمان كان فى الدنيا هو المطلوب منهم فلما انتهت الحياة الدنيا وانقضى أمرها يؤمنون ! ولكن يحال بينهم وبين الإيمان الذى يشتهون فيؤخذون من مكان قريب فلا مهرب منه ، ويقولن آمنا ، ولكن هيهات أن يُقبل منهم .

يقول تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ * وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ * وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ * وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴾ (سبأ:٥١-٥٤) .

يحشرون على وجوههم عمياً وبُكما وصماً :

يقول تعالى ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا * ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ (الإسراء:٩٧-٩٨) .

آلهتهم تشهد ضدهم :

وفى يوم الحشر يسأل الله ما كانوا يعبدون ءأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم ضلوا السبيل. قالوا سبحانك ما ينبغى لنا أن نتخذ أولياء من دونك ولكنك متعتهم فى الدنيا وآباءهم بالمال والسلطان فنسوا الذكر وفسدوا .

يقول تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ * قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا * فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾

(الفرقان:١٧-١٩)

يتحاور المستضعفون مع المستكبرين فى يوم الحشر ويتلاومون ويندمون :

ويقف الكافرون عند ربهم يتبادلون الأقوال والتهم فيقول المستضعفون للمستكبرين لولا أنتم لكنا مؤمنين ويرد عليهم المستكبرون ينفون عن أنفسهم أنهم هم الذين صدوهم عن الإيمان بعد إذ جاءهم ويتخاصمون يقول تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ (سبأ: ٣١-٣٤).

يرون من العذاب ما لم يكن يخطر لهم على بال :

لو أن للذين ظلموا أنفسهم بالكفر أو بالشرك ما فى الأرض جميعا ، من كل شيء ومثله معه لافتدوا به أنفسهم من سوء العذاب يوم القيامة فإنه سيكون من الشدة والسوء ما لم يخطر لهم على بال ، وبدت لهم سيئات ما عملوا فى الدنيا وأحاط بهم العذاب ما كانوا به يستهزئون ، وهم فى الدنيا ، يقول تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ * وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾

(الزمر: ٤٧-٤٨)

وتقول كل نفس كفرت بالله وظلمت نفسها بالشرك حينما ترى العذاب ، يا أسفى على ما فرطت فى جنب الله وحقه ، فإنى كنت فى الدنيا من المستهزئين بدينه وبرسالته أو تقول لو أن الله وفقنى فى الدنيا للهدى والإيمان لكنت من الذين

وقوا أنفسهم من العذاب ، بالإيمان والعمل الصالح أو تقول هذه النفس المذنبة حين تشاهد العذاب الرهيب ليت لى رجعة إلى الدنيا فأكون فيها ممن يحسنون العقيدة والعمل .

يقول الله تعالى ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ * أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ * أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ * أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ * بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ * وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ * وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ (الزمر:٥٥-٦١) .

* * *

الكفار فى النار

لقد حذر الله تعالى الذين يكفرون بالله وملائكته وكتبه ورسله ويوم الحساب ، حذرهم وأنذرهم بعذاب الحريق وكرر سبحانه وتعالى وأعاد التحذير والإنذار ، وعذبهم فى الحياة الدنيا بالعذاب الأصغر لعلهم يرجعون .

ويُنبههم بأنه لن يغفر لهم أبداً ولن يدخلوا الجنة أبداً وأنهم سيخلدون فى النار فلم يبالوا ، وأخذوا يلحدون فى آياته ويستهزئون برسله وينكرون البعث والحساب وعاشوا فى الحياة الدنيا واستحبوها ولم يحاولوا أن يتدبروا القرآن وما جاء به من آيات بينات . بل قصروا كل همهم على علوم الدنيا الفانية ، حتى لم يعترفوا بالآيات المعجزات التى تقابلهم وتتحداهم فى علمهم الدنيوى ومعملهم والتى يعلمون تماما بأنها من صنع إله قوى قادر عالم لا يبلغ علمه أحد ولا يدرك عظمته أحد ، ومع ذلك يصرون على الكفر به وبرسله وبآياته ، ومع كل ذلك لم يظلمهم ربهم وخالقهم العادل الرحيم فى نيل أجرهم عن أعمالهم الصالحة فى الدنيا ، بل أعطاهم جزاءهم عنها فى الدنيا ومتعهم وأترفهم ومد لهم فى الرفاهية والحياة المنعمة وأكثر أموالهم وأولادهم ونفوذهم وسلطانهم ، حتى إذا ما استوفوا أجلهم الذى حدد لهم على الأرض وماتوا وهم يحسنون الظن بأعمالهم ، لم يجدوا مما عملوا من الطيبات شيئا ، وإنما وجدوا الله أمامهم ليحاسبهم على كفرهم وشركهم وظلمهم وما كانوا يعملون فى الدنيا من السيئات والآثام ولن يغفر الله لهم ولن يتوب عليهم أبداً .

يقول الله تعالى ﴿ . . . إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ . . ﴾ (الزمر:٥٣) فالشرك ظلم عظيم وهلاك شديد ، يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ (النساء:١١٦) .

وعلى ذلك فقد حقت عليهم كلمة العذاب ، أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين !!

إذاً فالنار أعدها الله تعالى للكافرين والمشركين والمنافقين عقوبة خالدة إلى أبد

الآبدين ما دامت السموات والأرض ، فلم يظلمهم الله شيئا وإنما كانوا أنفسهم يظلمون بالكفر والشرك والنفاق .

يقول تعالى ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ * ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾

(فصلت:٢٧-٢٨)

النــــار

ما هى النار ؟ وما شكلها ؟ وكيف أعدت لتكون مثوًى وداراً للكافرين والمشركين والمنافقين ؟ ومن هم أهل النار ؟ وكيف يُنادى عليهم ليُساقوا إليـــها ؟ ما شكلهم وسيماهم ؟ وما هى حالتهم الجسدية والنفسية وماذا يأكلون وماذا يشربون ما هى ثيابهم وفرشهم وغطائهم ، وماذا يقولون ويتكلمون فى النار .. إلخ .

أسماء النار : للنار أسماء كثيرة أوردها القرآن الكريم وذكر منها :

جنهم :

فيقول تعالى ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (هود:١١٩) .

والحطمة :

وهى التى تحطم الأجساد والقلوب وهى دائمة التوقد والاشتعال ونارها تصل إلى الأفئدة والقلوب وتحيط بها وهى تعلم ما فيها من ذنوب وآثام .

وهى مخصصة لكل من يُعيب الناس بالإشارة أو بالعبارة ويتكلم فى أعـراض الناس ، ومن يجمع المـال الكثير ويعـدده افتخـارا بـه يظـن أن مالـه يبقيـه فـى الـدنيا مخـلداً ، وللحطمة أبواب مؤصدة على أهلها الموثقين فيها والمشدودين إلى الأعمـدة الممدودة فلا حركة لهم فيها ولا خلاص منها .

يقول تعالى ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * ٱلَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُۥ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ * كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ * نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ * ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴾ (الهمزة:١-٩) .

سقر :

وهى شديدة النار لا تبقى ولا تذر وهى من شدة الحرارة تلفح البشرة وتسود الجلد وعليها تسعة عشر ملكاً يلون أمرها وتعذبون أهلها .

يقول تعالى ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ (المدثر:٢٦-٣٠) .

ويقول تعالى ﴿ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ * فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ * قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ * حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴾ (المدثر:٣٩-٤٧) .

أوصاف النار (جهنم) :

الحديث الشريف : عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : (يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يحدونها) [١].

لها مبنى وأعمدة وأبواب :

فمنها ما هو بناء له أبواب تُغلق وفيها من الداخل عُمد ممددة يُوثق بها المعذبون المجرمون فلا يستطيعون حراكا.

يقول تعالى ﴿ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ * نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ * ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴾ (الهمزة:٤-٩) .

(١) الحديث صحيح رواه الحاكم في المستدرك ٥٩٥/٤ وصححه ووافقه الذهبي انظر تلبيس إبليس .

فيها ظلٌ ذو ثلاث شعب :

وهو دخان عظيم ذو ثلاث شعب ذو حرارة عظيمة ليس بظليل ولا يغنى عن اللهب يقول تعالى ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ * ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ * لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴾ (المرسلات:٢٩-٣١) .

ترمى بشرر ضخم عظيم :

فالنار يُقذف منها شرر كبير كالقصر فى حجمه لونه أسود يميل إلى الاصفرار كالجمال السود التى يميل لونها إلى الاصفرار .. يقول تعالى ﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ * كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (المرسلات:٣٢-٣٤) .

عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ (ناركم هذه يوقد ابن آدم جزءا من سبعين ألف جزء من حر جهنم. قالوا والله إن كانت لكافية يا رسول الله . قال : فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها) [(١)].

فيها سموم وجحيم وظل من يحموم :

فيها رياح حارة تنفذ فى مسام الجسم وتحيط به وفيها ماء شديد الحرارة يُصب على الرءوس ، وظل من دخان حار شديد السواد لا بارد يخفف حرارة الجو ، ولا كريم يعود على أحد بالنفع إذا استنشقه.

يقول تعالى ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ * فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ * لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ (الواقعة:٤١-٤٤) .

صوت النار :

للنار صوت منكر كريه كأنما هو شهيق مخيف وهى تغلى غليانا شديدا ، تكاد تتقطع وتتميز من شدة الغيظ والغضب منهم .

---

(١) الحديث صحيح رواه مسلم بلفظه ص ٢١٨٤ . وبلفظ قريب رواه أحمد ٣١٣/٢ وعبد الرزاق رقم ٢٠٨٩٧ . والحاكم في المستدرك ٥٩٣/٤.

يقول تعالى ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ * إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ (الملك:٦-٨) .

وللنار أيضا صوت متغيظ متحفز للإهلاك ، وفيه مثل الزفرات التى تخرج من صدر متغيظ علامة على ما هى عليه من الشدة .

يقول تعالى ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ (الفرقان:١٢) .

يحيط بها سرادق :

أحاط الله تعالى النار بسرادق عظيم مثل السور الكبير يقول تعالى ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (الكهف:٢٩)

لها سبعة أبواب :

للنار سبعة أبواب : كل باب مخصص لطائفة معينة من أهل النار ومستحقيها كل حسب درجته ومرتبته التى تتكافأ مع شره وذنبه وظلمه ، يقول تعالى ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ (الحجر:٤٣-٤٤) .

خزنة النار :

هم ملائكة جعلهم الله تعالى يتولون أمر النار وتعذيب أهلها ، وعددهم تسعة عشر ، يقول تعالى ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ * وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَـٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ (المدثر: ٣٠-٣١) .

مالك : ورئيس خزنة النار والمسئول الأول عنها هو مالك يسأله الكفار أن يطلب من الله تعالى أن يميتهم حتى يستريحوا من العذاب الشديد الأليم .

يقول تعالى ﴿ وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴾(الزخرف:٧٧)

وقود النار :

جعل الله تعالى وقود النار الناس والحجارة أجساد الكافرين والحجارة التى تملأ النار يتولى أمرها ملائكة غلاظ شداد على الكافرين ينفذون أوامر الله بكل دقة ولا يتوانون عن التنفيذ . يقول تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم:٦) .

شجرة النار :

وتنبت فى النار شجرة خبيثة تنبت من النار ، ثمرها يشبه رءوس الشياطين فى قبحه ومنظره وهى مخصصة لإطعام أهل النار مع أنها لا تسمن ولا تغنى من جوع اسمها (شجرة الزقوم) . يقول تعالى ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴾

(الصافات:٦٢-٦٥)

ماء النار :

وبجهنم عين من ماء يغلى شديد الحرارة المتناهية فى الشدة ، يقول تعالى ﴿ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ * لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ * لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴾

(الغاشية:٥-٧)

أهـــل النـــار
الكفار والمشركون والمنافقون

هم الكافرون والمشركون والمنافقون ، أعداء الله ، المكذبون بالرسالات السماوية ، وبالبعث والحساب المستكبرون عن عبادة الله الواحد الأحد ، من الجن والإنس ، يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ (البينة:٦) .

الحديث الشريف :

عن المجاشعي قال : قال رسول الله ﷺ (أهل النار خمسة : * الضعيف الـذى لا زَبْرَ له (لا عقل له) الذين هم فيكم تبعا لا يبتغون أهلاً ولا مالاً .

* والخائن الذى لا يخفى عليه طمع وإن دق الاّ خانه .

* ورجل لا يصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك .

* وذكر البخل والكذب والشنظير الفحاش (السيئ الخلق) . [1]

ويقول تعالى ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ (فصلت:٢٧-٢٨) . ويقول تعالى عن المنافقين ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (النساء:١٤٥) . ويقول تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (التوبة:٦٨) .

---

(١) الحديث صحيح رواه مسلم في صفة الجنة رقم ٦٣ . وأحمد ١٦٢/٤ والطبراني في المعجم الكبير ٣٥٩/١٧ . والبيهقي في السنن الكبرى ٨٧/١٠ .

المناداة على أهل النار يوم الحشر :

ويوم الحشر يقف أهل الدرجات العالية فى الجنة من الأنبياء والصديقين ينادون على من كانوا يعرفونهم بأوصافهم من أهل النار ، فهم يعرفونهم بسيماهم ولهم مميزات وعلامات على أنوفهم تميزهم عن غيرهم ، قائلين لهم لائمين ، ما أفادكم كثرتكم فى الدنيا ولا استكباركم على أهل الدين بسبب تعصبكم وغناكم ، فها أنتم ترون حالهم وحالكم .

يقول تعالى ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ * أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ (الأعراف:٤٨-٤٩) .

سَوْقهم إلى النار : (يُعرفون بسيماهم)

يُعرف الكافرون المجرمون بسيماهم أى بمنظرهم وشكلهم ، وبعد أن ينادى عليهم يؤخذون ويحملون من مقدمة رؤوسهم وأقدامهم ويقذفون فى النار.

يقول الله تعالى﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ * فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ * فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن:٤١-٤٥) .

يُدفعون إلى النار بعنف :

كذلك فإنهم يُدفعون دفعا عنيفا فى قسوة وشدة إلى النار . يقول تعالى ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا * هَـٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ * أَفَسِحْرٌ هَـٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ * ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الطور:١٣-١٦) .

يُساقون إلى جهنم جماعات :

ويساق الذين كفروا إلى جهنم جماعات ، جماعات ، حتى إذا اقتربوا منها فتحت لهم أبوابها ، ليدخلوا منها ، ثم يسألهم خزنتها ألم تكن تأتيكم رسل منكم ينذرونكم عذاب هذا اليوم فيقولون نعم ، يقول تعالى﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَـٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (الزمر: ٧١) .

يسحبون إلى النار بالسلاسل والأغلال فى أعناقهم :

الأغلال تطوق أعناقهم وبالسلاسل الصلبة يسحبون على وجوههم فى الماء الذى بلغ منتهى الشدة فى الحرارة ثم بعد ذلك يُلقون فى النار يصطلون حرها وعذابها يقول تعالى﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَـٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ * فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾

(غافر: ٧٠-٧٢)

حواسهم تشهد عليهم :

ويوم يُحشر الكافرون إلى النار جميعهم أولهم مع آخرهم ليتم إلزام الحجة عليهم ، حتى إذا جاءوا النار وسئلوا عما ارتكبوا من الآثام فى الدنيا أنكروا ما عملوه هنا تشهد عليهم حواسهم ، سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما عملوا فى الدنيا فيسألون جلودهم لماذا شهدتم علينا ؟ قالت أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء ، وهو الذى خلقكم أول مرة من العدم وإليه ترجعون بعد البعث ليحاسبكم على أعمالكم . ولم يكن فى استطاعتكم أن تخفوا أعمالكم القبيحة عن جوارحكم وكنتم تظنون أن الله لا يعلم ما تعملون بسبب إتيانها فى الخفاء . وهذا الظن الفاسد بربكم هو الذى أهلككم وكنتم من الخاسرين .

يقول تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ * فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾ (فصلت:١٩-٢٤) .

ملابس أهل النار :

تقطع لأهل النار ثياب من النار ويصب من فوق رءوسهم الماء الحميم الحار ، الذى يصهر ما فى بطونهم من أحشاء وأمعاء وكذلك فإنه يذيب جلودهم .

يقول تعالى﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴾ (الحج:١٩-٢٠).

ويقول تعالى ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ (إبراهيم:٥٠) .

فراش أهل النار :

الفراش فى جهنم من النار ، والغطاء أيضا من النار جزاء الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والضلال ، يقول تعالى ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الأعراف:٤١) .

طعام أهل النار :

ماذا يأكل الكافرون ، الآثمون ، الظالمون ؟؟

هل يأكلون كما يأكل أهل الجنة كلا . فقد حرم عليهم الرزق والماء إنما اقتصر أكلهم وشرابهم على ثمر شجرة تنبت فى أصل الجحيم اسمها (شجرة الزقوم) إذا ما أكلوه فهو كالمهل يغلى فى البطون فيقطع أمعاءهم يقول تعالى ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ * طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ * كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ * كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴾ (الدخان:٤٣-٤٦) .

ويصف الله تعالى هذه الشجرة الملعونة التى تنبت فى النار بأن ثمارها تشبه رؤوس الشياطين فى قبح منظرها وكراهية رؤيته تشمئز منه النفوس وتجزع ، يقول تعالى ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ (الصافات:٦٢-٦٥) .

ويقول تعالى أيضا ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ * هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴾ (ص:٥٦-٥٨) . ويقول تعالى ﴿ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ * لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ * لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴾ (الغاشية:٥-٧) .

شراب أهل النار :

بعد أن يملأ الكافرون المجرمون بطونهم من ثمر شجرة الزقوم الملعونة ، فإنهم يشربون عليه من ماء الحميم فى نهم وعطش كما تشرب الهيم وهى الحيوانات الشديدة العطش ولكنهم لا يرتوون أبداً . يقول تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ * لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ * فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ * فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ * فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ * هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ (الواقعة:٥١-٥٦) .

كذلك يشربون من ماء الصديد الذى يتجرعونه ولا يسيغون طعمه يقول تعالى ﴿ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ (إبراهيم:١٥-١٧) .

خلود الكفار فى النار ولا يموتون فيها ولا يحيون :

ويمكث الكفار والمشركون والمنافقون فى النار أبداً لا يخرجون منها بل يخلدون فيها إلى ما شاء الله .

يقول تعالى﴿ .. وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ (إبراهيم:١٧) .

ويقول تعالى أيضا ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ (طه:٧٤)

حال أهل النار الجسدية والنفسية : أهل النار دائما فى حالة سيئة .

الذل والمهانه :

يُرثى لهم من شدة الذل والتعب والشقاء والإرهاق الشديد والمهانة التى ما بعدها مهانة .

فالوجوه تظهر على قسماتها الذلة والمهانة من قسوة ما تلاقيه من عذاب فى النار ، إذ النار تحرق جلودهم وأفئدتهم والإرهاق الشديد والعمل القاسى الذى يطلب منهم ، والماء الحميم الذى يشربونه وهو يغلى يقطع أمعاءهم ويصهرها والطعام الذى يأكلونه قبيح الشكل والمنظر والطعم منفر تشمئز منه النفوس ومهما أكلوا منه فإنهم لا يشبعون فهو عديم الفائدة فلا يشبع من جوع ولا يسمن ولذلك فإنهم هزال الأبدان نحاف وذلك كله بجانب المعاملة القاسية الغليظة التى يعاملهم بها خزنة النار الذين يفعلون ما يؤمرون فلا يرحمونهم ولا يشفقون عليهم ، فما أشده من كرب وما أعظمه من ضيق . يقول تعالى ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ * لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ * لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴾ (الغاشية:١-٧) .

ليس لهم ولى ولا نصير :

هم فى النار وعذابها الشديد الأليم ، ليس لهم ولى يحتمون به ولا نصير يلجأون إليه ولا صاحب يبثونه شكواهم وهمهم وإنما وحدة وإهمال ليس لهم أهل ولا أحباء ولا أصدقاء وإنما يشملهم الحقد والكراهية والبغض والإهانات البالغة والعذاب الشديد . يقول الله تعالى ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (الأحزاب:٦٥) . محجوبون عن وجه ربهم : يقول تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ (المطففين:١٥) .

مقرنين فى الأصفاد :

ومن مظاهر الذل والمهانة النفسية والجسدية أن تراهم مشدودين بالأغلال مع قرنائهم من الشياطين ، وأجسادهم مطلية بسائل من القطران كما لو كان ملابس لهم على أجسادهم ، وتعلو وجوههم النار وتغشاها ذلك جزاء لهم بما فعلوا فى الدنيا والله سريع الحساب .

يقول تعالى ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ * لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾

(إبراهيم:٤٩-٥١)

وجوههم سوداء مظلمة :

وهم فى موقف الذى لا يجد مخرجا مما هو فيه وأن ليس له من الله من عاصم ترهقهم الذلة والمهانة والتحقير ، وترى وجوههم وقد غشيتها النار فتفحمت واسودت كأنما أصبحت قطعة مظلمة من الليل الأسود الحالك . يقول تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ (يونس:٢٧) .

لهم زفير مخنوق :

ومن العذاب النفسى الأليم أنهم لا يسمعون مما حولهم شيئا يسرهم ولهم زفير (وهو الصوت الخارج من صدورهم) له صوت مخنوق مما يلاقونه من الضيق والهم ، يقول تعالى ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ (الأنبياء:١٠٠) .

أذلاء ينظرون من طرف خفى :

وها هم يعرضون على النار خاشعين من الذل ينظرون من طـرف خـفـى ولا يجرؤون على النظر بملئ العيون رافعى الرأس وإنما الذل والخوف والخزى يجعلهم منكسين أذلاء حقراء ينظرون من جانب أعينهم فى استخفاء حتى لا يلحظهم

أحد وهم يشعرون بالخسران المبين ، بعد أن خسروا أنفسهم وخسروا أهليهم الذين هم عنهم مبعدون فلا يسعدون بقربهم ولقائهم كما كانوا فى الحياة الدنيا . يقول ربنا جل جلاله ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ * وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ * وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴾ (الشورى:٤٤-٤٦) .

الإحساس بالندم :

والإحساس بالندم الشديد يمزق قلوبهم حينما يرون ما هم فيه من العذاب المهين فى حين أنهم كانوا يستطيعون دخول الجنة لو آمنوا .

يقول الله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (يونس:٥٤)

ألوان العذاب فى النار :

إن عذاب النار ، هو عذاب أليم ، شديد غليظ مهين دائم لا يتوقف ، ولا يخفف عن المجرمين ، عذاب بدنى ونفسى ، ففى جهنم هذا المكان الواسع الكبير الذى لا يضيق برواده بل يقول هل من مزيد يقول تعالى ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ (ق:٣٠) .

هذا المكان المحاط بالأسوار والسرادقات والذى له سبعة أبواب هذا المكان الملىء بالحجارة المتقدة الدائمة الاشتعال ، هذا المكان الذى يشرف عليه ملائكة غلاظ شداد هذا المكان الذى فيه درجات من العذاب ما بين الأعلى والأسفل هذا المكان الملىء بالكثير من معدات التعذيب ووسائله والتى لا تخطر على بال الشياطين أنفسهم .

هذا المكان الذى تنبع فيه عيون من الماء الشديد الحرارة . هذا المكان الذى تنبت فيه شجرة خبيثة هى شجرة الزقوم التى تشبه ثمارها رءوس الشياطين فى القبح والبشاعة والأشواك التى لا تشبع من جوع ولا تسمن آكلها ، هذا المكان الذى أعد للذين كفروا بربهم وخالقهم العظيم ، وللذين أشركوا فى عبادته آلهةً أخرى . هذا المكان الذى أعد للمتكبرين الذين يرفضون أن يسجدوا للخالق الجبار إلى هذا المكان جهنم ، يسحب الكفار والمشركون والمنافقون على وجوههم وهم مقرنين بالأصفاد والأغلال فى أعناقهم ويدخلون إليه من أبواب سبعة أعد لكل فئة من المجرمين باب مخصوص يتناسب مع جزمهم إلى هذا المكان يقذف المجرمون الكفار والمشركون بقوة وعنف فيكبكوا إليه من عل ، حتى يستقرون فى وسط النيران المتأججة التى تحرق وتحطم وتشوى وتصهر يأتيهم الموت من كل مكان ولكن لا يموتون . فى هذا المكان يرى الكفار والمشركون والمنافقون من العذاب ألوانا متعددة لا تخطر على قلب جنى عتيد . فالموت يحيط بهم من كل مكان ويتجه إليهم ويرعبهم ولكنه لا يميتهم بل يجعلهم يموتون فى اليوم مائة مرة ، ولكن لا يُقضى عليهم فيستريحون بل هم فيه أحياء معذبون مخلدون فيه أحياء يشعرون بالعذاب ويصرخون ويستغيثون ولا مجيب وإذا عطشوا يشربون من ماء صديد ، يقول الله تعالى ﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ (إبراهيم:١٥-١٧) .

الحديث الشريف :

عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : (يُدخل الله أهل الجنة الجنة ويدخل أهل النار النار ثم يقوم بينهم مؤذن فيقول : يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت ، كل خالد لما هو فيه) [1].

---

(١) الحديث صحيح رواه مسلم في الإيمان رقم ٣٠٤ وفي صفة الجنة رقم ٤٢ صـ٩ ــ ٢١٨ وبلفظ قريب رواه البخاري ١٢/١ طبعة الشعب . والطبراني في المعجم الصغير ١٧/٢.

لباسهم من نار ويصب من فوق رءوسهم الحميم المغلى ولهم مقامع من حديد :

تُطلى أجسادهم بالقطران المشتعل بالنار كما لو كانت ثيابا تحيط بأجسادهم ويصب من فوق رءوسهم الماء الحميم الشديد الحرارة ، فيصهر جلودهم وما فى بطونهم من أحشاء ، ثم تعاد سيرتها الأولى ليتجدد العذاب .

وكلما أحسوا بالضيق والغم مما هم فيه من العذاب حاولوا الخروج من النار ، فتضربهم ملائكة الجحيم بقضبان من الحديد ليرجعوا إلى مكانهم من النار المحرقة قائلين لهم ارجعوا إلى النار جزاء كفركم وإلحادكم .

يقول رب العالمين ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ (الحج:١٩-٢٢)

يلقون فى مكان ضيق من النار وهم مقرنين فى الأصفاد :

يُلقى الكافرون المجرمون إلى مكان ضيق من النار يتناسب مع جرمهم وأيديهم مقرونة إلى أعناقهم بالأغلال وينادون بأعلى صوتهم يطالبون بإهلاكهم والقضاء عليهم ليستريحوا من شدة العذاب .

يقول رب العالمين ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا * إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا * وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا * لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ (الفرقان:١١-١٤) .

يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم :

وهؤلاء الكفار المجرمون يحاطون بالعذاب من كل مكان ، من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، ويقول لهم الملك المكلف بهم ذوقوا ما كنتم تقترفون من الآثام والمعاصى . يقول الله تعالى ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ * يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (العنكبوت:٥٤-٥٥)

ويقول تعالى أيضا ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ (الزمر:١٦) .

الحديث الشريف :

عن سمرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (إن منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه إلى حجزته ، ومنهم من تأخذه إلى عنقه) [١].

عذاب الذين يكنزون الذهب والفضة :

والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله ، إنما هم كافرون عاصون لأوامر الله تعالى الذى لا يحب كنز الأموال وتجميدها وإنما يأمر المؤمنين به بإنفاقها فى سبيله ، ولذلك فإنهم يُلقون فى نار جهنم ويُحمى عليها لتُكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ (التوبة:٣٤-٣٥) .

أحاديثهم وصراخهم وحوارهم واستغاثاتهم فى النار :

ماذا يقول الكافرون فى النار لخزنتها من الملائكة ولأنفسهم ولأهل الجنة ؟؟ ولماذا يصرخون طالبين الغوث أو القضاء عليهم من شدة العذاب ؟.

كلامهم مع خزنة جهنم :

كلما دخل إلى النار فوج من المجرمين يسألهم خزنتها ألم يأتكم رسول من أنفسكم ينذركم بهذا العذاب إن لم تؤمنوا بالله فيردون عليهم نعم ، لقد جاءونا وكذبناهم واستكبرنا عليهم وأنكرنا ما يدعون إليه ، واعترفوا بذنبهم وقالوا أن لو أنهم كانوا يعقلون أو يسمعون لما كانوا فى أصحاب السعير .

---

(١) الحديث صحيح رواه مسلم في صفة الجنة رقم ٣٣. والطبراني في المعجم الكبير ٢٨٢/٧ وابن أبي عاصم في السنة ٤١١/٢. وبلفظ قريب رواه أحمد ١٠/٥.

يقول تعالى ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ * وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (الملك:٦-١٠) .

حوارهم مع أهل الجنة :

يتساءل المؤمنون وهم فى الجنة عن المجرمين لماذا أنتم فى النار (سقر)؟ فيجيبونهم بأنهم لم يكونوا من المؤمنين ، ولم يكونوا من المصلين ، ولم يكونوا يطعمون المساكين ، وكانوا يتحدثون عن أمور الدين بغير علم وكانوا يكذبون بيوم القيامة والحساب. حتى أتاهم اليقين ورأوا بأعينهم وحينئذ لا تنفع شفاعة الشافعين يقول ربنا جل شأنه ﴿ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾ (المدثر:٣٩-٤٧) .

كما أنهم يطلبون من أهل الجنة أن يعطوهم شيئا من الماء والرزق والطعام فيقولون لهم إنها محرمة عليهم .

يقول الله تعالى ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ۚ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ (الأعراف:٥٠-٥١) .

يدعون على كبرائهم الذين أضلوهم فى الحياة الدنيا :

ويوم يجد أهل النار من الكفار والمشركين والمنافقين وجوههم تقلب فى النار وأنهم منغمسون فى العذاب الأليم يقولون نادمين يا ليتنا آمنا وأطعنا الله ورسوله ، ويقولون إنهم أطاعوا سادتهم وكبراءهم فأضلوهم السبيل ، فيتوجهون بالدعاء إلى الله

تعالى أن يعذب كبراءهم ومضليهم ضعفين من العذاب ويلعنهم لعناً كبيرا . يقول تعالى ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ * وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ * رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ (الأحزاب:٦٦-٦٨) .

يصرخون طالبين الخروج من النار ليعملوا الصالحات :

وهؤلاء الكفار فى نار جهنم لا يُقضى عليهم فيموتون ولا يخفف عنهم شيئا من العذاب ، وهم يصرخون من شدة العذاب الأليم والضيق ، داعين الله تعالى أن يخرجهم من النار ليعملوا صالحا ويؤمنوا بالله ورسوله ، فيرد عليهم أو لم يعمركم الله فى الدنيا ما يكفى من السنين لأن يتذكر فيها من يريد أن يتذكر وجاءكم النذير ، فذوقوا العذاب فليس للظالمين من نصير .

يقول الله العظيم ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ (فاطر:٣٧)

تخاصم أهل النار :

إن تخاصم أهل النار حق لا بد أن يقع يقال للطاغين وهم رؤساء المشركين والكفار ، هذا جمع كبير داخلون النار معكم فى زحام وشدة ، وهم أتباعكم ، فيقول هؤلاء الرؤساء : لا مرحبا بهم إنهم داخلون النار ليقاسوا حرها فيرد الأتباع : بل أنتم أولى بهذا الدعاء الذى دعوتم به علينا لأنكم أنتم الذين قدمتم لنا هذا العذاب بإغرائكم لنا ودعوتنا إلى الكفر فكفرنا بسببكم فبئس القرار جهنم ويدعوا الأتباع : ربنا من تسبب لنا فى هذا العذاب فزده عذابا مضاعفاً فى النار . ويقول أهل النار : ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار فى الدنيا وهم فقراء المسلمين. كيف اتخذناهم هزواً فى الدنيا ولم يدخلوا النار معنا ، أم أنهم دخلوها ولكن زاغت أبصارنا عنهم فلا نراهم .

يقول الله تعالى ﴿ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ * قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ الْقَرَارُ * قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ * وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ * أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ * إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ (ص:٥٩-٦٤) .

تحاور الكبراء والضعفاء من أهل النار :

يقول الضعفاء وهم الأتباع للمستكبرين وهم الرؤساء : إنا كنا لكم فى الدنيا تبعا فهل أنتم حاملون عنا جزءا من عذاب النار ؟ فيقول المستكبرون : إننا كلنا فيها نحن وأنتم : إن الله فصل بالحق بين العباد ولكل منا ما قضاه عليه ربه من العذاب .

توسلهم إلى الملائكة :

وقال الضعفاء والكبراء من أهل النار لخزنة جهنم متوسلين إليهم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب الذى نلاقيه فى جهنم لنستريح منه قليلا.

فيقول خزنة جهنم لهم مُوبخين : ألم تكن الرسل تأتيكم بالبراهين المبينة الواضحة ؟

فيرد أهل النار : بلى ، جاءتنا الرسل فكذبناها.

فيقول لهم الخزنة : ما دام الأمر كذلك فادعوا أنتم وما دُعاء الجاحدين إلا فى ضياع يقول ربنا العظيم ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ * وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۚ قَالُوا فَادْعُوا ۗ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ (غافر:٤٧-٥٠) .

حديث أهل النار مع أطرافهم وجلودهم :

ويوم يُحشر أعداء الله إلى النار فيجىء أولهم مع آخرهم حتى يجتمعوا جميعا ليتم إلزام الحجة عليهم بين جميعهم فإذا ما جاءوا النار وسئلوا عما ارتكبوا من الآثام فى الدنيا ، فأنكروا ، شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون فى الدنيا. فيقول أعداء الله لجلودهم : لم شهدتم علينا ؟ قالوا : أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء وهو خلقكم أول مرة من العدم وإليه وحده ترجعون بعد البعث فيحاسبكم على ما قدمتم من عمل . وما كان باستطاعتكم أن تخفوا أعمالكم القبيحة عن جوارحكم مخافة أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم وجلودكم ولكن كنـتم تظنـون أن الله لا يعلم كثيرا من أعمالكم بسبب إتيانها فى الخفاء وذلك الظن الفاسد الذى ظننتموه بربكم فأصبحتم يوم القيامة من الخاسرين .

يقول الله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ * فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾ (فصلت: ١٩-٢٤) .

يُسألون عن آلهتهم التى عبدوها فى الدنيا من دون الله :

وأُظهرت الجحيم للغاوين المنصرفين عن دين الحق ، وقيل لهم أين آلهتكم الذين كنتم تعبدون من دون الله فى الدنيا ، وكنتم تزعمون أنها تشفع لكم فى هذا اليوم . هل ينفعونكم اليوم وينصرونكم أو هل ينفعون أنفسهم ؟

لا شىء من ذلك لأنكم أنتم وآلهتكم المزعومة وقود النار فألقوا فى الجحيم على وجوههم ينقلبون مرة بعد أخرى حتى يستقروا فى قاعها هم والذين أضلوهم وأوقعوهم فى الغى والضلال ، ومعهم أيضا أعوان إبليس الذين كانوا يزينون للناس الشرور والآثام أو الذين اتبعوه من عصاة الإنس والجن .

قالوا وهم يعترفون بخطئهم وهم يتخاصمون مع من أضلوهم من معبوداتهم : والله لقد كنا فى الدنيا لفى جهل واضح وتخبط وزيغ عن الحق ، إذ نسويكم أيها المعبودون من دون الله رب العالمين فى استحقاق العبادة مع عجزكم وقدرته تعالى وما أوقعنا فى هذا الهلاك إلا المجرمون الذين أضلونا عن السبيل فلا يوجد لنا شافعون يخلصونا من العذاب كما كنا نتوهم من قبل ، فلا صديق يحس بآلامهم ويقف بجانبهم فى محنتهم ، ويتمنون أن تكون لهم كرة أخرى ورجعة ثانية إلى الأرض ليكونوا من المؤمنين . يقول رب العالمين ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ * وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ * فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ * قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ * فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ * فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء:٩١-١٠٢) .

يطلبون الانتقام ممن أضلوهم :

ومن سوء العذاب وشدته يطلب أهل النار من الله تعالى أن يريهم الذين أضلوهم فى الدنيا من الجن والإنس وكانوا السبب فى وجودهم فى هذا العذاب الأليم، ليجعلوهم تحت أقدامهم ليكونوا من الأسفلين . يقول الله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾

(فصلت:٢٩)

* * *

المؤمنون فى الجنة

الجنـــة :

هى المقر الدائم الكريم الذى أعده الله تعالى لعباده الذين آمنوا به وبرسله بالغيب وهم فى الحياة الدنيا وهى المكـان الـذى أعـد الله تـعـالـى فيه للمؤمنـيـن به ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من قرة الأعين والنعيم المقيم .

مساحتها واتساعها :

يخبرنا القرآن الكريم بأن الجنة عرضها كعـرض السمـوات والأرض وهو ما لا يمكن لإنسان حصره ولا تحديده وإنما يدل هذا التشبيه على عظم المساحة التى ليس لها حدود .

يقول الله تعالى ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (الحديد: ٢١) .

ويقول تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ (الإنسان: ٢٠) .

مكانهـــا :

يخبرنا عز وجل أن الجنة ستكون على الأرض بعد تبديلها يوم القيامة ، يوم تبدل الأرض غير الأرض . يقول الله تعالى ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ (الزمر: ٧٤) .

الحديث الشريف

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة) (سيحان وجيحان ببلاد الأرمن قرب الشام).[1]

---

(١) الحديث صحيح رواه مسلم في صفة الجنة رقم ٢٦ وأحمد ٢٨٩/٢ و٤٤٠. والنبوي في التفسير ١٧٧/٦.

أسماء الجنة :

وقد أطلق الله تعالى على الجنة أسماء مختلفة

* منها : دار السلام

يقول تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (يونس:٢٥)

* ومنها : الفردوس

يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾ (الكهف:١٠٧-١٠٨) .

* ومنها : عـدن

يقول تعالى ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ * جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ (طه:٧٥-٧٦) .

أوصاف الجنة :

يصفها الله تعالى فى القرآن الكريم تمثيلا وتقريبا إلى التصور والتخيل مع الفارق العظيم بين المشبه والمشبه به .

الحديث الشريف

عن النبى ﷺ قال : (قال الله عز وجل : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخراً بلة ما أطلعكم الله عليه) [1].

مصداق ذلك فى كتاب الله ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (السجدة:١٦-١٧) .

---

(١) الحديث صحيح رواه البخاري ١٤٥/٦ في تفسير سورة السجدة . ومسلم ٢١٧٥/٤ رقم ٢٨٢٤. وأحمد في المسند ٤٣٨/٢ وبرقم ٩٦١٤ بتحقيق الشيخ شاكر.

فيصفها سبحانه وتعالى بأن فيها أنهارا مختلفة منوعة تجرى بين الرياض النضرة والأشجار الوارفة ذات القطوف الدانية .

* **أنهار من الماء الجارى :**

فيها أنهار من الماء الجارى غير الآسن (الراكد) ماء متجدد طازج دائما لم يصبه ما يصيب الماء الراكد من العفن وتغيير الطعم واللون . إنما الماء الجارى فهو عذب سائغ للشاربين .

* **أنهار من لبن :**

من لبن طازج كأنما هو محلوب فى التو واللحظة لذيذ الطعم لم يفسده التخزين والحرارة فيتخمر ويصبح لاذعاً.

* **أنهار من خمر :**

وفيها أنهار من خمر لذة للشاربين لا غول فيه (كحول) ولا يورث شاربه الصداع كما فى خمر الدنيا .

* **أنهار من عسل مصفى :**

وفيها أنهار من العسل المصفى الرائق .

* **كثير من الثمار والفاكهة :**

وفيها كثير من الأنواع المتعددة من الفاكهة المنوعة الأشكال والألوان والمذاق.

يقول الله تعالى واصفا الجنة : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ (محمد:١٥) . ويصف الله سبحانه وتعالى الجنة فى سورة (الرحمن) ويخبرنا الله العظيم أن لكل من خاف مقام ربه جنتان عظيمتان مليئتان بالأشجار ذات الأغصان النضرة الحسنة .

الحديث الشريف

عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ (إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها) .

عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ (إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام لا يقطعها). فى هاتين الجنتين عينان تجريان . وفيهما من كل فاكهة صنفان . وأصحاب الجنة يتكئون على فرش بطائنها من ديباج خالص وثمار الجنتين قريب دان فى متناول أيدى أهل الجنة. وكذلك من دون الجنتين السابقتين جنتان أخريان خضراوان قد اشتدت خضرتهما حتى مالت إلى الأخضر الداكن . فيهما عينان فوارتان بالماء لا تتوقفان. فيهما فاكهة من أصناف مختلفة ونخل ورمان . يتكئ فيهما أهل الجنة على فرش ذات أغطية خضر وطنافس حسان عجيبة الصنع . كذلك فيهن زوجات حسان لم يسبق لهن الزواج من إنس ولا جان .

يقول رب العالمين ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُدْهَآمَّتَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن:٤٦-٧٨) .

العيون :

وكما يوجد بالجنة أنهار من الماء الجارى ومن اللبن الطازج والخمر اللذيذ والعسل المصفى كذلك يوجد بها عيون تجرى وعيون فوارة وعينا طعمها كالزنجيل تسمى (سلسبيلا) .

المناخ والجو بالجنة :

وأما المناخ الذى يسود الجنة ، فهو مناخ معتدل ليس فيه شمس حارقة ولا برد قارس زمهرير وإنما الظلال الدانية الدائمة والهدوء والأمان والصفاء والنقاء والجمال يقول الله تعالى عن الجنة ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ (الرعد:٣٥).

ويقول تعالى ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾

(الإنسان:١٢-١٤)

أهل الجنة :

من هم أهل الجنة ؟ تبشيرهم بها وهم فى الدنيا وساعة الموت وفى يوم الحشر ، المناداة عليهم من رجال الأعراف البشرى فى الحياة الدنيا بالجنة : (وعدٌ من الله سبحانه) فها هو القرآن الكريم يخبر النبى ﷺ بأن يبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم الجنة هم فيها خالدون يقول الله تعالى ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة:٢٥) . وهذا وعد من الله العظيم بأنه تعالى سيدخل الذين ءآمنوا وعملوا الصالحات الجنة .. فيقول سبحانه ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ (النساء:٥٧)

والجنة .. وعد بها المؤمنون والمؤمنات :

يقول تعالى ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (النساء ١٢٤) وقد بين لنا القرآن الكريم أن أهل الجنة هم السابقون فى الإيمان وأولئك هم المقربون من الله تعالى وهم جماعة من الأولين وقليل من الآخرين يقول تعالى ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ * فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ (الواقعة:١٠-١٤) . ويبشرهم الله تعالى بالجنة وهم فى الحياة الدنيا ، فيقول جل شأنه ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (يونس:٦٢-٦٤) ويقول تعالى مؤكدا وعده لعباده بالجنة ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴾ (مريم:٦١) ويقول تعالى واعدا المؤمنين بالجنة : ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا * لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴾ (الفرقان:١٥-١٦) يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ (فصلت:٣٠-٣٢) .

البشرى ... للمؤمنين بالجنة ساعة الموت :

والله تعالى ينزل على المؤمنين ساعة الموت ، الملائكة يبشرونهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وها هو سبحانه وتعالى يخاطب النفس المؤمنة المطمئنة بإيمانها يبشرها بالجنة ساعة رجوعها إلى ربها حين تستوفى عمرها فى الدنيا ، يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى * وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ (الفجر:٢٧-٣٠) ويقول تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النحل:٣٢) .

البشرى يوم القيامة بالأمن وبالجنة :

وفى يوم القيامة يوم الفزع الأكبر والأهوال العاتية التى تجعل الولدان شيبا يُطمئنهم ربهم بالأمان وبالجنة يقول سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ * لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (الأنبياء:١٠١-١٠٣) .

النداء على المؤمنين أهل الجنة :

ويقوم رجال صالحون فى يوم الحشر على الأعراف وهى المرتفعات التى بين الجنة والنار وينادون على أهل الجنة بأسمائهم يعرفونهم بسيماهم على وجوههم. يقول تعالى ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الأعراف:٤٦-٤٧) .

دخول الجنة من أبوابها :

ويُرشد المتقون إلى أبواب الجنة فيسيرون زمرا زمرا أى جماعات حتى إذا جاءوها فُتحت لهم أبوابها وحيَّاهم خزنتها من الملائكة مُرحبين مهللين .

يقول تعالى ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ (الزمر:٧٣) .

مساكن أهل الجنة :

لقد أعد الله للمتقين المؤمنين نعيما مقيما ، فى مكان آمن ليس فيه أخطار ولا أذى ولا ضرار ولا لغو ولا تأثيم وإنما الأمن والسلام .

يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ * فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ (الدخان:٥١-٥٢).

مساكن طيبة :

ويقول سبحانه وتعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (التوبة:٧٢) .

جنات الفردوس نزلا :

كما أعد الله تعالى للمؤمنين نزلا يقيمون فيه ألا وهو جنات الفردوس بما فيها من نعيم دائم ، يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ (الكهف:١٠٧-١٠٨) .

غرف من فوقها غرف :

ومساكن أهل الجنة تتكون من غرف بعضها فوق بعض مبنية ، تجرى من تحتها الأنهار ، يقول تعالى ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ (الزمر: ٢٠) .

الحديث الشريف :

عن عبد الله بن قيس عن أبيه : أن رسول الله ﷺ قال : (فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً فى كل زاوية (فى كل جانب) منها أهل ما يرون الآخرين (لبعدها) يطوف عليهم المؤمن).

* عن النبى ﷺ قال : (الخيمة درة طولها فى السماء ستون ميلاً فى كل زاوية منها أهل للمؤمن لا يراهم الآخرون).

* عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : (إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرى الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم . قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ، قال : بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين) [1].

---

(١) الحديث صحيح رواه البخارى ١٨٢/٦ ومسلم فى صفة الجنة رقم ٢٤ وأحمد ٤١١/٤ وانظر الترغيب والترهيب .

حياة أهل الجنة :

الخلود الأبدى :

حياة أهل الجنة ، حياة أبدية خالدة لا موت فيها ، ولا عذاب ، ولا لغو ، ولا شقاء ، يقول تعالى ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ * فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (الدخان:٥٦-٥٧) .

ويقول الله تعالى أيضا ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ (النساء:٥٧).

الحديث الشريف :

عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ (إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة فى الجنة كما تراءون الكوكب فى السماء) [١].

ملابس وثياب أهل الجنة :

والمؤمنون فى الجنة قد أنعم الله عليهم من فضله وسترهم بملابس من حرير من سندس وإستبرق وفيها الرقيق النسيج ومنه السميك زيادة فى التجمل والزينة يجلسون متقابلين فى مجالسهم ليتم لهم الأنس والبهجة يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ * فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾
(الدخان:٥١-٥٣)

وكذلك يحلون ويزينون بالأساور الفضية والذهبية يلبسونها فى أيديهم تتناسب فى ذوقها ولونها مع ما عليهم من الثياب الحريرية السندسية الخضراء يشربون شرابا طهورا . يقول تعالى ﴿ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (الإنسان:٢١) .

---

(١) الحديث صحيح رواه البخارى ١٤٥/٤ ومسلم فى صفة الجنة رقم ١١ والطبرانى فى المعجم الكبير ١٧٣/٦ وأحمد .

ويقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (الكهف: ٣٠-٣١) .

وكذلك يُحلون بأساور من ذهب ولؤلؤ ، ولبساهم حرير .

يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ (الحج: ٢٣).

أشجار الجنة :

وتمتلئ الجنة بالأشجار المختلفة الأشكال والأنواع والألوان وقد خص الله تعالى من أشجار الجنة بالذكر أشجار النخل والرمان والأعناب والنبق والموز ، يقول تعالى ﴿ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ * وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴾ (الواقعة: ٢٨-٣٢) .

وهما ثمار النبق والموز ، يقول تعالى ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ (الرحمن: ٦٨).

ويقول تعالى ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴾ (النبأ: ٣١-٣٢) .

الحديث الشريف :

عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ (إن فى الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها).

رياش الجنة :

أعدت لأهل الجنة الأرائك المصفوفة المتقابلة المبطنة بالديباج الخالص ، وعُرُشٌ ومقاعد ذات أغطية خضر وطنافس حسان بديعة الصنع .

كذلك أعدت لهم سرر منسوجة بالجواهر النفيسة متقابلة مرفوعة عالية ، وفيها الوسائد المصفوفة والبسط المبثوثة فى كل مكان .

يقول تعالى ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ (الطور: ٢٠) .

ويقول سبحانه ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ (الرحمن: ٥٤)

ويقول تعالى ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴾ (الرحمن: ٧٦) .

ويقول سبحانه أيضا ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴾ (الواقعة: ١٥-١٦)

ويقول تعالى ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ (الواقعة: ٣٤) .

ويقول تعالى ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴾ (الغاشية: ١٣-١٥)

صحبة أهل الجنة :

كل هذا النعيم المقيم الواسع من الجنات والرياض ذات الأشجار الوارفة ذات الثمار الناضجة والظلال الدانية والأنهار الجارية والعيون المتفجرة والأرائك المصفوفة. والسرر المرفوعة والوسائد المصفوفة والبسط المفروشة فى كل مكان ، والأرض المكسوة بالزروع الخضراء اللون الفاتحة والداكنة .

هل يتركون وحدهم فى هذا المكان الرائع الحسن والبهاء بل يتم الله عليهم فضله ويؤنسهم بالصحبة الممتعة الحبيبة ، فى جناتهم ومجالسهم لتقر عيونهم بها وليسرون وينعمون ، فقد أعد الله تعالى لهم من يؤنسهم ويجالسهم وهم :

الحور العين :

وقد خلقهم الله لهم أبكارا محبوبات لأزواجهن متقاربات فى العمر ، مهيئات لإدخال السرور على أهل الجنة ، يقول تعالى ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً * فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا * لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ (الواقعة: ٣٥-٣٨) .

وقد جعل الله الحور العين يقصرن النظر إلا عن أزواجهن. ويشبههن الله تعالى بالبيض المكنون لنصاعة بياضهن وصفائه ونقائه .

يقول الله ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ (الصافات:٤٨-٤٩).

ويصفهن الله بأنهن زوجات طيبات الأخلاق مشرقات الوجوه ، حسان العـيون ، مقصورات فى خيامهن لا يفارقنها لم يقربهن إنس ولا جان .

فيقول جل شأنه ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن: ٧٠-٧٨) .

كما أنهن يشبهن الياقوت والمرجان فى صفاء ألوانهن وجمالهن جزاء للمؤمنين على أعمالهم الحسنة فى الدنيا .

يقول تعالى ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ (الرحمن:٥٨) .

ويمثلهن الله تعالى باللؤلؤ المكنون فى بياضه ونقائه وصفائه وحسنه وبهائه . يقول الله ﴿ وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ * جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾
(الواقعة:٢٢-٢٤)

الصالحون من ذريتهم :

وكذلك يلحق الله بهم فى الجنة من آمن من ذرياتهم .

الحديث الشريف :

عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ (إن الله يقول لأهل الجـنـة ، يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك .

فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحدا من خلقك. فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يا رب وأى شىء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أُحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبداً) [1].

---

(١) الحديث صحيح رواه البخارى ١٤٢/٨ ومسلم فى صفة الجنة رقم ٩ والترمذى رقم ٢٥٥٢ وأحمد ٨٨/٣ والطبرانى فى التفسير ١٢٦/١١ ..

حتى لو كان إيمانهم أقل منهم وذلك لتقر بهم عيونهم . يقول تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ (الطور: ٢١) .

أزواجهم فى الحياة الدنيا :

وكذلك يُلحق بهم فى الجنة أزواجهم فى الحياة الدنيا الذين آمنوا بالله ورسله ، ليتم سرورهم وبهجتهم . يقول تعالى ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ * ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾
(الزخرف:٦٨-٧٠)

الطوافون عليهم لخدمتهم :

وبينما أهل الجنة يرفلون فى حلل من الحرير ويتكئون على الأرائك المبطنة بالحرير والمزينة بالجواهر النفيسة الجميلة وحولهم الوسائد ومن تحت أرجلهم البسط المفروشة وبجوارهم وفى صحبتهم الحور العين الفاتنات يؤانسونهم وبينما هم كذلك يطوف عليهم لخدمتهم وتقديم ما لذ وطاب من المأكل والمشرب يطوف عليهم ولدان مخلدون يسرون الناظرين بحسن منظرهم وشكلهم وكأنهم اللؤلؤ المنثور فى رياض الجنة وبين الأرائك مُلبيين طلبات أهل الجنة فى أدب وسرعة يقول تعالى ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ * وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ (الواقعة:١٧-٢١) ويقول أيضا سبحانه ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾
(الإنسان:١٩)

حالة أهل الجنة النفسية :

السعادة المطلقة :

يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾
(القمر:٥٤-٥٥)

الحديث الشريف :

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : (إن فى الجنة لسوقا يأتونها كل جمعه فتهب ريح الشمال فتحثوا (تنشر عليهم أنواع العطر) فى وجوههم وثيابهم حسنا وجمالاً فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالاً. فيقول لهم أهلوهم : والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً فيقولوا : وأنتم والله لقد ازددتم حسناً وجمالاً). فمن ذا الذى يكون متواجدا بالقرب من الله المليك المقتدر ، بالقرب من وجهه الكريم من الحق والنور ، الكريم المقتدر ، الجواد الرحمن الرحيم ، إلى آخر صفاته تعالى الحسنى التى سمى بها نفسه سبحانه ، فماذا بعد القرب من الله ، إلا السعادة والنعيم المقيم الدائم الخالد ، سعادة لا متناهية ، حيث لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

الحديث الشريف :

عن أيوب عن محمد قال : إما تفاخروا وإما تذاكروا : الرجال فى الجنة أكثر أم النساء ؟

فقال أبو هريرة : أو لم يقل أبو القاسم ﷺ : (إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتى تليها أضواء كوكب درى فى السماء. لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم. وما فى الجنة أعزب)

السرور وراحة البال :

والحالة النفسية غالبا ما تكون فى البعد عن الكذب واللغو والجدل والمشاحنات والبغضاء يقول تعالى ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا * لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا * جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا * رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ (النبأ:٣١-٣٧) .

وجوههم مشرقة ناضرة :

يقول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (المطففين:٢٢-٢٤) .

يضحكون على الكفار :

يقول تعالى ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ * هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ (المطففين:٣٤-٣٦) .

يشعرون بالرضا والنعيم :

يقول الله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ (الغاشية:٨-١٢) .

صدورهم خالية من الغل :

والغل والكراهية والبغض والشعور بالضيق وغيره من العواطف التى كانت تشتعل فى قلوبهم فى الحياة الدنيا ، كلها قد نُزعت من صدورهم فلا يشعرون إلا بالمودة والمحبة والتعاطف وتملأ صدورهم العواطف النبيلة الجميلة ، وهم يحمدون الله على هذه الحالة التى يشعرون بها من انشراح الصدر وذهاب الغل والحقد وغيره ، كما يحمدون الله تعالى ويشكرونه أن هداهم إلى هذا المكان وهذا النعيم الذى كان يدعوا إليه رسله تعالى فى الدنيا .

يقول تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ * وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف:٤٢-٤٣).

لا حزن ولا نصب ولا إعياء :

وهم يشكرون الله تعالى ويحمدونه أن أذهب عن صدورهم الحزن ، أن أدخلهم دار النعيم من فضله ، حيث لا يمسهم فيها تعب ولا إعياء .

يقول تعالى ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾

(فاطر:٣٤-٣٥)

الحديث الشريف :

عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة : عن النبى ﷺ قال : (ينادى مناد أنَّ لكم أن تصحوا فلا تسأموا أبداً ، وأن لكم أن تحييوا فلا تموتوا أبداً ، وأنَّ لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً ، وأن لكم أن تنعموا فلا تبتئسوا أبداً)

فذلك قوله عز وجل ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف:٤٣)

ماذا يأكلون فى الجنة :

لقد أعد الله تعالى لأهل الجنة كل ما يشتهون من مأكل ومشرب .

المأكولات :

اللحوم بأنواعها المختلفة لحوم الحيوان ولحوم الطير والفاكهة بجميع أنواعها وعلى رأسها النبق والموز والعنب والبلح والرمان ، وغيرها مما لا يخطر على بال . يقول تعالى ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ (الرحمن:٥٢) .

ويقول تعالى ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ * وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (الزخرف:٧١-٧٣) .

ويقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ * وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ * كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (المرسلات:٤١-٤٣) .

وما يُقدم إلى أهل الجنة من رزق يتعرفون عليه ويقولون هذا ما كنا نأكله فى الدنيا ولكن مع الفارق الكبير فى كل شىء ، يقول تـعـالـى ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة:٢٥) .

مواعيد الطعام فى الجنة :

ويقدم الطعام إلى أهل الجنة فى مواعيد ثابتة هى الصباح الباكر وفى العشاء ، حيث يطاف عليهم بما لذ وطاب من الرزق فى صحاف وأكواب من الذهب ، يقدمها غلمان مطهرون .

يقول رب العالمين ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا * لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا * تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ (مريم:٦١-٦٣) .

الشراب :

أما شراب أهل الجنة ، فهو متعدد الأنواع والألوان مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، ومن أنواع الشراب الذى يقدم إلى أهل الجنة :

الماء النقى ، واللبن الطازج الذى لم يتغير طعمه ، والعسل المصفى ، والخمر الطهور الذى لا يصدع الرؤوس وغير هذه الأنواع من عصير الفاكهة المختلف الأشكال والأنواع والألوان والطعم وهذه الخمر التى يشربونها ليس فيها غول مما يصدع الرؤوس ويغيب العقول كما يحدث عندما يشرب أحد خمر الدنيا ، ولذا لا يصدر عن شارب خمر الجنة من الكلام القبيح واللغو الفارغ والأحاديث الفاجرة البذيئة كما يحدث فى الدنيا وإنما هى خمر طهور تبعث النشوة واللذة والسعادة والهناء لشاربها ، يقول تعالى ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾

(محمد:١٥)

يشربون فى أكواب وأباريق وكؤوس :

يطوف على أهل الجنة ولدان مخلدون باقون أبداً كاللؤلؤ المنثور فى بياضهم وبهائهم وجمالهم ، ويقدمون لأهل الجنة الأكواب والأباريق المملوءة بشراب الجنة وكأس من خمرة الجنة التى تخرج من العيون الصافية .

يـقـول تعالى ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ (الواقعة:١٧-١٩) .

يقول تعالى ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا * قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ (الإنسان:١٥-١٩) .

خمر الجنة :

وخمر الجنة بيضاء اللون أشد بياضاً من اللبن وليس فيها غائلة الصداع التى تأخذهم على غرة ، ولا تذهب بالعقل والوعى شيئا فشيئا كما تفعل خمر الدنيا ، يقول تعالى ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ (الصافات:٤٥-٤٧) .

كلام أهل الجنة وأحاديثهم :

السلام تحيتهم :

كل ما يقال فى الجنة هو الحمد والثناء على الله رب العالمين على ما أنعم به على أهلها ، وكذا تسمع تحيات السلام تتردد بين جنباتها ، فلا غرو ولا عجب فإن اسمها دار السلام ودعواهم فيها سبحانك اللهم ، يقول تعالى ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۚ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (يونس:١٠) .

وقد هدى الله أهل الجنة إلى الطيب من القول فلا لغو ولا تأثيـم ولا سباب ولا أصوات عاليه منفرة يقول تعالى ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ (الحج:٢٤) .

خطاب أهل الجنة إلى أهل النار :

يُقبل أهل الجنة بعضهم على بعض يتساءلون ويتحدثون فيقول أحدهم لقد كان لى قرين صاحب من المشركين يجادلنى فى الدين وما جاء به القرآن الكريم .

كان يقول لى أئنك لمن الذين يصدقون بالبعث بعد الموت والحساب والجزاء؟ أبعد أن نفنى ونصير ترابا وعظاما نحيا مرة أخرى ؟ لنحاسب ونجازى على ما قدمنا من عمل فى الدنيا ؟!

فيقول المؤمن لجلسائه فى الجنة : هل أنتم يا أهل الجنة مُطلعون على أهل النار فأرى قرينى هذا فيدور ببصره نحو النار ، فيرى صاحبه وقرينه المشرك وسطها يتعذب بنارها ، قال حينما رآه : تالله إن كدت فى الدنيا لتهلكنى لو أطعتك فى كفرك وعصيانك . ولولا نعمة ربى بهدايته لى وتوفيقه لى إلى الإيمان به وبالبعث لكنت مثلك من المحضرين فى العذاب .

ويتساءل المؤمن : أنحن مخلدون منعمون فى الجنة فلا نموت أبداً غير موتتنا الأولى فى الدنيا ! وإننا لسنا بمعذبين بعد دخولنا الجنة ؟ إن هذا الذى أعطانا الله من الكرامة فى الجنة لهو الفوز العظيم والنجاة الكبرى مما كنا نحذره فى الدنيا من عقاب الله .

يقول رب العالمين ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ . قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ . يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ . أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ . قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ . فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ . قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ . وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ . أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ . إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ . إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ (الصافات: ٥٠-٦١) .

* * *

التشريعات الإسلامية

(فى الحرب والسياسة والاجتماع والاقتصاد)

فى الحرب (التشريعات الخاصة بالحرب)

الحرب فى الإسلام ليست للاعتداء وكسب الأراضى والمال والسيطرة والاستعلاء والمزاحمة فى الأرزاق ، وإنما هى قد شرعت لإحقاق الحق ولرد العدوان على الأراضى الإسلامية وللمحافظة على أمن الدولة الإسلامية من الخطر الخارجى وكذلك لاستقرار الدعوة الإسلامية وحماية المسلمين الضعفاء فى أى بقعة من الأرض لأن الإسلام يعتبر الاعتداء على أى دولة مسلمة، اعتداء على المسلمين كافة ، يقول الله تعالى ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٠)

* وقد وضع الاسلام تشريعات أخلاقية خاصة للحرب .

يقول تعالى ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾ (الأنفال:٥٨) .

أى إذا شعر المسلمون بأن من عاهدوهم على السلام ظهرت منهم بوادر خيانة، ورأوا أنه يجب إلغاء هذا العهد معهم ، فليُعلمونهم بأنهم نبذوا العهد الذى بينهم وأنهم أعلنوا الحرب عليهم حتى يكونون على علم بقيام الحرب بينهما حتى لا يشنوا عليهم الحرب وهم يثقون فيهم ، فإن هذا يعتبر خيانة والله لا يحب الخائنين وإذا ظهرت فتنة ضد الدعوة من أعداء الإسلام فيجب القضاء على مشعليها ، يقول تعالى ﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: ١٩١) .

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام إذا بعث جيوشه يوجه إلى الجنود نصائحه فيقول : (اخرجوا باسم الله تعالى تقاتلون فى سبيل الله من كفر بالله ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع) وقد حرم الله تعالى التمثيل بجثث القتلى من الأعداء ، وقال رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام (لا تمثلوا ولو بالكلب العقور) أما معاملة الأسرى فإن السلطة الشرعية مخيرة في الأسرى فى تطبيق مبدأ المعاملة بالمثل مع الالتزام بما منعه الله تعالى . والإسلام يأمر بعدم قتل الأسرى وإنما تنص الآية الكريمة على المن والفداء .

يقول تعالى ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ (محمد: ٤) .

التشريع الاسلامى فى السياسة :

بعد أن هاجر المسلمون إلى المدينة ، توالت الآيات القرآنية التى تحمل التشريعات والأحكام الإلهية فى قواعد كلية ، هى الدستور الإسلامى الذى أنشأ دولة المسلمين ونظم حياتهم سياسيا واجتماعيا واقتصاديا .

وقد بين القرآن الكريم أن الدين هو أساس الدولة الإسلامية وموجهها ، وهو القاعدة لأى بنيان فلا دولة بدون دين ولا دين بدون توجيه المجتمع وسياسة الدولة ، والدولة الإسلامية تعتمد على القانون والأخلاق وهذه قائمة على الضمير المتصل برقابة الله حتى ينفذ التشريع بروحه ومعناه .

والقرآن الكريم هو دستور الدولة الإسلامية وقد جاء بمجموعة من القوانين والقواعد الكلية التى تسير فى إطارها الدولة ــ ولم يذكر التفاصيل لتكيف الأمة الإسلامية وقائعها تبعا لمقتضيات الزمان والمكان وفى هذا إتاحة الفرصة للعقل بالحركة والاجتهاد ، وقد جاء الإسلام بمبدأين هامين للدولة الإسلامية هما الحرية والمساواة ، وهما ثورة على الأوضاع البشرية الفاسدة التى استعبدت الناس حقبة طويلة من الزمن .

ومبدأ الحرية الذى ينادى بأن لا عبودية لغير الله فهو المالك للحياة والمالك للرزق فهو الذى يُعطى وهو الذى يمنع فلا عبودية لأحد ولا ذلة فى طلب الرزق بذلك قضى الإسلام على العبودية الاجتماعية التى تتحكم فى مكانة الفرد فى المجتمع ، عبودية القيم الاجتماعية وهى المال والحسب والنسب والجاه والسلطان فوضع الإسلام معيارا آخر للمفاضلة بين الناس وهو الإيمان بالله وتقواه .

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣) .

فقضى الإسلام بذلك على جميع صور التفاخر وأصبح التفاخر فى مجال الشرف هو تقوى الله ، وأصبح لكل مسلم بالغ عاقل الحق فى إدارة شئون الدولة ومراقبة أعمال السلطة التنفيذية ، ومنح الإسلام الفرد حرية الفكر أى الحرية فى إبداء الرأى فلا تأخذه فى الحق لومة لائم .

يقول رسول الله ﷺ (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر).

كما أعطى الإسلام للناس حرية التفكير العلمى للعقول لم يعرض نظريات خاصة بالظواهر الفلكية والطبيعية والنباتية والحيوانية ، بل لم يتعرض لها تاركا العقول تتأمل وتلاحظ وتنظر فى الظواهر الكونية وتستنبط قوانينها العامة ، فقد دعا القرآن الناس إلى استنباط القوانين التى تسير عليها ظواهر الكون ، وأوجب الإسلام على المسلم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقول الحق وأداء الواجب وإلا كان آثما كما أن الإسلام كان سمحاً مع أهل الأديان الأخرى فقرر حرية العقيدة والأديان. ولم يرغم أحداً على ترك دينه أو الدخول فى الإسلام .

قال تعالى ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٥٦).

بل قد أمر بحرية المناقشات الدينية بالإقناع والحجة والبرهان والدليل يقول تعالى ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱئْتُونِي بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾

(الأحقاف:٤)

ذلك لأن الإيمان الصحيح يكون بالتفكير الحر المبنى على اليقين والاقتناع وليس بالتقليد كما فى الأديان الأخرى ، وأن الدعوة إلى الدين يكون عمادها الـدليـل العقلى والمنطق السليم ، قال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾

(البقرة:١٧٠)

المساواة :

وقرر الإسلام مبدأ (المساواة) بجانب مبدأ الحرية ، فالبشر أحرار متساوون فى الجنس والمنشأ خلقهم من نفس واحدة ، وسوى (بين الذميين والمسلمين) فى أى بلد يحكمه المسلمون ومنح حقوقا للمشركين مساوية لحقوق المسلمين فى الدماء إذا كان بينهم عهد وميثاق ، كما سوى الإسلام (بين الرجل والمرأة) من حيث الجنس ولم يقرر التفاضل بينهما إلا فى بعض النواحى المتعلقة بالاستعدادات الطبيعية والدربة ، وسوى بينهما فى الناحية الدينية وفى أهلية التملك والتصرف الاقتصادى وفى جميع الحقوق المدنية وأمام القانون ، وسوى الإسلام (بين البشر جميعا) فلا أفضلية لفرد على فرد ولا لجماعة على جماعة ولا لعنصر على عنصر ولا لشعب على شعب ، وجعل الأفضلية فقط هى التقوى .

إلغاء الرق :

ولذلك ألغى الإسلام نظام الرق فهو حرمان لطبقة من البشر من جميع الحقوق التى تتيحها الحرية والمساواة ألغاه بالتدريج حيث إنه كان من دعائم النظام الاقتصادى

فى الجاهلية ، فأغلق مصادره ووسع منافذ تسربه فجعله كفارة لكثير من الجرائم التى يكثر حدوثها مثل القتل الخطأ والإفطار فى رمضان والحنث فى اليمين ومراجعة الزوجة إذا ظاهر عليها زوجها ، فالإسلام لم يقر الرق إلا فى صورة تؤدى هى بنفسها إلى القضاء عليه بالتدريج .

أما فيما يتعلق بالحكم والحكام :

فقد بين الإسلام أن الحكم لله والملوك والحكام منفذون لأحكام الله ، وقد حمل الله الأمة الإسلامية أمانة أداء حكم الله على الوجه الأكمل فى ضوء المبادئ التى يقرها الإسلام ، قال تعالى ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (المائدة:٤٥) . يقول تعالى ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (المائدة:٤٧) .

وقال تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (المائدة:٤٤).

والإسلام وضع الحاكم والشعب فى مسئولية مشتركة للصالح العام ، فالحاكم مسئول أمام الله عن تحقيق الخير للدولة ، والشعب مسئول أمام الله لنفس الغرض ، والشعب مطالب بالإخلاص للحاكم الذى يعمل على خير المجتمع كله ، والذى يحكم بما أنزل الله ، وهو مسئول عن تبصير الحاكم بمواطن ضعفه ومواطن القصور فى سياسته ، لذلك نهى الرسول ﷺ عن تملق الحاكم والثناء عليه بما ليس فيه ، فهذا يفسد السياسة ويبطل الدور الإيجابى للشعب فى تقدم بلاده ، وقد طالب الإسلام الحكام بإقامة الحق ورعاية العدالة المطلقة بين الناس .

قال تعالى ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾ (النساء:٥٨) . وقال تعالى ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (المائدة:٤٢) .

وأمر الإسلام الحاكم بأن يتثبت قبل الفصل فى أمر ما حتى لا يظلم أحداً ، يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ (الحجرات:٦) .

كما جعل الإسلام أمر المسلمين شورى بينهم فأعطى للناس الحق فى التشاور فى الأمور الهامة فى الدولة ، فالحاكم ليس له أن يستبد بأمر المسلمين ، وليس له أن يعقد معاهدة تلزم المسلمين إلا بعد أن يشاورهم ، يقول تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (الشورى:٣٨) .

ويقول رسول الله عليه الصلاة والسلام (إن الحاكم الذى يقضى بأمر على خلاف أهل العلم فرأيه مردود) وعلى الحاكم أن يطبق حدود الله وأحكامه التى تكفل حماية الدولة الإسلامية وسلامتها وأن يصون المال العام ويحقق التكافل الاجتماعى ويحمى الضعفاء ويكفل حقوقهم أى أن منصب الحاكم لا يخلو من مشقة وقد يتورط فيخسر دنياه وآخرته ولذلك نصح الرسول الكريم بعدم التكالب على منصب الحاكم ، وقد أمر الله تعالى المسلمين أن يحكموا بالعدل بين الناس ، والإسلام حدد مجال عمل القاضى وهو كل ما يتعلق بحقوق الناس .

القاضى :

أما ما يتعلق بحدود الله ، فقد حدد الله التشريعات الخاصة بها ، وليس على القاضى إلا أن يطبقها بشروطها ونهى الرسول عليه الصلاة والسلام أن يحكم القاضى وهو غضبان حتى لا يؤثر غضبه فى الحكم ، وأن لا يجلس الحاكم مجلس القضاء منفرداً مهما بلغت درجة علمه ولا بد أن يشهد آخرين معه على مبررات الحكم وذلك للابتعاد عن الظن والشبهة عند المسلمين .

قرر الرسول عليه الصلاة والسلام لإرساء العدالة أن لا يقدم الخصوم أدلة مزورة ليأخذوا حقوق غيرهم ، وفى هذا تضليل للقاضى الذى يحكم بما أمامه ، وحذرهم الرسول من أخذ حق غيرهم حتى لو صدر به حكم قضائى لأنهم يكونون كمن اقتطع قطعة من النار ووضعها فى يده ، ومن واجب المسلمين أن يطيعوا الحاكم ما دام يحكم بما أنزل الله ولا يأمر بمعصية ، أما إذا قصر الحاكم فى واجباته فللشعب حق مساءلته ، وطاعة ولى الأمر لا تأتى منفردة وإنما هى طاعة لاحقة بطاعة الله ورســوله، ورئيس الدولة فى نظر الإسلام شخص عادى لا يمتاز عن الآخرين إلا بثقل المسئولية كوكيل عنهم . فيؤخذ بالقصاص إذا قتل عمدا ، ويرد ما أخذه من الأفراد ويجلد بحد الزنا وتقطع يده إذا سرق ، فالأمة صاحبة الولاية عليه تقيم عليه الحدود وتنفذ الأحكام .

ولا أصل مطلقا فى الإسلام لما يقال من أن كلمة السلطان ظل الله فى الأرض وأن ذاته مصونة لا تمس وأنه فوق القانون . كما نهى الإسلام عن التقرب إلى الحكام بما يغضب الله ليحصلوا على ما ليس من حقهم .

يقول تعالى ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:١٨٨) .

ونهى الدين عن موالاة أعداء الإسلام والتودد إليهم فهذا خيانة فى حق الأمة ويعرض أمنها للخطر ، يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ * إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾(الممتحنة:١-٢)

والأمة التى يشيع فيها الفساد ولا يقف أحد لمحاربته تنتهى بالدمار والهلاك للمفسدين والصالحين على السواء لأنهم لم يقفوا فى وجه الفساد يقول تعالى﴿ وَٱتَّقُوا۟

﴿ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (الأنفال:٢٥).
يقول تعالى ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾ (الإسراء:١٦) .

وقد حدد الإسلام العلاقات بالدول الأخرى على أساس السلام الذى جعله الإسلام سبيلا إلى الدعوة إلى الحق يقول تعالى ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾

(الممتحنة:٨)

وقد حرص الإسلام على الوفاء بالعهود حتى مع غير المسلمين واعتبرها عقودا ملزمة ما داموا ملتزمين بعهودهم ، أما إذا أخلوا بها ، فعلى الدولة الإسلامية محاربتهم .

* * *

التشريعات الإسلامية الخاصة بالأسرة

من أروع ما جاء به الإسلام لإسعاد البشر وجعل حياتهم حياة طيبة مستقرة سعيدة فى الدنيا والآخرة ، ما جاء خاصاً بالأسرة المسلمة فالأسرة فى نظر الإسلام هى النواة الأولى للبشرية ، فجعل الزواج أساسا لعلاقة الرجل بالمرأة وهو بداية تكوين الأسرة . وجعل الله تعالى للأسرة قداسة خاصة ، فهى رباط يظلله الدين ، فوضع سبحانه القواعد التى تنظم علاقات الأسرة وجعلها دستورا لها . يقول تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (الفرقان: ٧٤) .

فالأسرة مصدر من مصادر تحقيق الأمن والاستقرار النفسى ــ وسلامة الأسرة تتوقف على الانسجام والتوافق وحسن المعاشرة وطاعة الزوجة لزوجها .

الزواج :

لذلك حث الإسلام المسلمين على الزواج بهدف الإحصان ونهى عن زواج المتعة لأنه يهدف إلى إشباع الشهوات ولا يكفل الاستقرار والاستمرار لتحقيق استمرار النوع البشرى فى كيان عائلى منظم ومستقر له حقوق وواجبات غايته سكن الزوجين لبعضهما كل منهما ستار لصاحبه يحقق له الاستقرار النفسى . وقد حرم الله على المسلم أن يتزوج بأخت زوجته أو عمتها أو خالتها لأنه يؤدى إلى الإفساد بين القرابات وقطع صلة الأرحام . وأن العشرة الزوجية لا تتحقق إلا بالزواج . وقد حرمت الشريعة بعض المتعايشين مع بعض من الجنسين لتبقى علاقاتهم طاهرة نقية وليكون الاختلاط بدون كلفة ولا ارتياب. مثل الأم وابنها والأب وابنته وزوج الأم وربيبته والأخ وأخته والعم والخال وبنت الأخ وبنت الأخت .. يقول تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ

وَحَلَـٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَـٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ (النساء:٢٣) .

وقد حرم الإسلام على الزوج أم الزوجة وجدتها حتى لـو انفصـلا بالطـلاق أو بالموت سواء دخل بها أو لم يدخل وحرم على الزوج بنت زوجته التى فارقها بشرط أن يكون دخل بها. وكذلك حرم عليه زوجة الأب وزوجة الجد ، وقد أعطى الإسلام للزوجة حقوقا لم تكن لها فى أى شريعة أخرى وهى :

أخذ رأيها فى الرجل الذى يتقدم للزواج منها وموافقتها شرط صحة العقد .

* الصداق من حقها بعد العقد . .

* حق النفقة لها ولأولادها .

* حق العدل والمعاشرة بالمعروف .

والإسلام هنا يعطف على المرأة ويرفق بها ويرعى حياتها لذا طالب الرجل بحسن الخلق وحسن المعاشرة .

والدين لا يحب للزوجة أن تكون كالمعلقة لا هى زوجة ولا هى مطلقة ، وإذا هجرها زوجها ولم يصالحها بعد أربعة أشهر فلها الحق فى الطلاق لتتزوج من غيره . يقول تعالى ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ * وَإِنۡ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ (البقرة:٢٢٦-٢٢٧) .

وقد أحل الله الطلاق إذا استحالت المعاشرة بين الزوجين وأصبحت حياتهما بغيضة ليتزوج كل منهما زوجا آخر يسعد به والطلاق أبغض الحلال عند الله يقول تعالى ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ﴾ (النساء: ١٣٠) .

وقد جعل الله حق الطلاق بيد الرجل لأنه هو الغارم فيه ماليا (النفقة ـ الزواج الجديد ... إلخ) كما جعل الطلاق بيد المرأة إذا تنازلت عن حقوقها وأعطت الزوج بعض المال لتفتدى به نفسها.

تعدد الزوجات فى الإسلام :

وقد جعل الإسلام حق الرجل فى تعدد الزوجات والتعدد موجود فى كل الشرائع ولكن الإسلام قصره على أربع فقط. وذلك لظروف استثنائية أو اقتصادية أو اجتماعية ، كأن يكون المجتمع فى حاجة إلى كثرة النسل أو أن تكون الزوجة عاقرا أو مريضة وليس من العدل تطليقها. وتجنبا لمعاشرة امرأة أخرى فى الحرام. أو أن يكون عدد النساء أكثر من عدد الرجال . فتتعرض الزائدات للحاجة والشقاء والسقوط .

والتعدد يكون فى حالة القدرة على الإنفاق على أكثر من واحدة والقدرة على العدل بينهن ، وإلا فواحدة تكفى إذا لم يكن هناك ضرورة لذلك .

يقول تعالى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ (النساء:٣) .

حقوق الأبناء والوالدين :

وقد جعل الله للأبناء حقوقا وهى :

ثبوت النسب ، وحق الحضانة ، وحفظ الحياة والتعليم وحفظ المال إن كان له مال . أما حق الوالدين : فقد طلب الله من الأولاد رعايتهما والإحسان إليهما والإنفاق عليهما عند عجزهما ، وإظهار الاحترام البالغ نحوهما ، يقول تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (الإسراء:٢٣-٢٤) .

التبنى :

والتبنى موجود فى العالم منذ القدم ، وكان للولد المتبنى منزلة الولد الحقيقى ، ولكن الإسلام حرّم التبنى تحريما مؤبداً وذلك لأن التبنى يخلو من حنان الأبوة

والأمومة ، وفيه خلط للأنساب وهدم لروابط الأسر وارتباط صناعى زائف يستوجب لعنة الله تعالى . فالابن المتبنى يرث ثروة دون أصحاب الحق عند الله وذلك يثير الأحقاد بين الأسر وحرمان ذوى الحق من حقوقهم ، وكذلك فيه تحليل للحرام وتحريم للحلال .

يقول تعالى ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ * ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الأحزاب:٤-٥) .

اليتامى :

وهم من مات أبويهم أو لا يُعرف آباؤهم الحقيقيون وقد أولاهم الإسلام رعاية خاصة وشملهم برحمته فدعى إلى الرفق بهم بالمودة والرحمة وعدم إيذائهم ، يقول تعالى ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾
(الضحى:٩-١١)

وكذلك المحافظة على أموالهم إن كان لهم مال والإنفاق عليهم إن كانوا فقراء وقد دعى الإسلام إلى إصلاح حال اليتيم أولا : بتعليمه حرفة يتكسب منها أو تنمية ماله وتربيته تربية صالحة وذلك كله محبة فى الله، وطلبا لرضوانه وثوابه .

صلة الأرحام :

والقرابة مصدر قوة لمن أخلصوا ومصدر ضعف إن حقدوا ، قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ (الأنفال:٧٥) .

رعاية صلة القرابة أمر مسطور فى كتاب الله وللأقارب حقوق شرعها الله ، فللقريب حق فى مال المسلم ، ليس إحسانا ولكنه حق .

يقول تعالى ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الروم:٣٨). ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢١٥) .

ويقول تعالى ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٧٧) .

ويقول تعالى ﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (الشورى:٢٣) .

فإن ترضية النفوس ومساعدة المعوزين من الأقرباء مساعدة مادية ، يقيهم شر الحقد على الأغنياء وشر الذل والحاجة للفقراء .

الميراث :

ومن التشريعات العادلة الحكيمة التى جاء بها الإسلام للبشرية ، نظام التوريث داخل الأسرة .

فقد جعل الإسلام التوريث إجبارياً بالنسبة للمورث والوارث ، وجعل للمورث الحق فى التصرف فى ثلث ماله قبل وفاته ، لتدارك بعض دينه أو ليواسى بعض من ليس لهم حق الميراث . والشرع أوصى بتوزيع ثلثى الميراث على أقارب المتوفى إن كان المتوفى قد أوصى بالثلث ، وإلا فيوزع الكل على الأقارب كل حسب درجة قرابته للمورث . وفى الجاهلية كانوا يحرمون المرأة والصغار من الميراث ويورثونه

للكبار ، لأنهم يتولون مسئولية الدفاع عن القبيلة ودفع الديات ، فجاء الإسلام وأبطل ذلك . وقد رتب الإسلام الأولويات فى التوريث كما يلى :

أولا : الأولاد للذكر مثل حظ الأنثيين.

ثانيا : الأرملة (الزوجة) .

ثالثا : أب المتوفى .

رابعا : أم المتوفى .

خامسا : إخوته .

وذلك لمنع تجمع المال فى أيد قليلة.

وقد ورث الله المرأة بالرغم من أنها لا تحمل أية تبعات مالية تجاه نفسها ، وفى هذا محاباة للمرأة ، لأن الذكر هو المكلف بكل التبعات المالية أما الأم والأب فلكل واحد منهما السدس .

يقول تعالى ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ١١) .

ويقول تعالى ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ (النساء: ١٢) .

فإن بعض الآباء تدفعهم عاطفة الأبوة إلى إيثار الأبناء على الآباء فأراد الله أن يرضى الجميع .

التربية الأخلاقية فى الإسلام (الضمير الأخلاقى) :

حينما خلق الله الإنسان هداه إلى طريق الخير وإلى طريق الشر . بذلك أعطاه الحرية ليسلك أى الطريقين يختار ثم بعد ذلك عرفه ما هو الخير وما هو الشر ، وأين طريق الخير وأين طريق الشر ، وإلى أين يؤدى كل منهما ، يقول تعالى ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد:١٠) . ثم أرسل له الله تعالى الهدى بواسطة الأنبياء والمرسلين حتى لا يضل ولا يشقى ولا يقتفى خطوات الشيطان العدو اللدود للإنسان الذى أقسم بعزة الله ليضلن الناس أجمعين إلا المخلصين منهم وبذلك كوّن لدى المسلم الضمير الأخلاقى أو البصيرة الأخلاقية التى تميز بين الخير والشر .

وقد زود الله الإنسان بالعقل القادر على الاختيار والقدرة على الاختيار لدى الإنسان هى التى تحدد على أساسها المسئولية الأخلاقية . فالإسلام يرفض كل فعل خاضع لغير العقل ، أى خاضع لقوة قاهرة تبطل قدرة الفرد الاختيارية ولذلك قال الرسول (رفع عن أمتى ثلاث ، النسيان والخطأ وما استكرهوا عليه) أى ما كان فى غياب العقل أو بالقهر وإبطال قدرة العقل على الاختيار فلا مسئولية على فاعله . فلا يجازى الإنسان على فعل فعله وهو ناسى أو أخطأ فى التقدير أو اضطر إلى فعله وهو مكره خاضع لقوة قاهرة ــ ولا يُسأل على فعل شىء إلا إذا كان برضى القلب واختيار العقل القائم على الإدراك الواعى لحقيقة العقل ، أى أنه يعمل الخير وهو يعلم أنه خير لذلك فعله ، ولا يقرب الشر لأنه يعلم أنه شر ــ فيه إضرار وعاقبته سيئة ، ولو أن العلم وحده لا يعطى أخلاقا فاضلة فكثير من الناس يعمل الشر وهو يعلم أنه شر ولا يفعل الخير وهو يعلم أنه خير . فبدون الضمير الأخلاقى لا فائدة من العلم بالخير أو الشر ، فهو الذى يحدد المسئولية الأخلاقية والضمير الأخلاقى هو الذى يحول بين النفس الأمارة بالسوء وفعل السوء . والضمير الأخلاقى يعتمد على رقابة الله وليس على قانون وضعى .

يقول تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (المجادلة:٧) .

ويتكون الضمير الأخلاقى لدى المسلم عن طريق العبادات التى فرضها الله تعالى على المسلمين وأولها :

الصلاة :

فهى التى تصل الإنسان روحيا بالنبع الشامل لجميع الكمالات وفي نفس الوقت تنهى عن المنكر والفحشاء ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٥).

الصوم :

وهو الذى يحرر الفرد من عبودية الشهوات وهو الوسيلة لبلوغ تقوى الله يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٨٣) . فلا بد أن يدرك الصائم بعقله ضرورة الصوم وفائدته .

الزكاة :

وهى التى تطهر النفس من البخل والشح وحب المال ، والأنانية وتعبر عن التعاون والتكافل الاجتماعى . وتساعد الغنى على حفظ نفسه من الغرور والشعور بالعزة كما تحفظ الفقير من ذل الحاجة والمهانة وهى إجبارية . يقول تعالى ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ (الذاريات:١٧-١٩)

وإذا كانت الصدقة تبذل رئاء الناس ليقال عن المتصدق إنه كريم ، فهى مردودة عليه لا يقبلها الله . يقول تعالى ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ

ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾
(البقرة:٢٦٣-٢٦٤)

وقد حض الإسلام على أن تكون الصدقات لوجه الله تعالى لا لغرض آخر ولا لأجر دنيوى فى مقابلها من أحد .. يقول تعالى ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى * ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾ (الليل:١٧-١٩) .

الحــــج :

فهو يعبر عن الوحدة والترابط فى الجماعة الإسلامية والأخوة والمساواة بينهم فهو يجمع بين الأبيض والأسود والأصفر والأحمر ، شريفهم ووضيعهم ، أمام الله سواء ، يقول تعالى ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ * فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران:٩٥-٩٧) .

وقيمة العبادة لا تتحدد إلا بأثرها فى الواقع على الناس وليس بكثرتها ـ وليس لها ثمرة إلا إذا أداها الفرد عن وعى وإدراك لما تنطوى عليه من مبادئ سامية فالخير والعدل فى نظر الإسلام لا يرتبط بحالتنا الذاتية ولا بعاطفتنا تجاه الناس والأفعال وإنما هى واجب مفروض من الله تعالى يُنفذ بدون قيد أو شرط فى طاعة تامة لإرضاء الله تعالى وحده .

يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة:٨) .

وقال تعالى ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (الإنسان:٨-٩) .

والقرآن ينصحنا أن نقاوم ضعفنا الإنسانى فى البخل والشح والجبن والتخاذل والظلم وكسب المصالح الشخصية ولكن نعمل الخير والحق والواجب مجردا لوجه الله تعالى حتى لو تحملنا الآلام فى سبيل ذلك والله تعالى يطلب من الناس الصدق مع النفس ولا يحاسب المضطر الذى لا يأثم ولا يعتدى .

التـــوبة :

وقد ترك الله تعالى باب رحمته مفتوحا للعاصين والفاسقين والخاطئين . وذلك لأنه سبحانه وتعالى يريد الخير لعباده ، وجعل لهم الفرصة للرجوع إلى الله وإلى الفضيلة. وإلى الصلاح والتقوى حتى آخر يوم فى حياتهم ، لعلهـم ينصلحـون . وبما أن الناس لا تدرى آخر يوم بالنسبة لهم ، فإن التوبة واجب مُلح عاجل ، حتـى لا تضيع الفرصة ويقذفون فى جهنم وبئس المصير . والغرض من ترك باب التوبة مفتوحاً أمام العصاة هو عدم استئناف الأخطاء بأخطاء أخرى والله لا يقبل التوبة من أحد فى ساعة الموت .

يقول تعالى ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (النساء:١٨) .

وقد بين الله تعالى لمن تكون التوبة ، فهى ليست بالقول والأسف عما فعل العاصى والعزم على عدم العودة إليها فهذا لا يكفى لإزالة أثر العمل السيئ وإنما هى:

* العدول السريع عن الذنب .
* إصلاح أخطاء الماضى * وإزالة أثرها بالتعويض .

فالحسنات يذهبن السيئات . والصدقات تطهر من المعاصى وتزكى المال .

يقول تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء:١٧) .

وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

(آل عمران:١٣٥)

وقال تعالى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (البقرة: ١٦٠) .

وقال تعالى ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الأنعام: ٥٤).

* والصدقات تطهر المعاصي وتزكي المال .

يقول تعالى ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (التوبة: ١٠٢-١٠٤) .

ويقول تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النحل: ١١٩) .

* * *

التوجيهات والتكاليف الأخلاقية فى الإسلام

أراد الله تعالى للإنسان المؤمن الطمأنينة والاستقرار النفسى والسعادة والحياة الطيبة فى الدنيا والآخرة من أجل ذلك طلب منه أن يكون فى طاعة الله دائما ينفذ أوامره وينتهى عما نهى عنه ، فالإنسان فى هذه الحياة الدنيا مثله كمثل من يقطع غابة كثيفة موحشة ، مليئة بالوحوش والأفاعى والمتاهات والثمار المسمومة والأرض الرخوة والرمال المتحركة .. إلخ فهو فى أشد الحاجة إلى خريطة تبين له وتوضح الطريق الصحيح الذى يجب أن يسير فيه حتى لا يضل فى متاهات الغابة فيهلك ، حتى يستنير بما فيها من إرشادات فيها النجاة له وضمان الوصول سالما إلى بر الأمان.

والقرآن الكريم هو رحمة للعباد ، فيه الأوامر والنواهى التى ترشده وتوجهه إلى الطرق والسبل الصحيحة فى هذه الحياة الدنيا المليئة بالشرور فى أمان وسلام . والله تعالى هو صانع الإنسان وخالقه ويعلم كل أجزائه وأسراره ويعلم ما يصلحـها ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (الملك:١٤) .

فيجب أن نتبع أوامر الصانع لنحافظ على ما صنع فهو أدرى بها من أى أحد ولذا وجب اتباع أوامره واجتناب نواهيه بقدر ما أوتينا من استطاعة . أولاً طلب منا سبحانه وتعالى أن نؤمن به وبالقرآن الذى أنزل على رسوله ﷺ .

يقول تعالى ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ (ص:٢٩)

وقال تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (محمد:٢٤) .

وأن نؤمن أيضا بملائكته وكتبه ورسله كلهم ، وبيوم الحساب وبالجنة والنار .

يقول تعالى ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ

رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ * لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (البقرة:٢٨٥-٢٨٦) .

وأن نؤدى العبادات كاملة وهى الصلاة والزكاة والصوم والحج وأن نرضى بقضاء الله وقدره خيره وشره ، وأن نتجنب مخالطة الذين يطعنون فى الدين ويسخرون منه ، ويطلب منا التوبة والاستغفار وأن نذكر الله كثيرا ، ويأمرنا سبحانه بطهارة النفس والبدن والتعفف عن الشهوات والنقائص والتحكم فى هوى النفس والصدق فى القول ، وحسن الخلق والتواضع والبعد عن الكبر ، وعدم المساس بحقوق الغير ، والإحسان إلى الوالدين ورعاية الأبناء وأداء حقوقهم بالرحمة والشفقة وحسن المعاملة وحسن معاشرة الزوج والزوجة ، وأمرنا سبحانه بصلة الأرحام والإحسان إليهم .

كما أوصى سبحانه وتعالى بالجار أن نحسن إليه ولا نؤذيه ـ كما أوصى سبحانه خيرا باليتامى والفقراء والمساكين ، واحترام الناس وعدم احتقارهم لأى سبب . وأمر سبحانه بإكرام الضيف وعمل المعروف والشفاعة الحسنة للناس وحسن الكلمة ، وأوصى المؤمن بأداء الأمانات إلى أهلها .

يقول سبحانه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ (النساء:٥٨) .

والوفاء بالعهد ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ (الإسراء:٣٤) .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، يقول تعالى ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

(آل عمران:١٠٤)

وأداء الشهادة بالصدق والحق ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام:١٥٢).

وإصلاح ذات البين والتراحم ، يقول تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات:١٠) .

ودعا إلى الإحسان والتصدق ، يقول تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢١٥) .

ودعا إلى تحرير العبيد ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴾ (البلد:١١-١٤) .

ورعاية اليتامى ﴿ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٢٠) .

ويأمرنا بالعفو عن الناس ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران:١٣٤) .

دفع السيئة بالحسنة ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ (الرعد:٢٢) .

العدل والإحسان ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل:٩٠) .

الأخوة والكرم للمؤمنين ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر:٩) .

نشر العلم وعدم كتمانه ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾
(آل عمران:١٨٧)

أما النواهي التى أمرنا بها الله تعالى فهى :

القتل :

أيا كان إلا بالحق ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام:١٥١-١٥٢) .

السرقة :

قال تعالى ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (المائدة:٣٨)

الغش :

قال تعالى ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ (المطففين:١-٣) .

الاختلاس :

قال تعالى ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

(الأعراف:٨٥)

قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (النساء:٢٩) .

أكل مال اليتيم :

قال تعالى ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ (النساء:٢) .

خيانة الأمانة :

قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنفال:٢٧) .

إيذاء الناس :

قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب: ٥٨) .

الظلم :

قال تعالى ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ (الفرقان:١٩) .

التواطؤ على الشر :

قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (المائدة:٢).

كتمان الحق وشهادة الزور :

قال تعالى ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَـٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٨٣) .

قول السوء :

قال تعالى ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا * إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ (النساء:١٤٨-١٤٩).

احتقار الناس :

قال تعالى ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (الضحى:٩-١١) .

السخرية من الناس :

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (الحجرات: ١١) .

التجسس والغيبة :

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحجرات: ١٢) .

الافتراء والغمز واللمز :

قال تعالى ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ (الهمزة:١) .

اللامبالاة بالشر العام :

قال تعالى ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ * كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة:٧٨-٧٩).

دخول بيوت الناس بغير استئذان :

قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النور:٢٧) .

التوجيهات الإلهية :

وعندما ندخل بيوت الناس يجب أن نسلم على أهلها ونُحييهم .

قال تعالى ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَـٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَـٰلَـٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (النور:٦١) .
وإذا حيينا بتحية فيجب أن نحيى بأحسن منها أو بمثلها . قال تعالى ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴾ (النساء:٨٦) .

إذا طلب منا أن نفسح فى المجالس فلنفسح ، يقول تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (المجادلة:١١) .

أن نتخير أحسن العبارات فى أحاديثنا ، قال تعالى ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (الإسراء:٥٣) .

* * *

ومن أهم وأعظم النواهى التى نهانا عنها الله سبحانه وتعالى هى (الحدود) :

حدود الله :

وقد بين القرآن الحدود (حدود الله) التى لا يجب أن يتعداها أحد وإلا فقد ظلم نفسه ، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾ (الطلاق:١) .

وهذه الحدود هى :

(حد الزنى ـ حد القتل ـ حد السرقة ـ حد القذف ـ حد الحرابة) . وقد شدد الله عقوبتها فى الحياة الدنيا والحياة الآخرة لأن هذه الموبقات لو سادت المجتمع وانتشرت فيه ، تحلل وضعف وانهار .

حد الزنا

وقد حرم الشرع هذه الجريمة للمحافظة على النسل والنوع الإنسانى ولإشاعة التآلف الاجتماعى وملاحظة حق الغير حتى يكون الجيل قويا فى عقله وجسمه وخلقه ودينه ولن يكون ذلك إلا إذا رُبى الطفل بين أبويه ، وهذا يتطلب الزواج بحيث يكفل نسلاً قويا . ولذلك حمى الإسلام الحياة الزوجية من أى اعتداء عليها وقاية من الانحلال الخلقى لأنه نوع من أنواع القتل لأن الزنا قتل لنفس الطفل المولود ، ومنحه حياة ذليلة مهينة ، يقول تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ۝ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾ (الإسراء:٣٢-٣٣) .

ويقول تعالى مقرنا الزنا بالقتل ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ

وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥١) .

وأيضا ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا * إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الفرقان: ٦٨-٧٠) .

لذلك كانت عقوبة الزنا أغلظ العقوبات لأن شيوع هذه الفاحشة له نتائج خطيرة على المجتمع فعدد السكان يتناقص وينشأ أبناء الزنا حاملين أشد العداوة للمجتمع ، وقد طبق الرسول عليه الصلاة والسلام عقوبة الجلد والنفى خارج المدينة على الزانى والزانية البكر وطبق عقوبة الرجم حتى الموت للمتزوجين هذا فى الدنيا أما فى الآخرة فيضاعف للزناة العذاب ويخلدون فيه مهانين . يقول تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا * إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الفرقان: ٦٨-٧٠) .

وقد طالب القرآن الكريم بأن لا تأخذنا بالزناة شفقة ولا رحمة فالرأفة تشجع على الإجرام ، يقول تعالى ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النور: ٢) .

حد القذف

والقذف هو الرمى بالزنا ونفى النسب ، فالترامى بالزنا وهتك الأعراض بالقول يؤدى الى إشاعة الفاحشة فى المجتمع . وعقوبة القذف التى حددها الشرع دنيوية وأخروية أما الدنيوية فهى الجلد (٨٠) ثمانين جلدة للقاذف ولا تقبل له شهادة واعتباره فاسقا . أما العقوبة الأخروية فهى عذاب جهنم .

يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ (النور:٢٣-٢٥) .

وبواعث القذف هى الحسد والمنافسه لإيلام المقذوف وتحقيره فى المجتمع والعقوبة هذه تجعل المجتمع كله يحتقر القاذف

حد السرقه :

والسرقة هى أخذ مال الغير خفية بحيث لا يمكن الإثبات ، وهى إخلال بحرمة المال. وفيها ترويع للناس الآمنين ، فاللصوص عادة يتسلحون وقد يزهقون الأرواح ، والعقوبة التى أوردها الشرع تمنعهم من استمراء مال الجماعة ، لذلك كانت عقوبة السرقة من أشد العقوبات التى وضعت للاعتداء على الأموال وهى قطع اليد في الدنيا والعذاب في الآخرة . واللص يسرق ليزيد من الكسب الحرام وأخذ ما عند الناس بدون كد ولا تعب ، والعقوبة هى قطع يد السارق التى يكسب بها رزقه ، فقطعها يقلل من كسبه ويزيد من كده وتعبه في سبيل الحصول على الرزق . وعلم السارق بأنه لو سرق تقطع يده ولو عاد تقطع رجله ، لا يعود أبداً إلى السرقة لخطورة العقوبة يقول رب العالمين ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾
(المائدة:٣٨-٣٩)

حد الحرابة :

والحرابة هى خروج جماعة مسلحة بالقوة والإجرام للقتل والسلب وشق عصا الطاعة للحكام فهى تمرد على الولاية العامة والخروج على أحكامها والاعتداء على الأعراض . فهذه العصابة المجرمة تختار المواقع النائية للانقضاض على فرائسها فلا تقوى على المقاومة والاستغاثة ، وعقوبتها الدنيوية هى القتل أو الصلب أو تقطيع الأيدى والأرجل من خلاف أو النفى والعقوبة الأخروية أن لهم خزى في

الدنيا وفي الآخرة لهم عذاب عظيم يقول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾
(المائدة:٣٣)

عقوبة شارب الخمر :

وقد أضافت السنة الشريفة عقوبة لشارب الخمر ، فقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يضرب الجريد والنعال بدون عدد . وكذلك فعل أبو بكر وعمر بن الخطاب ثم جعلها عمر ٤٠ جلدة أول مرة و ٨٠ جلدة إذا عاد .

أما عقوبة المرتد عن الإسلام :

فقد حذرهم الله من الخسران المبين في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة . أما السنة فقد قررت قتل المرتد عن الدين حماية للعقيدة من العبث والفساد في يد بعض الناس الذين يشككون في الدين. فالسذج والعامة من الناس يعتقدون أن الذين ارتدوا عن الدين ، إنما رجعوا عنه لأمر خفى عليهم والعقوبة لا تتصادم مع حرية العقيدة .

القصاص :

والقصاص الذى شرعه الإسلام هو عقاب الجانى بمثل ما أنزل بالمجنى عليه من عقوبة مادية وإذا تعذر القصاص الأصلى فيدفع الجانى الدية المالية نظير ما أتلف بالجناية التى ارتكبها . والقصاص يتعلق بجرائم الاعتداء على النفس وهى جرائم الدماء والقتل أو قطع الأطراف أو الجراح ولا قصاص ولا دية على الجانى إذا كان يدافع عن نفسه .

يقول تعالى ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾

(البقرة:١٩٤)

وقال تعالى ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (النساء:٩٣) .

ولذلك لأن الاعتداء على الدماء يولد غيظاً شديداً في النفس فيجب أن ينال صاحب الحق تعويضا مساويا لما وقع عليه حتى يشفى صدره وغيظه وحتى لا يشعر بالبغض نحو المجتمع والقصاص يقبل العفو والتنازل والدية والعقاب فيه متساوى مع الجريمة لأنه حق الفرد أما الحدود فلأنها حق المجتمع فلا يُقبل فيها العفو أو التنازل إذ إن العقاب فيها يتساوى مع الأثر الضار الذى يصيب الجماعة .

النظام الاقتصادى في الإسلام :

جاء الإسلام بنظام اقتصادى يخالف ما سبقه من أنظمة اقتصادية ويتفوق عليها جميعا بما فيه من تشريعات وتوجيهات تحقق مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ، بغرض تحقيق العدالة الاجتماعية وتكوين مجتمع صالح متطور ، والتوجيهات الإسلامية تدعوا إلى التسامى عن الضرورات والتطلع إلى حياة أرفع تقترب من الكمال والرقى ، والنظام الاقتصادى في الإسلام يهدف إلى توجيه المال وتنظيم اكتسابه وصرفه واستغلاله لصالح الفرد والجماعة . فقد قرر الإسلام حق الملكية الفردية للمال المحصل بالطرق المشروعة .

يقول تعالى ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (التغابن:١٥) .
﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة:٢٧٤) .

وهذا الاعتراف بحق الملكية الفردية يساير الفطرة الإنسانية ، فالإنسان يُحب الخير لنفسه ويحب أن يمتلك شيئاً ، وهذا بدوره يحفزه إلى الابتكار الفردى والتوسع في ماله وعمله بشرط مصلحة المجتمع والله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، وذلك ليكون هناك تفاوت في الملكيات الفردية والمال مال الله ، وهو تعالى يعطيه للناس كل حسب جهده وعمله ، وأحيانا بدون جهد ولا عمل ، والغرض الأساسى من تمليك الناس المال هو اختبار درجة إيمانهم بالله وطاعته وتقواه والله يبتلى الناس بالخير والشر فتنة لهم .

كسب المال :

وقد وضع الله قيودا والتزامات وأوامر ونواهى لكسب المال ، لينظر سبحانه من يطيعه ويخافه أثناء كسب المال وجمعه وإنفاقه ، هل كسبه من حلال وهل يكنزه ويحرم المجتمع منه ، وهل ينفقه في أوجه الصحيحة لمصلحته ولمصلحة المجتمع، هل يؤدى ما عليه من زكاة إلخ ، فالمال مال الله والمجتمع مستخلف فيه عن الله والفرد مستخلف فيه عن الجماعة فحيازة المال في الإسلام وظيفة أكثر منها ملكية والإسلام لا يريد أن يكون المال في يد فئة قليلة تتحكم في مصائر الناس والمجتمع كله بل تتحكم في سياسة الدولة نفسها في بعض الأحيان وتحتكر أقواتهم بل الإسلام يريد التوازن لتحقيق العدالة الاجتماعية ، والوسائل النظيفة لكسب المال عادة لا تضخم رؤوس الأموال إلى الحد الذى يباعد الفوارق بين الناس .

إنفاق المال :

كما أنه لا بد من إنفاق المال لمصلحة الجماعة وعدم كنزه فإن ذلك يضر المجتمع ويفقره ويعطل قدرات أفراده ويقفل أبواب الرزق في وجوههم لذلك توعد الله الذين يكنزون المال بالعذاب الأليم ، يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ (التوبة:٣٤-٣٥) .

وقد فضل الله العمل ليكون مصدرا للمال عند المسلمين ، لأن الإنسان إذا لم يعمل يعطل إدراكه وذكاءه لذلك لم يخلق الله الرزق للإنسان حاضرا جاهزا وإنما تركه يكد ويتعب في الحصول على الرزق ، وقد خلق له المواد الأولية التى تساعده على العمل والابتكار والخلق فحرارة الشمس وكنوز البر والبحر والأرض الطيبة والماء العذب والحيوانات والطيور وغيرها تكفل للإنسان الحياة الرغدة السعيدة ما دام يستغلها بعلم ومقدرة .

وقد حدد الإسلام مجالات الكسب المشروع مثل التجارة والزراعة والعمل بأجر عند الغير ، وجعل لكل منها محللات ومحرمات بينتها السنة الشريفة .

ففي التجارة :

حلل الله البيع بالتراضي وحرم الربا وأخذ أموال الناس بالباطل ، وحرم الله بيع الخمر وأكل الخنزير والميتة وحرم الميسر والأنصاب والأزلام فكلها رجس من عمل الشيطان يقول تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾ وقد قيدت السنة الشريفة البيع عن تراض في عدم :

بيع الحبلى : وهو بيع ولد نتاج الدابة لأنه في عالم الغيب ومجهول وغير مقدور على تسليمه ، فهو أكل المال بالباطل .

بيع الملامسة والتنابذ : وهو البيع بغير نظر ، وبيع الثمار قبل نضجها ووزنها.

بيع السلف : أى أن يدفع المشترى الثمن مقدماً عن سنة أو سنتين لطرح النخل أو الشجر أو الأرض . وقرر الرسول أن يكون الثمن في مقابل كيل معلوم ووزن معلوم بأجل معلوم ، وبيع السلف فيه ضرر للشارى والبائع ، فقد تتغير الظروف ويظلم أحدهما . وهذا أكل مال الناس بالباطل .

بيع المذابنة : ونهى الرسول ﷺ عن بيع الثمر بالثمر كيلاً ، فلا يجب بيع الرطب باليابس ــ فاليابس ينقص وزنه كثيراً وهذا ظلم لصاحب اليابس ، مثل بيع الزبيب بالعنب ، كما أمر الرسول الكريم أن يكون البيع بالدراهم وليس بالمقايضة .

أما التوجيهات التى أمر بها الإسلام للعمل التجاري فهى :

- أن يكون دستور المعاملة هو السماحة والسهولة .
- من جانب البائع والمشترى ، وإظهار عيوب البضاعة .

- وعدم القسم بالباطل لترويج البضاعة .

- كما لابد من وفاء الثمن المتفق عليه كاملاً .

مثل النجش وصر الإبل وتلقى الركبان وتأجيل البيع حتى يرتفع السعر ، كل هذا فيه ضرر بالناس وأكل الأموال بالباطل .

ونهى الرسول ﷺ عن بيع المرء على بيع أخيه حتى تدوم المودة بين الناس وأمر الله تعالى بأن لا يزيد التاجر أو ينقص من حقه وحقوق الآخرين .

يقول تعالى ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ (المطففين: ١-٣) .

والشروط بين المتعاملين جائزة ما لم تخالف ما أمر الله به ورسوله فهى باطلة كما أمر الرسول ﷺ بأن لا يبيع الشريك نصيبه الا بعد الرجوع الى شريكه فهو أولى بالشراء وأحق من غيره ، كذلك الجار أحق بشراء ما يبيعه جاره وأجاز الرسول ﷺ التجارة مع المشركين وأهل الذمة من اليهود والنصارى .

العمل بأجر عند الغير :

وقد أجاز الله أن يعمل إنسان عند إنسان آخر بالأجر لأداء عمل مشروع . وأمر الله بأن يلتزم الأجير بالأمانة ووعده بالجزاء يوم القيامة ، وعلى المستأجر (صاحب العمل) أن يؤدى للأجير أجره كاملاً وفورا قبل أن يجف عرقه ، وأن لا يكلفه فوق طاقته وأن يعاونه أيضاً .

كما صرح الإسلام بالوكالة :

الوكالة فى قضاء الديون وفى الأعمال التجارية وإقامة الحدود وكذا ، وكالة المرأة للإمام فى عقد قرانها ، وعلى الوكيل أن يتصرف فى مال موكله بما يصلحه وينميه دون الرجوع إليه وبشرط عدم مخالفة الشريعة الإسلامية ، وإلا فالوكيل هو المسئول دون الموكل .

أما الاستقراض وأداء الديون ..

فقد نظمتها الشريعة الإسلامية وأمرت بكتابة ما يتداين به الناس وأن يشهدوا على ذلك شهودا عدولاً . أما إذا توافرت الثقة ولم يشاءوا الكتابة فلهم ذلك . وإذا كان أحد الطرفين فى الاستقراض أو أداء الديون ناقص الأهلية ، فليكتب وليه ويتولى الأمر نيابة عنه وذلك لرفع الريبة من النفوس . يقول رب العالمين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٨٢) .

وأن تكون القروض بلا فائدة ، لتنمو المودة بين الغنى والفقير ، وإذا لم يستطع المقترض سداد الدين فنظرة إلى ميسرة أو التصدق بالمبلغ للمقترض الفقير وسيعوض الله صاحب المال عنه خيرا . يقول تعالى ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:٢٨٠) .

وحث الله المقترض أن يجتهد فى رد الدين فى أول فرصة وأن لا يماطل ، أما إذا عجز عن سداد الدين فله من أموال الصدقة نصيب يساعده فى ذلك .

ومن متعلقات العمل التجارى الحجر والتفليس :

فقد أمر الله تعالى بالحجر على السفهاء وتولى الإشراف على تنظيم أمورهم المعيشية .

أما إذا أفلس تاجر وعليه ديون فعلى ولى الأمر أن يبيع ما يملكه المفلس ويقسم ثمنه على الغارمين ، وإذا لم يكن عليه ديون فعلى الحاكم تنظيم أمور معيشته.

٣- الزراعة :

إحدى وسائل الكسب المشروع فى الإسلام . شجع الرسول ﷺ على إصلاح الأرض البور وأن من يصلح أرضا لا صاحب لها فهى له . وأن من يجرى الماء فى حوزته له حق أولوية الانتفاع به ثم يطلقه لينتفع به الآخرين، لأن الماء فضل من الله للناس والأحياء جميعا . أما مجالات الكسب غير المشروع التى نهى عنها الإسلام فهى التى تأتى عن كل نشاط يؤذى المجتمع واعتبرها الإسلام كسبا خبيثا . مثل الغش والرشوة والاحتكار لضرورات الناس والربا ـ الظلم فى أجور العمال ـ ظلم من هم تحت الوصاية .

فالـغـش :

هو الحصول على كسب بلا جهد مشروع.

يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾ (النساء:٢٩) .

الرشـوة :

نهى الإسلام عن الرشوة فهى سلب لحقوق الآخرين بلدون وجه حق .

يقول تعالى ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة:١٨٨) .

الاحتكار :

فهو جمع المواد الضرورية للناس والتحكم فى سعرها ليزداد الربح على حساب الناس .

الربـــا :

والربا وسيلة للكسب قبحها الإسلام وأنذر المرابى بأشد العقاب وهو الخلود فى النار . يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ١٣٠) .

ويقول تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة:٢٧٥) .

ويقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة:٢٧٨-٢٧٩) . فالربا يضخم الثروات بدون وجه حق فيخلق طبقة من العاطلين المترفين الذين يحصلون على كل شىء بدون تعب على حساب الآخرين .

أكل مال اليتيم :

فهو خيانة للأمانة واستلاب حق الطفل اليتيم العاجز يقول الله تعالى ﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ (النساء:٢) .

* * *

الإنفاق فى الإسلام

الملكية فى الإسلام وظيفة اجتماعية من خلالها يتم التحقيق التام لكل من الصالح العام والصالح الخاص . فالمالك ليس مطلق التصرف فى ماله وإنما هو موجَه بالتشريع الإسلامي فى الكسب والانتفاع والإنفاق فالأولويات للالتزامات الاجتماعية

وقد حدد الإسلام وضع الفرد فى المجتمع ، فقد أعطاه الحرية فى العمل والتجارة وفرض عليه واجبات إزاء المجتمع وكلما زادت ثروته زادت مسئولياته تجاه المجتمع. فإنفاق المال كما يهوى صاحبه يعتبر نوع من السرقة سرقة ما هو حق لله وللمجتمع وللدولة كما أن كنز المال أو الإسراف فى إنفاقه يعود ضرره على الفرد وعلى المجتمع لذلك حرمهما الإسلام . كذلك نهى الإسلام عن البخل والشح فإنهما يورثان الأنانية ويسببان الكراهية بين الناس ، فتهلك الأمم .

يقول تعالى ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ * عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (التغابن:١٦-١٨) .

وقال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ (النساء:٣٧) .

ونهى الإسلام عن الإسراف فهو مفسدة للفرد وللجماعة والترف يسقط الهمة ويضعف القوة والضمير ويغلظ المشاعر وهلاك الأمم سببه الترف الذى يؤدى إلى البطر وفعل المعصيات ، ويقول تعالى ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَـٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ (القصص:٨) .

ويقول تعالى ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ (الإسراء:٦) .

أما وسائل الإنفاق المشروعة فى الإسلام فهى :

الزكاة :

فهى نظام اقتصادى إلهى لا مثيل له من قبل . من أول فوائده محو الفقر ومع تراكم الثروة فى أيدى قليلة فتزول الفوارق الاجتماعية بين المسلمين وهى ليست إحسانا إلى الفقراء والمحتاجين ، وإنما هى فريضة دينية إجبارية ، لأنها حق للفقراء فى أموال الأغنياء يقول تعالى ﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ (الذاريات:١٩) .

ويخرجها المسلم طواعية واختيارا لكسب رضا الله سبحانه وجزائه فالإسلام يربى المسلم على عمل الخير دون إجبار أو خضوع لقوة لذلك فالزكاة وسيلة لتحقيق العدالة الاجتماعية .

الصدقات :

والصدقات فى الإسلام تعتبر قرضا لله يُرد إلى صاحبه مضاعفاً .

يقول تعالى ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (الحديد: ١١)

ويقول تعالى ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٦١) .

وهى تجارة رابحة ، يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (فاطر: ٢٩-٣٠).

وجزاؤها فى الآخرة الجنة ، يقول تعالى ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(آل عمران: ١٣٣-١٣٤)

والصدقات تطهر النفس والمال ، يقول تعالى ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٠٣) .

وقوله تعالى ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ (البقرة: ٤٣) .

وقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾

(فصلت: ٦-٧)

والصدقات يجب أن تكون من مال حلال طيب ، يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾(البقرة:٢٦٧).

وأن لا يكون القصد منها المفاخرة والتباهى والمن والإساءة إلى آخذيها ، يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(البقرة:٢٦٤).

مصارف الزكاة :

والزكاة توجه إلى الفقراء والمساكين والعاملين عليها القائمين على جمعها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل .

يقول تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ٦٠) .

أما الصدقات :

فهى للوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل والفقراء .

يقول تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢١٥) .

ويقول تعالى ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ * لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٧٢-٢٧٣) .

مقدار الصدقات ليس له حدود وبلا حساب :

وتترك لوجدان وشعور المسلم ، وهى تهذب الوجدان وتقوى الروابط الإنسانية. فالغرض منها التقرب إلى الله سبحانه وتعالى .

والصدقات كفارة لطائفة من الخطايا :

فالحنث فى اليمين كفارته إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم مما يطعم به الإنسان أهله أما غير القادر فكفارته صيام ثلاثة أيام .

والفطر فى رمضان :

كفارته التصدق على الفقراء والمساكين بمقدار معين من الغلال أو بثمنها وهى رخصة للشيخ الفانى والمريض .

والظهـــار :

وهو أن يقول الرجل لزوجته أنت على كظهر أمى ، وكفارته تحـرير رقبـة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكينا .

بعض شئون الحج :

وهى كفارة لبعض المخالفات لمن كان مريضا أو به أذى من رأسه .

يقول تـعـالـى ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾

(البقرة:١٩٦)

وقد استحسن الإسلام أن تكون الصدقات خفية يقول تعالى ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (البقرة:٢٧٠-٢٧١) .

ويقول تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة:٢٧٤) .

والإسلام حينما شرع مقدار الزكاة :

كما وضحها الرسول عليه الصلاة والسلام ، فهو يشجع الناس على الاستثمار ، إذ إنه كلما زادت الماشية أو الغنم قلت الزكاة المفروضة عليها ، ليقبل الناس على تربيتها والإكثار منها . كما جعل زكاة المال المحبوس أكثر من زكاة المال المتناول ، حتى لا يحرص الناس على كنز نقودهم فتأكلها الزكاة بمرور الزمن وقد حدد الإسلام مقادير الزكاة على كل نوع من أنواع الدخول ، مثل الماشية والغنم والبقر والإبل والذهب والفضة والزرع وجعل الإسلام زكاة الكسب الذى يُبذل فيه جهد كبير أقل من زكاة الكسب الذى يأتى بجهد قليل أو بدون جهد ، وفى هذا تشجيع على العمل وبذل الجهد .

أما زكاة الفطر ..

فى أول أيام عيد الفطر بعد نهاية شهر رمضان فهى تؤدى قبل خروج الناس إلى صلاة العيد ، وقيل تجوز فى الأيام الأخيرة من رمضان والزكاة شرعها الإسلام لمكافحة الفقر. والعوز فى الجماعة الإسلامية ، ولتعميم الخير على جميع المسلمين وليس فقط على مالكه .

الخاتمة

وأخيراً أعتقد أيها القارئ العزيز أن فى هذا العرض لبعض ما جاء فى القرآن الكريم إجابة واضحة صريحة للسؤال الذى كثيرا ما يتردد على ألسنة بعض الجهلاء من الشباب المُضَلل (أنا لا أعلم من أين جئت وإلى أين أسير) ؟ !

فالإنسان بعد أن يتدبر القرآن الكريم يعلم تماما من هو وكيف ولماذا خلق ومن أين جاء وإلى أين يسير ، فلا يقع فريسة للشك والإلحاد والضياع والبوهيمية والهمجية ، فيعلم موقعه بالضبط فى هذه الحياة الدنيا. وما هو مطلوب منه ، فيعيش حياته صافى العقل والقلب سليم الجسد ، سعيدا مستقراً يسير فى طريقه بثبات ويقين وثقة . من هنا كانت للمسلمين المؤمنين بالله العظيم وبالغيب حضارة عظيمة بهرت العالم بما فيها من حق وعدل وحرية ومساواة ....

وأختتم كلامى بهذا العتاب الإلهى الكريم لكل الناس ، رجالا ونساء بنين وبنات مسلمين وغير مسلمين فى كل مكان على ظهر الأرض .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (محمد: ٢٤) صدق الله العظيم

والله ولي التوفيق ،،

إبراهيم إبراهيم الكردى

القاهرة سنة ١٩٩٦م - ١٤١٧ هـ

المراجع

* القرآن الكريم .

* تفسير ابن كثير .

* تفسير محمد فريد وجدى .

* تفسير المنتخب .

* صحيح مسلم .

* إحياء علوم الدين للإمام أبو حامد الغزالى .

* النظرية الاجتماعية فى الفكر الاسلامى . د . زينب رضوان

* يوم القيامة ـــ د . عبد الرزاق نوفل .

* * *

محتويات الكتاب